قادة الفتح الإسلامي

خالد بن الوليد المخزومي

اللواء الركن

محمود شيت خطاب



دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان

Dar El Fikr - Printers- Publishers- Distributors- Beirut- Lebanon

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد في ١٧/ربيع الآخر/١٤٤٤هـ
١١/١١/٢٠٢٢م

سرمد حاتم شكر

خالد بن الوليد المخزومي



خالد بن الوليد المخزومي

اللواء الركن
محمود شيت خطاب

دار الفكر

الطبعة الرابعة
١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهـــار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها ؛ نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين) .

(القرآن الكريم)
سورة الصف (١٠ - ١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى التي كانت ورائي في عمل كل خير: تأمرني به، وتدفعني إليه.

إلى التي كانت أمامي في عمل كل شر: تنهاني عنه، وتحول بيني وبينه.

لقد كانت تفتح ما استغلق من أبواب الخير، وتغلق ما استفتح من أبواب الشر، وكانت بالنسبة لي كالبسملة، مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر.

إلى النور الذي تمثل بشراً سوياً يمشي على الأرض، ليطعم الفقير، ويسقي العطشان، ويكسو العريان، ويحدب على اليتيم، ويحمل آلام الآخرين.

إلى الشهيدة الصديقة الصالحة، زوجتي رفيعة إبراهيم الكريمية في الجنة إن شاء الله.

أهدي ثواب هذا الكتاب، علماً ينتفع به إلى يوم الدين بإذن الله.

رحمك الله ورضي عنك وأرضاك، وجعل جنة الخلد مستقرك ومثواك.

القاهرة ٦ ذو الحجة ١٣٩١

٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢

مقدمة الطبعة الأولى

« نعم عبد الله ! هذا
سيف من سيوف الله »

(محمد رسول الله)
صلى الله عليه وسلم

لاقت سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه عناية فائقة من المؤرخين وكتّاب السّير، ليس في البلاد العربية والإسلامية فحسب ، بل في الدول الأجنبية أيضا ، ولكننا لانزال نفتقر إلى الدراسة العسكرية الفنية لعبقريـــة خالد العسكرية من ناحية ، ولشخصيته إنساناً من ناحية أخرى .

فقد تقرأ مجلدا ضخماً عن خالد ، لتجد أن معظم مافيه دراسات عن معارك خالد بصورة تفصيلية ،مع أن هذه المعارك ليست من صنع خالد وحده بل هي من صنع رجاله كلهم ، فهم الذين نفّذوا خطط خالد ، وهم الذين تحمّلوا أعباء القتال ، ولو كان خالد وحده في ساحة المعركة لما استطاع أن يفعل شيئاً . لذلك أوردت في هذا الكتاب الجزء الذى يظهر أثر خالد الشخصي في كل معركة خاضها : خططه العسكرية ، وكيفية تنفيذها ، وعمله العسكري قائداً وجندياً ، لكي أستنتج من ذلك مزايا قيادة خالد بشكل واضح ملموس ، وأثر شخصيته في إحراز النصر .

وحاولت جاهداً أن أعثر على مايصوّر خالداً الانسان : سمته ، وشكله وأخلاقـــه ، وتصرفاته ، وقابلياته . . . الخ ، إذ أن معرفة شخصيته إنساناً لاتقل فائدة عن معرفة شخصيته قائداً ، وكنت أطمع في دراستي لخالد الإنسان أن أقدم وصفاً يعين القارىء على تصوره رجلاً بالذات أو رجلاً يشابهه إلى أقرب الحدود ، ويعين المصور على رسم لوحة فنية له إن لم تكن تشابهه فهي قريبة الشبه به .

وحاولت أن أعطي فكرة كاملة للقارىء عن مزايا خالد ، حتى نعرف

كيف ولماذا انتصر ، كما حاولت أن أبسّط النواحي العسكرية من حياتـــه بشكل يفهمه القارىء المدني والعسكري على حد سواء ، لذلك شرحت بعض المصطلحات العسكرية باختصار شديد، ليسهل على المدنيين تفهم النواحي العسكرية الفنية من حياة خالد العسكرية .

وكانت تصرفات خالد في بعض القضايا مثـــار خلاف في الرأي بين الصحابة في حياته وبين الباحثين في سيرته والمثقفين حتى اليوم، لذلك أبديت الرأي بشكل جازم في كل تصرفاته التي كانت ولاتزال موضع اختلاف الباحثين والمثقفين .

وقـــد أعانني على البت في تلك الاختلافات الخاصة بالناحية العسكرية تيسّر الخرائط التي لم تكن متيّسرة من قبل ، لمعرفة من أين بدأ خالد فتحه في العراق ، أمن اتجاه الحيرة أم اتجاه الأبُلّة ؟ وبكلام آخر، هل بدأ فتحه بجنوب العراق من منطقة البصرة أم بوسطة من منطقة الكوفة ؟ إن معرفة مكان قوات خالد قبل المسير الى العراق، ودراسة الخريطة لمعرفة أقرب الطرق الممكن سلوكها الى العراق ، وبحث المحاذير العسكرية لبدء الفتح من وسط العراق ، كل ذلك يجعلنـــا نقرّر بشكل جازم أنه بدأ فتحه من اتجاه جنوب العراق ، وبذلك نعطي نهاية لاختلاف المؤرخين حول هذا الموضوع .

كما أن الخرائط أعانتني على البت في الطريق الذي سلكه خالد من العراق الى أرض الشام ، إذ هناك روايات متباينـــة عن الطريق الذي سلكه خالد للوصول الى قوات المسلمين في أرض الشام .

كما وضعت حداً للاختلافات القائمة عن بعض أعماله العسكرية أو التي لها صلة بأعماله العسكرية ، مثل قضية نقله من العراق الى أرض الشام وأسباب هذا النقل والمنصب الذي نقل اليه وعدد قواته التي صاحبته من العراق الى أرض الشام ، وقضية عزله ولمـــاذا أقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على

هـذا العزل ؟ وقضية دخول خالد دمشق صلحاً أم قسراً ؟ كما اجتهدت أن أضع حداً للاختلاف في تصرُّفات خالد في بني (جُذيمة) أيام النبي ﷺ ، وتصرفاته في قضية مالك بن نويرة أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وليس من العجيب أن تبقى تلك الاختلافات في الرأي عن بعض تصرفات خالد وبعض ما يتصل بحياته العسكرية ، عند المؤرخين الأقدمين ، لأن الذين كتبوا عنه من القدامى كانوا غير مزوّدين بثقافة عسكرية أصيلة ، بل إن الثقافـــة العسـكرية كانت بعيدة عن ثقافتهم العامة كل البعد لأنهم غير عسكريين ، ولكن العجيب أن تبقى تلك الاختلافات في الوقت الحاضر .

لقد بذلت أقصى ما أستطيعه من جهد لوضع حد نهائي لهذه الاختلافات ، فإن نجحت في ذلك فللّه الفضل والمنّة ، وإلاّ فإنما الأعمال بالنيات .

إن خالد بن الوليد كان غرّة في جبين تاريخ الفتح الإسلامي ، ولا يزال الناس عرباً ومسلمين وأجانب يذكرونه ويذكرون عبقريته في القيادة ، فهو أشهر قائد عربي عند العرب وغير العرب على حد سواء .

إنّ دراسة سيرتـــه استنفدت مني وقتاً وجهداً أكثر مما استنفده مني غيره من قادة الفتح الاسلامي ، مع أنّ الكتب المصنّفة التي تبحث في سيرته أكثر بكثير من الكتب التي تبحث في سيرة غيره من القادة – إن كان هناك كتب تبحث عن سيرهم ، ذلـــك لأنه أكثر القادة فتحاً وأبرزهم قيادة وأعظمهم أثراً في الفتح الاسلامي العظيم .

إنّ الامة التي أنجبت مثل خالد قائداً ، لا تعجز اليوم أن تنجب أمثاله ، والمهم هو أن يختار المسئولون الرجل المناسب للعمل المناسب .

والله أسأل أن يفيد بهذه الدراسة وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم .

مقدمة الطبعة الثانية

« وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »

(القرآن الكريم)

التطبيق العملي للجهاد

– ١ –

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرسول القائد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

هذه مقدمة الطبعة الثالثة من كتابي : (الفاروق القائد) ، حرصت على إعادة نشرها في هذا الكتاب ، كما سأحرص على نشرها في المجلات والكتب، لكي تصل الى أكثر عدد من العرب والمسلمين أملاً في تطبيقها أسلوباً عملياً لإخراج فريضة الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملي .

في يوم الخميس الثامن من جمادى الثانية سنة (١٣٨٩)) الهجرية الموافق ٢١ آب (أغسطس) سنة (١٩٦٩) الميلادية ، حرقت إسرائيل بالنار المسجد الأقصى المبارك ، وقد دمّر الحريق القسم الجنوبي الشرقي من المسجد ، كما أتى على منبره الأثري .

وبهذا الاعتداء الصارخ بلغت إسرائيل أوج استهانتها بمقدسات العرب والمسلمين .

ومن المؤسف حقاً ، أنّ حرق المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، لم يكن مفاجأة لأحد من الناس ، وأنّ العرب والمسلمين لم يؤخذوا

على حين غرة حين أقـــدم الصهاينة على تدمير المسجد الأقصى لأنّ نيات الصهيونية العالمية المبيَّتة للقضاءِ المبرم على المسجد الأقصى وازالته من الوجود وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه معروفة قبل أن يكون لإسرائيل وجود في الأرض المقدسة وبعد أن أصبح لها كيان في فلسطين .

ولو أردت تعداد مـا ورد من وثائق وتصريحات تكشف نيات الصهاينة حول تدمير المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان على أنقاضه ، لطال المدى وبعد الشوط ، وحسبي أن أذكر لمحات منها هي في الواقع غيض من فيض .

١ - قبل مولد اسرائيل:عام ١٩٤٨ :

جاء في دائرة المعارف اليهودية [١] : « إن اليهود يجمعون أمرهم بغيـــة الزحف على القدس وقهر العرب وإعادة العبادة الى الهيكل وإقامـــة ملكهم هناك » .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية [٢] : « إن اليهود يتطلعون الى امتداد إسرائيل واستعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء الهيكل » .

وقـــد طالب يهود أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين الحكومة البريطانية أن تسلمهم الحرم الشريف في القدس بحجة أنه ملك لهم .

وفي سنة (١٩٢٩ م) ، أعلن الزعيم اليهودي (جلوزنز) : « إن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس ملك لهم .

وقال الوزير البريطـــاني اليهودي اللورد (متشت) : « إن اليوم الذي

---

(١) دائرة المعارف اليهودية - لندن - ١٩٠٤ .
(٢) Encyclopedia Britanica - London - 1960 .

سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً ، وانني أكرس ما بقي من حياتي لبناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى » .

(ب) بعد مولد اسرائيل :

أما بعد مولد إسرائيل عام ١٩٤٨ ، فقد كانت نيات الصهاينة مكشوفة إلى أبعد الحدود حول هدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان في مكانه .

في يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، احتلت إسرائيل مدينة القدس القديمة ، فبادر رئيس الدولة الإسرائيلية ورئيس وزراء إسرائيل ووزراء إسرائيل يتقدمهم الحاخام الاكبر الإسرائيلي الى الزحف نحو حائط المبكى ، وهناك قال موشى دايان : « اليوم أصبح الطريق الى المدينة [1] مفتوحاً » .

واستباح اليهود حرمة المسجد الأقصى بالسماح للإسرائيليين من الجندين والجندات والمدنيين بدخوله مرتدين ملابس فاضحة وهم سكارى كأنهم في الحانات أو في أماكن الدعارة .

وانتهك جيش إسرائيل حرمة المسجد الأقصى ، فكانوا يهزجون في باحاته يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ : « مات محمد مات ... خلّف بنات ! » .

وبدأت إسرائيل بهدم جميع الابنية الاثرية الملاصقة للمسجد الاقصى والكائنة حوله ، وبادرت بإجراء حفريات في أرجائه ، وذلك من عام (١٩٦٧) بحثاً عن آثار عبرانية يمكن أن تكشف عن بقايا هيكل سليمان . وقد صرّح وزير الاديان الإسرائيلي في مؤتمر ديني عقد في القدس عقب

---

(١) يقصد : المدينة المنورة .

احتلالهـــا قال فيه : « أرض الحرم (المسجد الاقصى) ملك يهودي بحق الاحتلال وبحق شراء أجدادهم لها منذ ألفي سنة » .

وقد أنشأت إسرائيل صندوقاً لجمع التبرعات من أجل إعادة بنـــاء الهيكل ، وهذه التبرعات تجمع من اليهود وأشياعهم في جميع أنحاء العالم .

وفي ٣٠ آذار (مارس) سنة (١٩٦٨) كتب أمريـــكي من الولايات المتحدة الامريكية رسالة الى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القدس قال فيهـــا : « إن هيكل سليمان كان المحفل الماسوني الاصلي ، وإنّ سليمان كان رئيس المحفل ، وإنّ مسجد عمر (يريد : المسجد الاقصى) واقع على الهيكل هو والصخرة التي قدم عليهـا إبراهيم ولده إسحق قرباناً لله . وإنني كاسوني أرأس جماعة في أمريكا تطمح أن ترى هيكل سليمان وقد أعيد بناؤه ، وأن هذه الجماعة تقوم بجمع مليون دولار لهذا الغرض [1] » .

وكان بن غوريون يردد ولا يزال : « لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل » .

وقـــد مهّدت الصحف الاسرائيلية قبل شهر واحد من حرق المسجد الاقصى بالنار الجو المناسب لازالة المسجد الاقصى المبارك من الوجود ، فدعت الى اتخاذ إجراءات عاجلة لتحقيق ذلك . وكمثـــال على ذلك ، فقد نشرت صحيفة (لا مرحاب) الصهيونية مقالاً تحت عنوان : (هيكل سليمان بالقدس) قالت فيه حرفياً : « يجب الاستيلاء بسرعة على المقدسات الاسلامية ووضعها تحت سلطة إسرائيل مهما كان الثمن » .

---

(١) أنظر نص الرسالة في مجلة : الوعي الإسلامي – الكويت – العدد (٤٩) – الصادر غرة المحرم ١٣٨٩ هـ الموافق ١٩ آذار (مارس ١٩٦٩) ، وقد قدمت لجنة انقاذ القدس الى الجامعة العربية نص هذه الوثيقة . كما قدم نصها وفد الأردن الى مؤتمر البحوث الإسلامية الرابع الذي عقد في القاهرة عام ١٣٨٨ هـ .

وبعـــد حرق المسجد الاقصى بالنار ، استولت اسرائيل على الحرم الابراهيمي في مدينة الخليل الذي كان مسجداً اسلامياً منذ الفتح الاسلامي ، واتخذت منه كنيساً لليهود يوماً واحداً تحدياً للعرب والمسلمين واستهانة بهم وذلــك يوم ٦ رجب (١٣٨٩) الهجرية الموافق ١٨ أيلول (سبتمبر) سنة (١٩٦٩) .

وكشف المجلس الاسلامي الأعلى في القدس استمرار المؤامرة الصهيونية على المسجد الاقصى ، فطالب كولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل أن توقف فوراً أعمال الحفر التي تقوم بها السلطات الاسرائيلية أسفل المسجد الاقصى، وأنذر بأنّ هذا الحفر يهدّد بتقويض المسجد من أساسه .

وأعرب زعماء المسلمين في (القدس) عن مخاوفهم من أن تسفر أعمــال الحفر هــذه التي وصلت الى عمق أربعين قدماً الى تعريض المسجد للخطر ، وقد سبق لاعمال الحفر أن أصابت الجانب الجنوبي من المسجد بأضرار جسيمة قبل جريمة حرق المسجد الاقصى .

وذكر هؤلاء الزعمــاء المسلمون أن التقارير تشير الى اعتزام السلطات الاسرائيلية الدينية بناء معبد لليهود تحت الأرض أسفــل المسجد الاقصى مباشرة [1] ، ليكون الخطوة الاولى لبناء هيكل سليمان .

وقد ذهب احتجاج المجلس الاسلامي الاعلى أدراج الرياح ! ترى ! أمـا لهذا الليل من آخر ؟

- ٢ -

لقــد عقدت مؤتمرات اسلامية في القاهرة ومكة المكرمة وعمان سنة

---

(١) أنظر التفاصيل فى صحيفة الاهرام القاهرية وصحيفة الجمهورية القاهرية الصادرتين يوم الأربعاء ١٩ رجب ١٣٨٩ هـ الموافق ١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٩ .

(١٩٦٨) ، وعقد مؤتمر اسلامي في (كوالا لامبور) بماليزيا سنة (١٩٦٩)
وقد شهد هذه المؤتمرات قسم من علماء المسلمين وقسم من السياسيين العرب والمسلمين .

وأعلنت المؤتمرات الاسلامية الجهاد بإجماع آراء علماء المسلمين الذين شهدوا هذه المؤتمرات والذين لم يشهدوها : « إن أسباب وجوب الجهاد التي حدّدها القرآن الكريم قد أصبحت كلها متوافرة في العدوان الاسرائيلي بما كان من اعتداء على أرض الوطن العربي الاسلامي . وانتهاك لحرمات الدين في أقدس شعائرها وأماكنها ، وبما كان من إخراج المسلمين والعرب من ديارهم ، وبما كان من قسوة ووحشية في تقتيل المستضعفين من الشيوخ والاطفال .
لذلك كله صار الجهاد بالاموال والانفس فرضاً عينياً [1] في عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار[2] » .

ومعنى ذلك أنّ الجهاد أصبح (أمانة) في عنق كل مسلم ومسلمة ، لا يتخلّف عن تحمل أعبائه المادية والمعنوية أحد إلا ويرمى بالنفاق ويعاقب بأشد العقاب : « يا أيها الذين آمنوا ، مالكم إذ قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ؟! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل . إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ، ويستبدل قوماً غيركم ، ولا تضروه شيئاً ، والله على كل شيء قدير[3] » .

وقد فرضت الحرب على المسلمين فرضاً ، بعد الغزو الاسرائيلي التوسعي الاستيطاني لبلادهم ، وبعد طرد العرب والمسلمين من فلسطين وبعد الظلم والتعذيب الذي لاقاه الفلسطينيون على أيدي الصهاينة ، وبعد حرق المسجد

---

(١) فرض عين : هو النفير العام (التعبئة العامة) كما يعبر عنه العسكريون المحدثون .
(٢) قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية – القاهرة – ١٣٨٨ هـ .
(٣) الآيتان الكريمتان من سورة التوبة (٩ : ٣٨ – ٣٩) .

الاقصى بالنار ، وبعد تهديم مساجد المسلمين والاستيلاء عنوة على قسم منها ، وبعد انتهاك حرمات أقدس مقدسات العرب والمسلمين في الارض المقدسة ، لذلك وجب على كل قادر على حمل السلاح أن ينهض بواجبه جهاداً بالروح ، ووجب على كل قادر على بذل الأموال أن ينهض بواجبه جهاداً بالمال ، فليس عربياً ولا مسلماً من يتخلف عن الجهاد في مثل هذه الظروف والاحوال .

إن نفوس العرب مائة مليون نسمة أو يزيدون ، ونفوس المسلمين ستمائة مليون نسمة أو يزيدون .

والقاعدة العسكرية للنفير تقول : « إن عشرة بالمائة من تعداد كل أمة قادرون على حمل السلاح » ، ومعنى هذا أن باستطاعة العرب حشد عشرة ملايين مقاتل في الميدان ، وأن باستطاعة المسلمين حشد ستين مليون مقاتل للحرب .

ونفوس اسرائيل اليوم لا يزيد على مليونين ونصف المليون نسمة ، فأين تصبح اسرائيل لو صدق العرب والمسلمون ما عاهدوا الله عليه ؟!

إن الطاقات العربية والاسلامية المادية والمعنوية متفوقة على الطاقات الاسرائيلية المادية والمعنوية فواقاً ساحقاً .

ولكن الطاقات الاسرائيلية (منظّمة) ، والطاقات العربية والاسلامية غير (منظمة) ، لذلك تغلبت الطاقات القليلة (المنظمة) على الطاقات الكثيرة غير (المنظمة) .

وما يحتاج اليه العرب والمسلمون اليوم ، هو (التنظيم) السليم .

- ٣ -

لقد أظهر العرب والمسلمون شعوراً طيباً منذ مولد إسرائيل حتى اليوم .

وحين أحرق المسجد الاقصى المبارك بالنـار ، طغى هذا الشعور العربي الاسلامي الطيب ، فأصبح خطراً داهماً يهدّد الحاكمين الذين بقوا متمسكين بالمواقف السلبية تجاه القدس وفلسطين .

وكان انعقـاد مؤتمر القمة الاسلامي في (الرباط) من ١٠ رجب إلى ١٤ رجب سنة (١٣٨٩) الهجرية الموافق ٢٢ أيلول (سبتمبر) إلى ٢٦ أيـلول (سبتمبر) سنة (١٩٦٩) حدثاً تاريخياً واستجابة لشعور العرب والمسلمين الطيب نحو القدس وفلسطين .

وقد شهد هذا المؤتمر ست وعشرون دولة عربية وإسلامية مثّلها فيـه ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية وممثلوهم .

واستبشر العرب من المحيط إلى الخليج واستبشر المسلمون من المحيط إلى المحيط ، بهذا المؤتمر الذي ضم أكثر الدول العربية والاسلامية ، وعقدوا عليه أعظم الآمال ، وتوقّعوا منه إصدار مقررات إيجابية تبلور العواطف العربية والاسلامية الطيبة لتصبح جهاداً طيباً يضر وينفع ، ولا يبقى شعوراً طيباً لا يضر ولا ينفع .

ولكن الآمال المعقودة على هذا المؤتمر انهارت لأسباب كثيرة ، لعلّ من أهمها (الارتجال) الذي ساد انعقاده واجتماعاته ، وكان ينبغي أن يخطط له تخطيطاً دقيقاً قبل عقده . وتجري البحوث والدراسات المستفيضة لما كان يجب أن ينجزه المؤتمر أيام انعقاده .

وكل (ارتجال) لا يؤدي إلى خير ولا يأتي بخير ، خاصة في القضايـا المصيريـة .

لقد كانت أهم مقررات مؤتمر القمة الاسلامي ، إعلان استنكار المؤتمرين

لجريمة إحراق المسجد الأقصى وتأييدهم لحقوق شعب فلسطين . ووجّه المؤتمر نداء حاراً إلى الدول المسئولة عن حماية السلام في العالم بأن تضاعف جهودها على المستوى الفردي والجماعي لانسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة (١) .

ومن الواضح أنّ مقررات هذا المؤتمر كانت (سلبية) أيضاً ، وكان المتوقع منه أن يقرر الجهاد بالأموال والأنفس، ويقرر مسئولية كل دولة مادياً ومعنوياً في حمل أعباء الجهاد ، ويقرر كيف ومتى وأين يبدأ الجهاد .

إن الطريق لبلورة الشعور العربي الاسلامي الطيب ليكون عملا إيجابياً طيباً - واضح كل الوضوح ، وسلوك هذا الطريق يؤدي إلى وضع حل حاسم لمطامع إسرائيل التوسعية في البلاد العربية وإلى استعادة حقوق العرب والمسلمين في الأرض المقدسة .

وما لم يسلك العرب والمسلمون هذا الطريق ، فإن اسرائيل ستمتد من (النيل) الى (الفرات) اليوم او غداً .

إن الصهيونية العالمية تطبق مخططاً رهيباً مدروساً لتحقيق أهدافها التوسعية ، ومن يمعن النظر في مخططها ويفكر ملياً بإنجازاته ، يجد أن الصهيونية العالمية تسيراً سيراً حثيثاً نحو تحقيق أهدافها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

في سنة (١٨٩٧) عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بال) السويسرية، وقد أقر هذا المؤتمر دستور الصهيونية العالمية لتحقيق دولة اسرائيل ، وأنشأ المنظمات السياسية والاقتصادية واللجان لوضع هذا الدستور في حيّز التنفيذ.

---

(١) أنظر تفاصيل بيان المؤتمر في صحيفة الاهرام القاهرية الصادرة يوم ٢٦ / ٩ / ١٩٦٩ .

وفي سنة (١٩٠٧) بدأت هجرة اليهود المنظّمة الى فلسطين ، وبدأ إنشاء المستعمرات الصهيونية على أرض فلسطين حسب خطة مرسومة بدعم مادي ومعنوي من الصهيونية العالمية .

وفي سنة (١٩١٧) صدر وعد (بلفور) ، وهو مكسب سياسي كبير للصهيونية العالمية ، لأنه يسّر لهـــا الدعم السياسي المنشود من أكبر دولة استعمارية في حينه وهي بريطانيا .

وفي سنة (١٩٢٧) زادت كثافة الهجرة اليهودية إلى فلسطين وزاد عدد المستعمرات على الأرض الفلسطينية ، وسيطرت الصهيونية العالمية على مساحات كبيرة من الأراضي العربية بالشراء وبالاغتصاب بمعاونة الاستعمار البريطاني .

وفي سنة (١٩٣٧) بدأ إنشاء القوات النظامية لليهود في الأرض المقدسة بشكل واسع وأصبح للصهاينة عصابات إرهابية مسلحة لديها كميات ضخمة من السلاح والذخيرة .

وفي سنة (١٩٤٧) صدر قرار التقسيم الذي أقرتـــه المنظمة الدولية ، فأصبح للصهاينة حق شرعي معترف به دولياً في إنشاء وطن قومي لليهود في جزء من فلسطين .

وفي سنة (١٩٥٧) انطلقت التجارة الاسرائيلية عبر خليج (العقبة) الى آسيا وإفريقية ، وأصبحت اسرائيل تمتلك حرية الملاحة في هـــذا الخليج مستندة الى ميناء (إيلات) الاسرائيلي .

وفي سنة (١٩٦٧) استولت اسرائيل على الضفة الغربية من الأردن ، وعلى قطاع غزة وصحراء سيناء حتى قنـــاة السويس من الجمهورية العربية

المتحدة ، وعلى الهضبة السورية المسيطرة سيطرة تامة على شمال اسرائيل ، والتي لها أهمية سوقية (استراتيجية) خاصة بالنسبة لمصير سورية ولبنان والأردن .

ومن الملاحظ هنا ، أن اسرائيل تحقق كل ١٠ سنوات هدفاً من أهدافها الحيوية .

إن معظم المؤرخين متفقون على أن (بروتوكولات حكماء صهيون) قد وضعت وأقرت في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة (بال) السويسرية سنة (١٨٩٧) ، وقد قدّر ذلك المؤتمر لتنفيذ مخطط الصهيونية العالمية التوسعي الاستيطاني كما جاء في (البروتوكولات) مائة سنة (١٨٩٧ — ١٩٩٧) .

فهل يترك العرب والمسلمون الحرية الكاملة للصهيونية العالمية لتحقيق مخططها ؟ .

إن الطريق الذي يؤدي الى انتصار العرب والمسلمين على اسرائيل ووضع حداً لما يحيق بهم من أخطار جسام تهدد مصيرهم السياسي والحضاري ، هو في (تنظيم) طاقاتهم المادية والمعنوية ، لتصبح قوة ضاربة تفرض السلام على منطقة الشرق الأوسط وتزيل خرافة اسرائيل وتحطم مخططها التوسعي الاستيطاني على حساب الدول العربية .

والمساعي السياسية والحلول السياسية لن تنجح مادام العرب والمسلمون ضعفاء ، وستتحقق حتماً تلك المساعي والحلول اذا أصبح العرب والمسلمون أقوياء .

ومنذ حرب (١٩٦٧) حتى اليوم صدرت قرارات من مجلس الأمن وهيئة

الأمم المتحدة تدين اسرائيل وتقضي بانسحابها من الارض العربية التي احتلتها بعد تلك الحرب ، ولكن اسرائيل ضربت بتلك المقررات عرض الحائط .

وقد بذلت مساع سياسية تحت إشراف الهيئة الدولية وبمحاولات الدول الأربع الكبرى ، ولكنها باءت كلها بالإخفاق الذريع .

لم يبق أمام العرب والمسلمين غير الحل العسكري الذي يعتمد القوة سبيلاً ومنهجاً .

فكيف يتم ذلك ؟ .

- ٤ -

في سنة ثلاث عشرة الهجرية .كان خالد بن الوليد رضي الله عنه على رأس جيش المسلمين لفتح أرض الشام [١] ، فكان عليه أن يقاتل الروم بنفس الأساليب التعبوية التي يقاتلون بها أعداءهم .

وكانت أساليب الروم التعبوية في القتال ، تستند على تقسيم قواتهم الى (مقدمة) و(مؤخرة) و(ميمنة) و(ميسرة) و(قلب) ، على رأس كل منها قائد مسئول ، وكان كل قسم من هذه الأقسام يضم مجموعات ، كل مجموعة منها مؤلفة من ألف مقاتل تحت قيادة قائد من قادتهم العسكريين ، وكانوا يطلقون تعبير (كردوس)[٢] على كل مجموعة من هذه المجموعات .

---

(١) أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والأردن .

(٢) كردوس : جمعها كراديس ، وهو كتلة من الجنود تتألف من ألف مقاتل . وينقسم الكردوس الى أجزاء عشرية : العريف يقود عشرة رجال ، والنقيب يقود مائة رجل . وكلمة كردوس معربة عن اللغة الرومانية ، وأصلها كلمة (كورتيس) . انظر التفاصيل في : قادة فتح العراق والجزيرة (١٢٧) .

وبدأ خالد يعد جيشه للقتال ، فخرج في تعبية لم تعبها العرب من قبل[1] إذ نظّم جيشه في ستة وثلاثين كردوساً، وصاول الروم بهذا التنظيم العسكري المشابـــه لتنظيمهم ، وبذلك استطاع إحراز النصر عليهم في معركة (اليرموك) الحاسمة .

ولو أن خالداً قاتل الروم بأسلوب الكر والفر أو بأسلوب الصف اللذين كان العرب يقاتلون بهما من قبل ، لما انتصر على الروم في تلك المعركة .

إن اسرائيل تقاتل اعتماداً على : (الحرب الإجماعية) ، وهي الحرب التي ترتكز على حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للأمة لتكون في خدمة المجهود الحربي .

فقد استطاعت اسرائيل حشد١١٪ من طاقاتها البشرية في حرب حزيران (يونيو) سنة (١٩٦٧) للحرب ، بينما حشد العرب ثلاثة بالألف فقط من طاقاتهم البشرية للحرب .

واستطاعت اسرائيل حشد كل طاقاتها المادية الأخرى للحرب ، حتى العربة اليدويه التي يستعملها البائع المتجول كان لها مكان معين في ميدان القتال ، فكم استطاع العرب أن يحشدوا من طاقاتهم الماديـــة الأخرى للحرب ؟! .

واستطاعت اسرائيل حشد كل طاقاتها المعنوية للحرب ، فكم حشد العرب من طاقاتهم المعنوية ؟! .

إن على العرب والمسلمين أن يطبقوا (الحرب الاجماعية) ، وقـد طبقها

---

(١) الطبري (٢ / ٥٩٣) وابن الأثير (٢ / ١٥٨) .

المسلمون قبل أربعة عشر قرناً تنفيذاً لما جاء في القرآن الكريم : (انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) [1] ، فهل يعجز أحفادهم عن تطبيق الحرب الإجماعية في القرن العشرين ؟ .

إن الجيش النظامي لم يعد وحده مسئولاً عن إحراز النصر ، بل المسئول عن إحراز النصر هو الشعب كله بما فيه الجيش النظامي ، وهذا الجيش هو رأس الرمح للشعب فقط ، فلا يصح أن يدعي أحد من العرب والمسلمين غير العسكريين بأنه غير مسئول عن إحراز النصر ، فيقف موقف المتفرّج .

وبالنسبة للطاقات البشرية للعرب والمسلمين ، فإن هذه الطاقات يجب أن تحشد للمجهود الحربي بموجب تنظيم دقيق بحيث يعرف كل قادر على حمل السلاح تفاصيل واجبه في الحرب وكيف يستطيع تنفيذه .

ومعنى هذا أن كل قادر على حمل السلاح ، يجب أن يكون مدرباً على استعمال سلاحه وعلى التعاون في القتال مع أقرانه وأن يكون مجهزاً بالتجهيزات الضرورية للقتال ، وأن يكون مسلحاً بالسلاح الذي يستعمله في القتال وأن يكون (منظماً) ضمن جماعة لها قائد مسئول .

هذه الطاقات البشرية للعرب والمسلمين يمكن تقسيمها الى قسمين :

(أ) المجاورة لاسرائيل :

ويكون القادرون على حمل السلاح إما جنوداً في الجيش النظامي أو

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٤١) ، وانظر تفسيرها في تفسير الكشاف للزمخشري لتجد أن المسلمين طبقوا الحرب الاجماعية قبل أربعة عشر قرناً ، وليس كما استقر في الأفكار ، وهو أن الألمان أول من طبقها في الحرب العالمية الثانية . وانظر ما جاء عن الحرب الاجماعية في كتاب : الأمة في الحرب للمشير لودندروف .

حراساً للأماكن الحيوية التي يستهدفها العدو أو فدائيين ضمن المنظمات الفدائية أو مجاهدين .

يجب أن يكون لكل فرد واجب في خدمة المجهود الحربي .

(ب) غير المجاورة لاسرائيل :

يجب أن يكون القادرون على حمل السلاح إما في الجيش النظامي أو في المناطق التي يستطيعون منها مباشرة واجباتهم القتالية .

- ٥ -

إن تدريب الطاقات البشرية للعرب والمسلمين وتسليحها وتجهيزها وتنظيمها يحتاج إلى قيادة قادرة واعية قوية أمينة .

وهــــذه القيادة ترتكز على دعامتين : الأولى دعامة معنوية ، والثانية دعامة مادية .

إن الدعامة المعنوية لها أثر حاسم في كل قوة تصمم على القتال حتى إحراز النصر مهما كانت تكاليف القتال على الأرواح والأموال .

قبيل نشوب القتــال بين المسلمين والروم في معركة (اليرموك) الحاسمة سنة ثلاث عشر الهجرية [١] (٦٣٤ م) ، قال رجل من المسلمين لخالد بن الوليد رضي الله عنه : « مـــا أكثر الروم وأقل المسلمين ! » ، فقال خالد : « بل مـــا أقل الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان [٢] » .

---

(١) ابن الاثير (٢ / ١٥٧) .
(٢) الطبري (٢ / ٥٩٤) .

ومعنى ذلك ، أن المحاربين بعَدَدهم وعُدَدهم ومعنوياتهم ، وليس العَدد والعُدد بأهم من (المعنويات) [1] بالنسبة للمحاربين خاصة وبالنسبة للشعوب عامة .

وقد كان نابليون يقول : « قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوي ثلاثة على واحد » ، أي أن الجيش تكون قيمته المعنوية (٧٥ ٪) وقيمته المادية (٢٥ ٪) .

وأيد نابليون في قولته هذه كبار القادة العسكريين وقادة الفكر العسكري منذ أيامه حتى اليوم .

غير أن اللواء (فولر) – وهو من قادة الفكر العسكري في العصر الحديث قال في كتابه : (الأسلحة والتاريخ) : « إن نسبة المعنويات في المحاربين تساوي نسبة القضايا المادية فيهم » ، فهو يخالف نابليون بالتفاصيل ويتفق معه في المبدأ ، نظراً لاختراع الأسلحة الحديثة [2] .

والمعنويات هي العقيدة ، ولا نصر للمحاربين ولا لأي شعب لا عقيدة له: يدافع عنها دفاع المؤمن بها ، ويضحي بما يملك من روح ومال في سبيلها .

إن العقيدة هي التي تشيع الانسجام الفكري في العقول والقلوب معاً بين أبناء الشعب الواحد وبين أفراد القوات المسلحة وبين المحاربين ، وهذا يؤدي الى التعاون بين الأفراد والجماعات خدمة للمصلحة العليا للأمة .

---

(١) المعنويات : هي القوى الكامنة في صلب الانسان التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت الظروف المحيطة به ، ومهما اشتدت الأزمات وكثرت التضحيات . أنظر التفاصيل في كتاب : الوحدة العسكرية العربية – بيروت – دار الإرشاد – ١٩٦٩ – ص (١٣٢) .

(٢) أنظر التفاصيل في كتاب : الوحدة العسكرية العربية (١٢٩ – ١٣٠) .

واختلاف العقيدة في الجيش الواحد أو الشعب الواحد ، دون تعاونه ويجعل من الجيش عصابات مسلحة ومن الشعب كتلا متناقضة .

إن الروح أغلى ما يملكه الانسان ، فهو لا يضحي بها إلا دفاعاً عن مثل عليا يؤمن بها ، والعقيدة هي التي تضمن له هذه المثل العليا التي تجعله يضحي من أجلها بالمال والروح .

والعقيده بالنسبة الى العرب هي الاسلام الذي قادهم الى النصر قروناً طويلة ، فلما ضعفوا صانهم من الانهيار .

لقد غرس الاسلام في نفوس العرب حب الضبط والنظام ، وحبّب إليهم الاستشهاد في سبيل الحق ، وجعلهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر ، كما بعث فيهم الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الأداء للعالم .

وقد انتبه ابن خلدون الى أهمية العقيدة للعرب ، فقال في مقدمته : « إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة (دينية) من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم »[1] .

إن العرب بالاسلام كل شيء ، والعرب بدون إسلام لا شيء[2] ، وما يقال عن العرب يقال عن المسلمين في كل مكان .

ثم إن العرب والمسلمين يقاتلون الصهاينة ، وهؤلاء متمسكون بعقيدتهم الصهيونية التي ترتكز على الدين اليهودي أولاً وآخراً وقبل كل شيء .

---

(١) انظر التفاصيل في : مقدمة ابن خلدون – بيروت – ١٩٦٧ – (١ / ٢٦٦) .
(٢) انظر التفاصيل في : الوحدة العسكرية العربية (١٣٤ – ١٣٥) .

في الجيش الاسرائيلي حاخامات على رأسهم حاخام الجيش الأكبر ، وهم يتمتعون بسلطة لا مثيل لها ولا نظير في الجيوش الأخرى .

وفي جيش اسرائيل تجري مسابقات سنوية في التوراة ، يكرّم المتفوقون فيها أعظم التكريم وينالون أكبر الجوائز .

كما أن الجيش ضباطاً وضباط صف ومراتب أخرى ، يقيمون الشعائر الدينية عند حائط المبكى، وأفراد قوات المظلات الاسرائيلية يؤدون يمين الولاء أمام هذا الحائط : يحملون البندقية بيد ، والتوراة بيد أخرى[1].

والعقيدة – كما هو معروف – لا تحارب إلا بعقيدة ، والفكرة لا تقاوم إلا بفكرة ، من هنا تبرز أهمية القيادة الدينية للمحاربين من العرب والمسلمين.

– ٦ –

أما الدعامة الثانية التي ترتكز عليها القيادة العسكرية للمجاهدين العرب والمسلمين ، فهي المال ، والمال هو عصب الحرب ، وبدونه يصاب المجهود الحربي بالشلل التام .

إن المجاهدين بحاجة الى التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الإدارية (إعاشة ، طبابة ، تنقل ... الخ) والقيادة .

فإذا تيسّر المال بشكل مستديم منظّم ، أمكن إنجاز التدريب والتسليح والقضايا الإدارية، وإذا لم يتيسر المال فلا يمكن إنجاز ذلك بأي شكل وبأية صورة : بالشكل الذي يدوم فيه الجهاد ، وبالصورة التي يستطيع فيها المجاهدون أن ينهضوا بواجباتهم كما يرام .

---

(١) جريدة الكارديان البريطانية نقلاً عن جريدة الجمهورية القاهرية الصادرة في ٣١-٨-١٩٦٩ .

وما يقال عن المجاهدين يقال عن الجيوش النظامية وعن الفدائيين .

إن المعنويات العالية للمجاهدين ضرورية لإحراز النصر ، فإذا لم يطمئنوا الى مصير أسرهم المعاشي ، فلن تكون معنوياتهم عالية على أي حال

وعوائل الشهداء التي تعيش بكرامة ، سبب من أسباب رفـــع معنويات المجاهدين وأسرهم على حد سواء ، والعكس صحيح .

والجهاد يحتاج الى التفرغ ليؤتي ثمراته مرتين ، فلا بد من دفع (مرتبات) مناسبة للمجاهدين تكفي لمعيشة أسرهم ومعيشتهم ، فليس من المعقول أن يقاتل المجاهد كما يقاتل الرجال في ظروف يكون فيها فكره موزعاً بعيداً عن ساحة القتال ، خاصة إذا كان هذا المجاهد هو المسئول الوحيد عن إعالة أسرته وبدونه تتضور جوعاً .

لذلك لا بد من أن تكون للمجاهدين موارد ماليــة ثابتة ، والاعتماد على (التبرعات) التي قد تكون كبيرة في مدة من الزمن وقليلة في مدة أخرى لا يكفي لتصعيد الجهاد وقد يقضى عليه .

في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقــد سنة (١٨٩٧) في مدينة (بال) السويسرية تقرر جمع الأموال لاستعمار فلسطين .

ولم تمض فترة وجيزة على عقد هذا المؤتمر ، إلا وظهرت التنظيمات المالية لجمع تلك الأموال : تأسس المصرف اليهودي للمستعمرات سنة (١٨٩٨) وظهر الصندوق القومي اليهودي سنة (١٩٠١) .

وانتشرت لجان جمع التبرعات الصهيونية في جميع أرجاء العــالم ، لجمع التبرعات من الصهاينة ومن غيرهم بشتى الطرق والأساليب .

كل يهودي في العالم ، عليه أن يدفع مقداراً معلوماً من المال كل شهر ، لا يستطيع أن يتخلف عنه لحظة واحدة ولا يستطيع أن يستقطع منه قرشاً واحـــداً : بإمكانه فقط أن يضاعف المبلغ المفروض عليه تبرعاً وتطوعاً ، وليس بإمكانه التخلف عن أداء ما يجب عليه أن يدفعه شهرياً .

هذه النسبة التي يدفعها كل يهودي في العالم ، تتناسب تناسباً طردياً مع دخله الشهري ، بحيث لا يرهقه الدفع ولا يحمله من أمره ما لا يطيق .

وهذا التنظيم الدقيق لجباية الأموال بهذا الأسلوب وبكميات معلومـة ، جعل للصهاينة ميزانية ثابتة ، لا يمكن أن تؤثر الأزمات والأحداث فيها .

إن تعاون الحكومات العربية والشعوب العربية مع الحكومات الاسلامية والشعوب الاسلامية ضروري للنهوض بمهمة جمع المال للمجاهدين .

يجب إنشاء (صندوق فلسطين) لتمويل المجاهدين ورعاية أسرهم وأسر الشهداء منهم ، والعمل على أن تكون للصندوق فروع في كل بلد عربي وكل بلد إسلامي ، وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله ، فإن الإنفاق في سبيل الله من البر الذي أمر الله بـــه ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التي نص القرآن الكريم عليها .

ولست أذهب بعيداً في طريق التفاؤل ، ولكنني واثق كل الثقة من أن في العرب والمسلمين خيراً كثيراً ، وهم مستعدون للجهاد بأموالهم في سبيل الله ، ولكن الذي يحول دون جباية مبالغ خيالية في ضخامتها من المـــال أمران : الأول أن قسماً منهم لا يعرف لمن يسلّم ما تجود به نفسه من مال ـ خاصة بعد تكاثر لجــان جمع التبرعات . والثاني ، عدم الثقة الكاملة ببعض لجان جمع التبرعات لانحرافها مما يؤدي الى أن تعم الريبة على الجميع .

إن انبثاق لجان جمع المال لصندوق فلسطين في كل قرية وكل قصبة وكل مدينة ، على أن تكون مؤلفة من أشخاص معروفين ، يتميزون بالنزاهة المطلقة والإخلاص العميق ، ثم جمع التبرعات بموجب وصولات رسمية معتمدة ، سيؤدي الى انهمار المال للفدائيين الفلسطينيين والمجاهدين انهماراً .

وسيزداد المال انهماراً بعد أن تظهر آثار الفدائيين والمجاهدين في إسرائيل.

إن رجال الدين يستطيعون أن يخدموا الجهاد والمجاهدين وقضية فلسطين بصورة عامة في هذا المجال أعظم الخدمات ، وبذلك يثبتون وجودهم إيجابياً ولا يبقى كلامهم أقوالاً تذروها الرياح .

- ٧ -

إن القيادة العسكرية للمجاهدين هي التي تخرج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق العمل الايجابي البناء .

ونبدأ بتفصيل القيادة العسكرية للمجاهدين من القاعدة حتى القمة (أنظر تفاصيل قيادة المجاهدين في الملحق (أ) المرفق) .

(أ) يجب أن يكون في كل مدينة عربية أو إسلامية قيادة عسكرية للمجاهدين ، وهذه القيادة تتألف من ضباط وضباط صف من الجيوش النظامية أو من المتقاعدين .

واجب هذه القيادة هو جمع المجاهدين وتجهيزهم وتسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم في فصائل وكتائب وألوية وفرق ، وبعد إنجاز كل ذلك تنقل المجاهدين الى مراكز تجمعهم ، ومن هناك ترسلهم الى ميدان القتال .

وتعاون هذه القيادة في أداء واجباتها : القيادة الدينية المؤلفة من رجال

الذين المشهورين بالتدين والورع والاستقامة والعلم،ويكون واجب هذه القيادة شحن نفوس المجاهدين بطاقات روحية تدفعهم الى الاستقتال في الحرب ، ويكون واجبها حث الناس على الجهاد بالأموال والأنفس .

ولكي يكون أثر القيادة الدينية إيجابياً ، فلا بد من أن يتطوع قسم من رجال الدين للجهاد .

وتعاون القيادة العسكرية في واجباتها أيضاً القيادة المالية المؤلفة من أنزه رجال المدينة وأكثرهم أمانة،ويكون واجب هذه القيادة جمع الأموال وشراء التجهيزات العسكرية والذخيرة والسلاح ، وضبط الموارد المالية وتوزيع المرتبات على المجاهدين ورعاية أسرهم بعد حركتهم للجهاد والعناية بأسر الشهداء منهم .

(ب) ويجب أن يكون في كل دولة عربية أو إسلامية قيادة للمجاهدين تتألف من ضباط وذوي رتب عالية وضباط صف متطوعين .

واجب هذه القيادة هو حشد مجاهدي المدن والقرى القادمين من قيادات المدن والتأكد من إكمال تسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم ، ومن ثم نقلهم الى ميدان القتال .

وتعاون هذه القيادة ، القيادة الدينية والقيادة المالية أيضاً ، وتكون واجبات هاتين القيادتين مشابهة لواجبات القيادتين الدينية والمالية في قيادات المدن العسكرية ولكن على نطاق أوسع .

(جـ) القيادة العامة للمجاهدين ، وتكون في ميدان القتال،واجبها الأول هو قيادة المجاهدين القادمين من الدول العربية والإسلامية .

وتتألف من ضباط ذوي رتب عالية معروفين بتدينهم وتجربتهم العملية

وعلومهم العسكرية وشجاعتهم واقدامهم .

وبالنسبة للعرب والمسلمين ، فإن المنتصرين في أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم ، كلهم كانوا من الصحابة والتابعين عليهم رضوان الله وهم في أوج التدين والتقوى والورع .

والقادة العرب والمسلمون الذين انتصروا بعد الفتح الاسلامي كلهم كانوا متدينين غاية التدين ، وحسبنا أن نذكر صلاح الدين الذي استعاد فتح القدس من الصليبيين سنة (٥٨٣ هـ) المصادف سنة (١١٨٧ م) والمظفر قطز الذي انتصر على التتار سنة (٦٥٨ هـ) في (عين جالوت) والسلطان محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ) المصادف سنة (١٤٥٣م) ، فكلهم كانوا متدينين الى أبعد الحدود[١] .

فما أحوجنا اليوم الى قائد ماهر كثير التدين ، ليقود العرب والمسلمين الى النصر .

ولكن حاجتنا الى عالم عامل مجاهد يضرب أروع الأمثال للمجاهدين في البذل والتضحية والفداء من أمثال ابن تيمية والعز بن عبد السلام وأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم لا تقل عن حاجة العرب والمسلمين الى قائد ماهر متدين بل تزيد .

- ٨ -

لقد حاولت التركيز على التنظيم العسكري للمجاهدين ، لكي أدل على الطريق لإخراج ركن الجهاد الاسلامي من حيز الفتاوى الى حيز التطبيق

---

(١) أنظر التفاصيل في كتابنا : بين العقيدة والقيادة - دار الفكر - بيروت .

العملي في حرب حديثة في عصر حديث لمجابهة جيش حديث هـــو جيش إسرائيل .

ولم أتطرق للتنظيم العسكري للفدائيين والجيوش النظاميـــة ، لأنهما موجودان في الوقت الحاضر .

وبالامكان الافادة من قيادة الفدائيين لتكون النواة الصالحة لقيادة المجاهدين ، لأن تلك القيادة أصبحت لديها تجربة عملية في القتال .

لقد كان للعمل الفدائي آثار واضحة على الأرض المحتلة وفي النطاق العربي وفي البلاد الأجنبية .

في النطاق العربي ، رفع الفدائيون الروح المعنويـــة ، ونظموا صفوف الفلسطينيين ، وجعلوا منهم قوة ضاربة ذات شأن ، كما برزت من صفوف الفلسطينيين قيادة فلسطينية أثبتت عملياً بأنها قادرة على تنغيص حيـــاة الصهاينة المحتلين .

وفي البلاد الاجنبية ، استطاع الفدائيون الاستحواذ على أجهزة الأعلام العالمية ، وبرهنوا بالدم على أن حقهم في فلسطين وراءه مطالب ، وأن شعب فلسطين لا يمكن أن يتخلى عن حقوقه ، مهما طال الزمن وتضاعفت الخسائر .

واستطاع الفدائيون في نطاق الهيئات الدولية أن يبرزوا قضية فلسطين ، فأصبحت تلـك الهيئات تهتم بها وتخشى عواقبها . بينما كانت قضية فلسطين قبل أن يتكلم الفدائيون بالدم مجرد فقرة ثابتة في جدول أعمال الأمم المتحدة ومجلس الأمن يتكرر ذكرها بدون نتيجة ملموسة .

وفي نطاق الارض المحتلة ، استطاع الفدائيون أن يجعلوا من اسرائيل منطقة غير آمنة على الحياة والمال والممتلكات ، مما أشاع الرعب بين سكانهـا

وحرمها من تدفق المهاجرين الجدد والأموال الأجنبية والسياح اليها، وضاعف من نفقات اسرائيل على قواتها المسلحة .

تلك هي لمحات مختصرة جداً من انجازات الفدائيين ، وهي تستحق أعمق التقدير وأعظم الاعجاب .

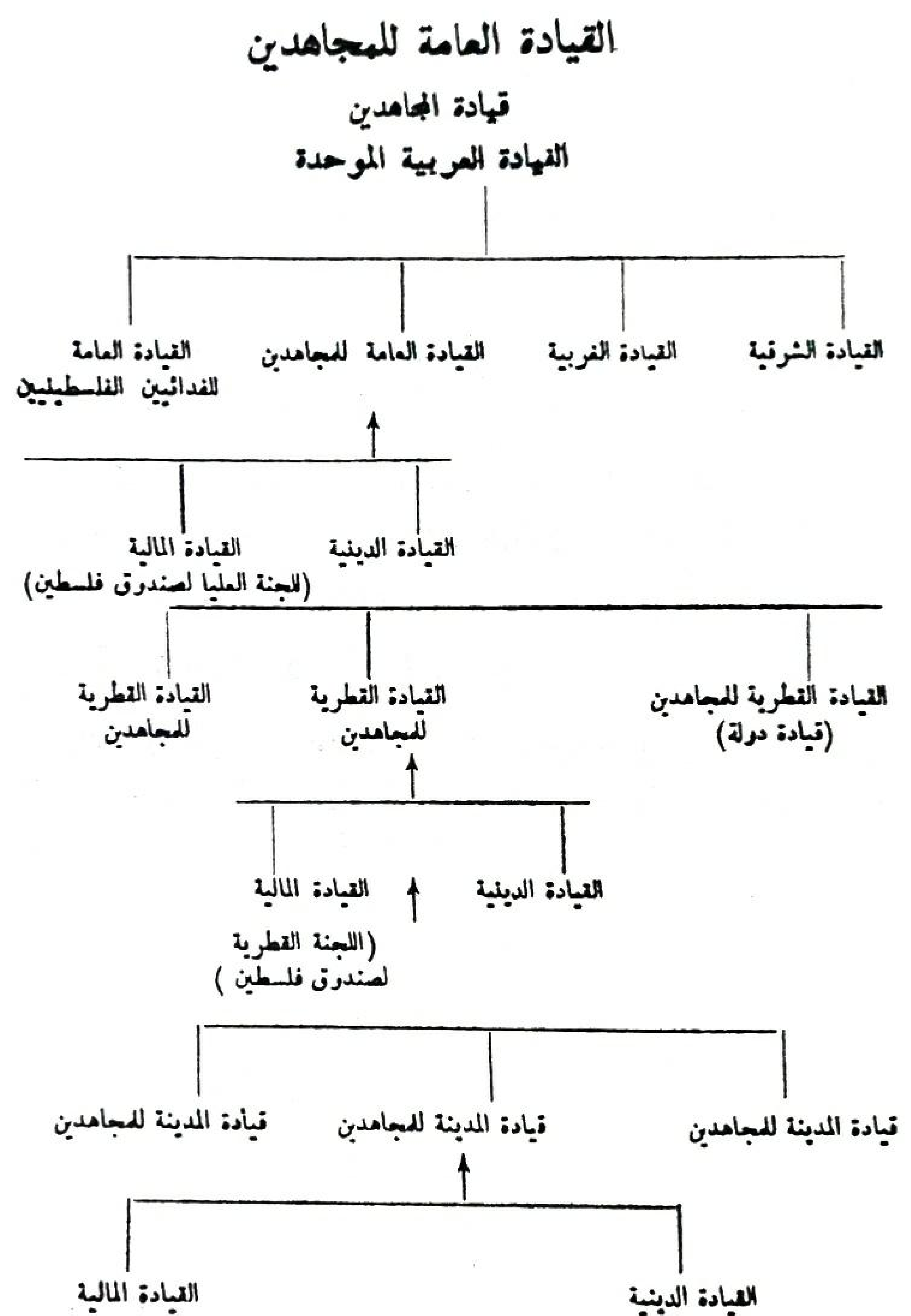
والفدائيون مجاهدون ، وتجربتهم الرائدة أثبتت وجودها عملياً في الميدان ، ولكن تعداد الفدائيين قليل بالنسبة لتعداد العرب والمسلمين .

فماذا سيحدث لو تضاعف عددهم بالمجاهدين المؤمنين الصادقين ؟
إن الصهاينة ستميد بهم الأرض في اسرائيل، وسيقولون كما قال أسلافهم من قبل : (إن فيها قوماً جبارين) .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

والله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله إمام المجاهدين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الملحق (أ)

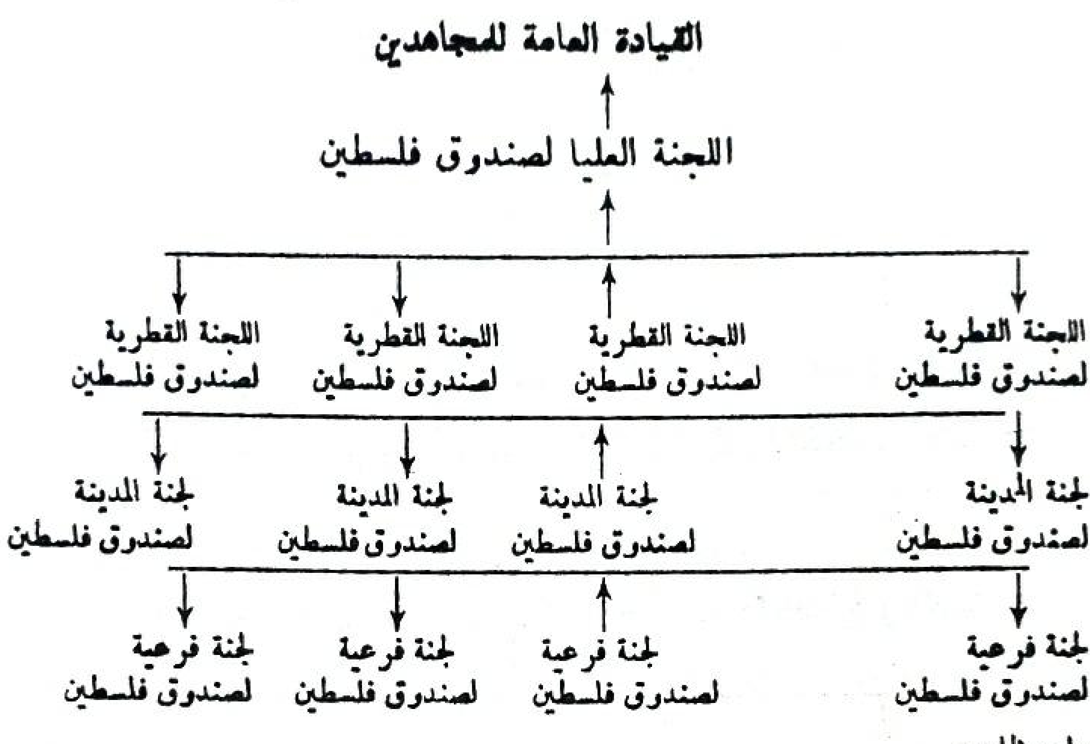


ملحوظة :

١ - أنظر تفاصيل صندوق فلسطين في اللحق (ب) .
٢ - أنظر تفاصيل القيادة الروحية في اللحق (جـ) .

الملحق (ب)

القيادة المالية لصندوق فلسطين



ملحوظات :

١ – تصدر اللجنة العليا لصندوق فلسطين وصولات معتمدة توزعها على اللجان القطرية .

٢ – تودع الاموال المجباة في المصارف : كل لجنة يكون لها اعتماد في مصرف معين باسم: صندوق فلسطين .

٣ – كل لجنة من اللجان تخول بجمع الاموال من اللجنة التي هي أعلى منها ، وذلك منعاً لتعدد اللجان دون مسوغ .

٤ – لكي يكون لصندوق فلسطين مورد ثابت ، اقترح أن يقدم كل عربي وكل مسلم ما لا يقل عن واحد بالمائة من دخله الشهري الى صندوق فلسطين شهرياً .

أما الزكاة فيكون تقديمها للصندوق بخيار صاحب الشأن .

٥ – أماكن اللجان :

(ا) اللجنة العليا بالقرب من جبهة القتال بتماس شديد مع القيادة العامة للمجاهدين .

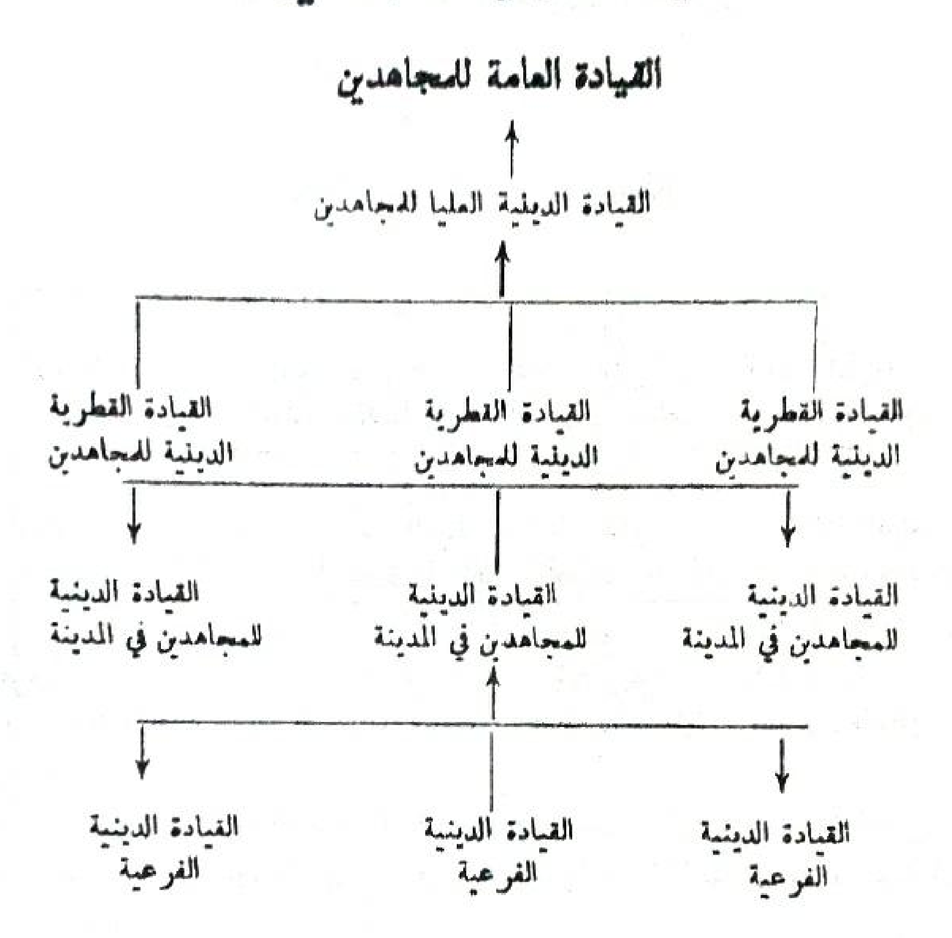
(ب) اللجنة القطرية في عاصمة الدولة أو المملكة العربيه او الاسلامية قريباً من القيادة القطرية للمجاهدين .

(جـ) لجنة المدينة : في المدينة العربية او الاسلامية بجوار قيادة المدينة للمجاهدين .

(د) تكون اللجان الفرعية في الأماكن التي تنسبها لها لجنة المدينة .

الملحق (جـ)

القيادة الدينية للمجاهدين



ملحوظات :

١ — القيادة الدينية العليا للمجاهدين تكون برئاسة شيخ الازهر الشريف وعضوية عالم عامل من كل قطر عربي واسلامي

وتضع هذه القيادة منهجاً للمحاضرات التي تلقى على المجاهدين وتضع الخطوط العريضة لكل محاضرة .

٢ — القيادة القطرية الدينية للمجاهدين تكون برئاسة مفتي القطر أو أكبر عالم عامل فيه .

٣ — القيادة الدينية المدينة تكون برئاسة شيخ علماء تلك المدينة .

٤ — القيادة الدينية الفرعية ينهض بها عالم القرية او القصبة او القضاء،فاذا لم يتيسر فيمكن إيفاد عالم من المدينة .

٥ — يجب أن يكون العالم العامل جاهزاً للنهوض بأعباء الجهاد بنفسه وماله .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الواحد الأحد ، وصلى الله على سيد القادات وقائد السادات النبي العربي وعلى آله وأصحابه أجمعين .

حين يقرأ العرب والمسلمون وغير العرب والمسلمين سيرة خالد بن الوليد وسير أمثاله من قادة الفتح الاسلامي العظيم ، يرد على أفكارهم هذا الخاطر - خاصة بعد الذي حدث في فلسطين وفي حرب فلسطين بين العرب وإسرائيل: « إما أن يكون خالد وأمثاله من نسج الخيال ، وإما أن يكون العرب قد تبدلوا تبدلاً جذرياً . لأن آباءهم وأجدادهم في السماء علواً ومجداً ، وهم في الحضيض ذلة واستكانة .

والواقع أن رجال العرب مظلومون ، والأمة العربية مظلومة ، لأن هذه الأمة لا يزال فيها قادة من الطراز الأول ، ولكنهم مغمورون محاربون لا يفسح لهم مجال ولا تعطى لهم الحرية ولا يتمعون بالصلاحية اللازمة لاظهار أنفسهم ورفع شأن أمتهم بين الأمم .

ومن دراستي لسيرة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وجدت أن من أسرار نجاحه قائداً ورسولاً ، هو تمتعه بموهبة فذة في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

لقد نمى نفسه عليه أفضل الصلاة والسلام ، فكان يبني الرجـــال ولا يحطمهم ، ويختار ذوي الكفايات العالية ويقربهم ، لذلك خلف من بعده قادة وحكاماً وإداريين وقضاة ورؤساء وخلفاء ، قادوا الأمة الاسلامية الى المجد والسؤدد .

فما أحرى زعماء العرب اليوم أن يقتفوا آثار الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ، فيولوا الرجال الأقوياء الأمنـــاء – كل حسب كفايته – المناصب ليريحوا ويستريحوا .

عند ذاك سيقول الناس كافة : هذه هي الأمة العربية ، وهؤلاء هم رجالها، وتاريخها المجيد ليس من نسج الخيال بل من صميم الواقع .
والله أسأل أن يهدي المسئولين العرب سواء السبيل .

السيرة

«وقالوا : لولا نزل هـذا القرآن
على رجـل من القريتين عظيم»

(قرآن كريم)

هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي [1].

كان أبوه الوليد بن المغيرة سيداً من سادات قريش وجواداً من أجوادها، وكان يلقّب بالوحيد: أرّخت قريش بوفاته لإعظامها إياه [2]، وهو الذي قال لقريش لما أجمعوا أمرهم في هدم الكعبة وبنائها: «يا معشر قريش! لا تُدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيّباً: لا يدخل فيه مهر بغيّ ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس» [3].

ولكنه وقف موقفاً عدائياً من دعوة رسول ﷺ [4] الى الاسلام، فذهب جماعة من المشركين كان الوليد من بينهم، الى أبي طالب يسألونه: «إما أن تكفّه عنا، وإما أن تخلّي بيننا وبينه» [5].

ومر النبي ﷺ يوماً بالوليد وأمية بن خلف وأبي جَهْل بن هشام،

---

(١) طبقات ابن سعد (٧ - ٣٩٤) والاصابة (٢ - ٩٨) وأسد الغابة (٢ - ٩٣) والاستيعاب (٢ - ٢٣٨)، وانظر ما جاء عن بني مخزوم في العقد الفريد (٢ - ٢٠٥)، وانظر جمهرة أنساب العرب (١٤٧).

(٢) الأغاني للأصبهاني (١٥ - ٢٥).

(٣) سيرة ابن هشام (١ - ٢١٠)، وفي لفظ: «لا تجعلوا في نفقة هذا البيت شيئاً أصبتموه غصباً ولا قطعتم به رحماً، ولا انهكتم فيه ذمة أحد بينكم وبين أحد من الناس». وفي رواية ان الذي قال ذلك هو أبو وهب بن عمرو المخزومي.

(٤) أنظر تفاصيل أسماء الذين جاهروا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأذى في جوامع السيرة لابن حزم ص (٥٢ - ٥٤).

(٥) سيرة ابن هشام (١ - ٢٧٧).

فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به ، فغاظه ذلك ، فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم : (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) [1] ، وفي الوليد نزل قوله تعالى : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً . وَبَنِينَ شُهُوداً . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً . سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ .. الآية) [2] . وسبب نزولها ، أن الوليد سمع النبي ﷺ يقرأ : (حم . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ – إلى قوله الْمَصِيرُ) [3] ، فلما فطن النبي ﷺ لاستماع الوليد لقراءته ، أعاد قراءة الآية ، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم ، فقال : « والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ! إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وأسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يُعلى » ، ثم انصرف الى منزله ، فقالت قريش : « صبأ والله الوليد ، والله لتصبأن قريش كلها » ، وكان يقال للوليد ريحانة قريش ، فقال لهم أبو جهل : « أنا أكفيكموه ! » ، ونجح فعلاً في صدّ الوليد عن الاسلام [4] .

---

(١) سيرة ابن هشام (١ – ٤٢٣) ، والآية الكريمة في سورة الأنعام (٦ – ١٠) وانظر تفسيرهـا في تفسير ابن كثير وبهامشه تفسير البغوي (٣ – ١٩٢) ، وفي تفسير الكشاف للزمخشري (٢ – ٤٤٤) ، وفي تفسير المنار (٧ – ٣٢٠) .

(٢) راجع تفسير ابن كثير وبهامشه تفسير للبغوي (٩ – ٤٢ – ٤٨) ، وتفسير الكشاف لزمخشري (٣ – ٢٣٠ – ٢٣١) ، وهذه الآيات الكريمة من سورة المدثر (١١ – ٢٤) . وبسر : أي كلح وكره .

(٣) من سورة غافر (٤٠ : ١ – ٣) .

(٤) أنظر تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير (٩ – ٤٤ – ٤٥) وفيه تفاصيل الحديث الذي دار بين أبي جهل والوليد ، وبين الوليد وقريش .

وفي الوليد عظيم مكة ، نزل قوله تعالى : (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [1] ، ومن أجله وأجل أمثاله من رجالات قريش نزلت الآية الكريمة : (عبس وتولى) [2] .

وعندما فكّر الرسول ﷺ في مبادأة الحاج من مختلف القبائل بالدعوة الى الله ، اجتمع نفر من قريش الى الوليد يتشاورون : ماذا عسى أن يقولوا في شأن محمد للعرب القادمين الى موسم الحج ؟! حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذّب بعضهم بعضاً ؛ فاقترح بعضهم أن يقولوا ، إنه كاهن ؛ فقال الوليد : « ما هو بكاهن ! لقد رأينا الكهّان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه » [3] .

واقترح آخرون أن يزعموا أن محمداً مجنون ، فقال الوليد : « لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ووسوسته » [4] .

واقترح غيرهم أن يقولوا : إنه شاعر ، فقال الوليد : « ما هو بشاعر ! لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر » .

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير وبهامشه تفسير البغوي (٧ - ٣٩٥) : وهم يعنون الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود من الطائف مع أقوال أخرى متشابهة. وانظر تفسير الكشاف للزمخشري (٣ - ٧٨) والآية الكريمة من سورة الزخرف (٤٣ : ٣١) .

(٢) انظر تفسير الكشاف للزمخشري (٣ - ٢٥١) وفيه : إن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش : عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة ، يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم . وانظر سيرة ابن هشام (٢ - ٣٨٨) .

(٣) زمزمة الكاهن : كلام خفي لا يفهم . وسجعه : أن يجعل لكلامه المنثور نهايات الشعر .

(٤) الخنق : الاختناق الذي يصيب المجنون . والتخالج : اختلاج الأعضاء وتحركها في غير إرادة . والوسوسة : ما يلقيه الشيطان في نفس الانسان .

واقترح بعضهم أن يُتهم محمد بالسحر ، فقال الوليد : « ما هو بساحر ! لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم » [١] .

وبعد حوار طويل ، اقترح الوليد عليهم أن يقولوا للحاج من العرب عن محمد : « إن هذا الرجل ساحر البيان ، وإن ما يقوله سحر يفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته !! » فتفرّقوا عن الوليد ، وجعلوا يجلسون بِسُبُل [٢] الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذّروه إياه [٣] ، وبذلك شهرت قريش على الرسول ﷺ سلاح الدعاية ، وكان الوليد هو الدماغ المفكّر الموجه لهذه الدعاية الظالمة .

لقد كانت للوليد مكانة مرموقة بين سادات قريش ، فهو عدلها ، يكسو الكعبة عاماً وتكسوها قريش بأجمعها عاماً آخر [٤] ، لشرفه ورجاحة عقله واتزانه ؛ ومع ذلك ، كانت تقاليد الجاهلية بكل عيوبها مسيطرة عليه : يأمر بأخذ الثأر ولو كان أخذه ظلماً ، ويأمر بأخذ الربا ولو بعد موته[٥]... الى غير ذلك من التقاليد البالية ؛ ولكن خالداً أسقط ربا والده في (ثقيف) لما أسلم أهل (الطائف) [٦] .

وأم خالد اسمها (عصماء) وهي لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب وهي أخت أم الفضل بنت الحارث أم بني العباس بن عبد المطلب [٧] وأخت

---

(١) نفثهم وعقدهم : إشارة الى ما كان يفعل الساحر ، إذ كان يأخذ خيطاً فيعقده ثم ينفث عليه . ومن ذلك قوله تعالى : (ومن شر النفاثات في العقد) ، أراد الساحرات .

(٢) السبل : طرق الناس ، وأحدها سبيل .

(٣) سيرة ابن هشام (١ - ٢٨٣ - ٢٨٤) .

(٤) السيرة الحلبية (١ - ٣٤٧) وأنساب الأشراف (١ - ٦٠) .

(٥) أنظر وصيته لأولاده في سيرة ابن هشام (٢ - ١٨ - ١٩) .

(٦) سيرة ابن هشام (٢ / ٢٣) .

(٧) طبقــات ابن سعد (٤٧ / ٣٩٤) ، وفي أسد الغابة (٢ / ١٠٣) أنها لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية . وكذلك في الاصابة (٢ / ٩٨) والاستيعاب (٢ / ٤٢٧) .

ميمونة زوج النبي ﷺ [١] ، وفي (مُرّة) يجتمع نسب الرسول ونسب بني مخزوم [٢] .

وخالد من بني مخزوم ، وهـــم بطن من عشرة أبطن [٣] من قريش ، انتهى إليها الشرف قبل الاسلام فكان في بني مخزوم القبة وأعنة الخيل ؛ أما القبة فكانوا يضربونها ويجمعون ما يجهزون به الجيش ، وأما الأعنة فهي قيادة الفرسان في الحروب [٤] .

وتتجلى مكانة بني مخزوم بين قريش ، أنهم بنوا وحدهم ربع الكعبة الذي بين الركنين الأسود واليماني،بينا بنت قريش كلها ما بقي من الكعبة[٥]

لقد كان خالد شريفاً في الجاهلية ، نشأ في بيت شريف هو بيت الوليد بن المغيرة ، في بطن شريف هم بنو مخزوم في قبيلة شريفة هي قريش ، في مكان شريف هو مكة المكرمة .

---

(١) الاصابة (٢ / ٩٨) وأسد الغابة (٢ / ٩٣) والاستيعاب (٢ / ٤٢٧) وجوامع السيرة لابن حزم ص ٢١٩ لذلك فإن ميمونة أم المؤمنين هي خالة خالد بن الوليد وعبدالله بن العباس بن عبد المطلب .

(٢) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣ ، وذلك لأن :

أ – محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن (مرة) ابن كعب .

ب – خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن (مرة) بن كعب .

ج – وفي مرة يجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم ونسب خالد ونسب أبي بكر الصديق لأنه :
أبو بكر بن عثمان (أبي قحافة) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن (مرة) ابن كعب .

(٣) هم : ١ – بنو هاشم ٢ – بنو نوفل ٣ – بنو أمية ٤ – بنو عبد الدار
٥ – بنو تيم ٦ – بنو أسد ٧ – بنو مخزوم ٨ – بنو عدي
٩ – بنو جمح ١٠ – بنو سهم .
راجع سيرة ابن هشام (١ / ١٤٣ – ١٤٤) .

(٤) أسد الغابة (٢ / ٩٣) والاستيعاب (٢ / ٤٢٧) وانظر بلوغ الأرب (١/ ١٥٠) .

(٥) سيرة ابن هشام (١ / ٢١١) .

في الجاهلية

« وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا

وَبَنِينَ شُهُوداً »

(القرآن الكريم)



عمله

تولى خالد عن بني مخزوم القبة والأعنة ، فتفرغ للأمور العسكرية ، ولم يحترف حرفـــة تدر عليه أرباحاً مادية ، لأن والده كان من أغنى أغنياء قريش [1] . وقد جاء في القرآن الكريم عن والده : « وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودا » مبسوطاً كثيراً ، قيل كان له الزرع والضرع والتجارة . وعن ابن عباس في تفسير هذه الآية : هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال ، وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفاً ولا شتاء [2] . وجاء في القرآن الكريم عن والده أيضاً : « وَبَنِينَ شُهُودًا » أي لوفورة نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم [3] .

لقد كان عمل خالد مقتصراً على واجبه العسكري : قيادة الرجال في أيام الحرب ، والتدريب على الفروسية واستعمال السلاح في أيام السلم ، فلا عجب أن يتفوق على أقرانه في تدريبه وقيادته .

---

(١) السيرة الحلبية (١ - ٣٤٧) وقد كانت له بساتين كثيرة لا ينقطع ثمرها طول العام .

(٢) أنظر تفسير الكشاف للزمخشري (٣ - ٢٣٠) وفي تفسير ابن كثير (٩ - ٤٣) : أي واسعاً كثيراً ، قيل ألف دينار ، وقيل مائة ألف دينار ، وقيل أرضاً يستغلها . وانظر تفسير البغوي بهامش تفسير ابن كثير (٩ - ٤٣) والآية الكريمة من سورة المدثر (٧٤ - ١٢) .

(٣) انظر تفسير الكشاف للزمخشري (٣ - ٢٣٠) وفي تفسير ابن كثير (٩ - ٤٣) قال مجاهد : لا يغيبون : أي حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم . والآية الكريمة : من سورة المدثر (٧٤ : ١٣) .

في أحد

كان خالد يقف موقف المعاداة للاسلام أسوة برجالات قريش ، فكان شديد الحرص على النكاية بالمسلمين في معاركه التي خاضها مع كفار مكة للقضاء على الدين الجديد .

وبرز اسم خالد لأول مرة قائداً من قادة المشركين في غزوة (أُحُد) ، فقد جعلته قريش على ميمنتهم في الخيل ، وجعلت على ميسرتهم عِكْرِمَة ابن أبي جَهْل [1] .

وكان الرسول ﷺ في هذه الغزوة قد وضع على رابية مشرفة خمسين من رماة المسلمين على رأسهم عبدالله بن جُبَير [2] ، وأمرهم بحماية ظهور المسلمين خوفاً من أن يضربهم المشركون من الخلف، وقال لهم : « قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تَشركونا ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا [3] » . ولكن هؤلاء الرماة الذين رأوا انتصار المسلمين في

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم ص (١٥٩) وسيرة ابن هشام (٣ - ١١) وانظر ترجمة عكرمة بن أبي جهل في: قادة فتح الشام ومصر (٨٥ - ٩٥) .

(٢) عبدالله بن جبير الانصاري : شهد بيعة العقبة مع السبعين من الانصار ، وشهد بدراً وأحداً ، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرمـــاة لحماية ظهور المسلمين ، فلما اختلف الرماة وانسحب أكثرهم من مواضعهم لأخذ الغنائم من معسكر المشركين ، ثبت عبدالله في مكانه مع نفر لا يبلغون العشرة وقـــاوم هجوم خالد بن الوليد حتى فنيت نبله ، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ، ثم كسر جفن سيفه ، فقاتل فرسان خالد حتى استشهد بطلا راجع طبقات ابن سعد (٣ - ٤٧٥) والاصابة (٤ - ٤٥) وأسد الغابة (٣ - ١٣٠) والاستيعاب (٣ - ٨٧٧).

(٣) طبقات ابن سعد (٢ - ٤٠) . وفي سيرة ابن هشام (٣ - ١٠) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لقائد الرمـــاة : « انضح - أي ادفعهم عنا - الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك، لا نؤتين من قبلك » . وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٧ - ٢٦٩ - ٢٧٠) .

الصفحة الأولى من معركة (أحد) ، اختلفوا فيما بينهم ، فانطلق أكثرهم ينتهبون معسكر المشركين ، وثبت قائدهم في نفر يسير دون العشرة في مواضعهم .

ونظر خالد الى خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلّة مَنْ فيه من المسلمين ، فكرّ بالخيل وحمل على مَن بقي من الرماة ، فقتلهم [1] ، وبذلك ضرب قوات المسلمين من الخلف على حين غرة منهم ، ثم شنّت قريش هجوماً على المسلمين من الأمام ، فطوقت قوات المشركين قوات المسلمين من جميع الجهات .

والتجأ النبي ﷺ بأصحابه الى جبل (أحد) بعد قتال شديد ، ولكن خالداً أراد القضاء على المسلمين قضاءاً نهائياً ، فقاد فرسانه الى الجبل ، غير أن المسلمين استقتلوا لصد فرسان خالد واضطروهم على الانسحاب [2] .

إن فضل انتصار المشركين على المسلمين انتصاراً تعبوياً في (أحد) يعود الى قيادة خالد [3] .

في غزوة الخندق

قصد نفر من يهود قريشاً في مكة المكرمة ، فدعوهم الى حرب الرسول ﷺ ، ثم قصدوا غَطَفان وسُلَيْماً وقبائل أخرى ، فاستطاعوا جمع عشرة آلاف مشرك حول المدينة [4] المنورة .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ - ٤١ - ٤٢) و (٣ - ٤٧٥) واليعقوبي (٢ - ٣٦) .

(٢) سيرة ابن هشام (٣ - ٣٥) .

(٣) راجع تفاصيل دور خالد في معركة (أحد) في : (الرسول القائد) ص ١٥٩ - ١٨٩) الطبعة الثالثة .

(٤) طبقات ابن سعد (٢ - ٦٦) وهم أربعة آلاف من قريش وأحابيشهم ، وسبعمائة من بني سليم ، وألف من فزارة ، وأربعمائة من أشجع ، وأربعمائة من بني مرة ، وخرج معهم غيرهم .

وقرر المسلمون البقاء في المدينة ، وحفروا خندقاً عميقاً يحيط بشمالها لا يتمكن الأحزاب من اجتيازه ، ولكن خالداً كان من بين الذين حاولوا اختراقه ، فكان يصول ويجول بخيله ويناوش المسلمين ويقدّم رماته فيرمون، ويحاول أن يجد مضيقاً في الخندق يقحم خيله ، فلما لم يفلح هو وأمثاله ، قالوا : « إن هذا لمكيدة ما كانت العرب تصنعها » [١] .

وهاجمت كتيبة من المشركين بقيادة خالد مواضع المسلمين يوماً كاملاً من الصباح حتى حلول الليل ، وكان هجومهم بدرجة من الشدة بحيث شغلوا النبي ﷺ وأصحابه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ولكن هجوم خالد هذا لم ينجح [٢] .

وفي ذلك اليوم كرّ خالد ليلاً في خيل المشركين يطلبون غرّة من المسلمين، فناوشهم ساعة ، ولكن هجوم خالد الليلي لم ينجح أيضاً [٣] وعند ذاك عاد رسول الله ﷺ الى قبّته ، فأمر بلالا [٤] فأذن وأقام الظهر فصلى ، ثم أقام بعد كل صلاة إقامة ،وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ - ٦٨) .
(٢) طبقات ابن سعد (٢ - ٦٨) .
(٣) طبقات ابن سعد (٢ / ٦٨) .
(٤) بلال بن رباح الحبشي : مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين الذين كانوا يعذبونه على التوحيد . فكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة لتوضع على صدره ، ثم يقول أمية : « لا يزال بلال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد » فيقول بلال وهو في ذلك : « أحد! أحد ! » ، فمر به أبو بكر فاشتراه بعبد له أسود وأعتقه ، فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . ثم خرج بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى الشام مجاهداً ، فلم يزل بها حتى توفي . راجع طبقات ابن سعد (٣ / ٢٣٢) و (٧ / ٣٨٥) والاصابة (١ / ١٧٠) وأسد الغابة (١ / ٢٠٦) والاستيعاب (١ / ١٧٨) .
(٥) طبقات ابن سعد (٢ / ٦٩) .

ولما أخفقت محاولات المشركين وكروا راجعين ، أقام عمرو بن العاص وخالد في مائتي فارس ساقه للمشركين مخافة الطلب [1] ، وبذلك استطاع (الأحزاب) أن ينسحبوا من مواضعهم حول الخندق بأمان .

وهكذا أثبت خالد في هذه المعركة أنه يستأثر بالخطر دائماً : يهاجم ويديم زخم الهجوم [2] في المعركة ، ويحمي انسحاب قواته بعدها .

في غزو الحديبية

قاد خالد خيل قريش في غزوة الحديبية ، وتقدم الى (كُراع الغَميم)[3] ليحول بين المسلمين وبين مكة . ودنا خالد في خيله حتى نظر الى أصحاب رسول ﷺ ، فأمر عباد بن بشر [4] فتقدم بخيله حتى وقف بإزاء خيل خالد [5] .

وصلى الرسول ﷺ بأصحابه ، فندم خالد على ألا يكون قد هاجمهم

(١) طبقات ابن سعد (٢ / ٦٩) والسيرة الحلبية (٢ / ٤٢٢) .

(٢) يديم زخم الهجوم : يستمر فيه بشدة دون هوادة .

(٣) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال : راجع معجم البلدان (٧ / ٢٢٦) .

(٤) عباد بن بشر الانصاري : من بني عبد الاشهل . أسلم بالمدينة على يدي مصعب بن عمير مبكراً ، وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه النبي على صدقات بعض القبائل وجعله على مقاسم (حنين) واستعمله على حرسه بتبوك من يوم قدم الى أن رحل . وشهد يوم اليمامة وكان له يومئذ بلاء وغناء ومباشرة للقتال . وطلب الشهادة ، حتى استشهد يومئذ سنة اثنتي عشرة وهو ابن خمس وأربعين سنة. راجع طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٠) والاصابة (٤ / ٢٢) وأسد الغابة (٣ / ١٠٠) والاستيعاب (٧ / ٨٠١) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣ / ٩٥) وسيرة ابن هشام (٣ / ٣٥٦) .

وقت صلاتهم واستعد لمباغتتهم متى قاموا لصلاة أخرى ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام صلى بأصحابه صلاة الخوف[1] ، فكان المسلمون يتناوبون الحراسة والصلاة ، وبذلك فوت الرسول القائد على خالد فرصته في مباغتة المسلمين .

في عمرة القضاء

خرج خالد من مكة [2] ، كما خرج منها غيره من سادات قريش حين دخلها النبي ﷺ وأصحابه في عمرة القضاء ، مما يدل على أنه كان لا يزال مصراً على كرهه للاسلام والمسلمين .

لقد كان الاسلام يزحف بدون خالد ، واستمر في زحفه بعد خالد ، والعقيدة تبقى والرجال لا يبقون .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ / ٩٠) وعيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير (٢ / ١١٤) والسيرة الحلبية (٣ / ١٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ / ٢٩٤) والاستيعاب (٤ / ١٠٠٩) .

مَعَ النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم



إسلامه

« ألقت اليكم مكة بأفلاذ أكبادها »
(محمد رسول الله)

سأل رسول الله ﷺ وهو بمكة في أيام (عمرة القضاء) الوليد بن الوليد[1] أخا خالد قائلاً : « أين خالد ؟ » . ! ثم قال النبي ﷺ : « ما مثل خالد من جهل الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وجدّه مع المسلمين على المشركين ،

---

(١) الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي : وقع الوليد في أسر المسلمين أثناء معركة (بدر) وكان حينذاك مشركاً ، فقدم في فدائه أخواه خالد وهشام ، فتمنع الذي أسره وهو عبدالله بن جحش حتى افتكّاه بأربعة آلاف درهم ، وقيل افتكاه بدرع أبيه وسيفه . ثم خرجا به حتى بلغا (ذا الحليفة) بين مكة والمدينة ، فأفلت منهما . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه . فقال له خالد : « هلا كان ذلك قبل أن نفتدي ؟! » ، فقال : « ما كنت لأسلم حتى أفتدي بمثل ما افتدى به قومي ، ولا تقول قريش : انما اتبع محمداً فراراً من الفدى » ، ثم خرجا به الى مكة ، إذ كانت شروط هدنة الحديبية حينذاك نافذة المفعول ، حيث لا يقبل المسلمون أحداً من قريش يلتجىء اليهم — فحبساه بمكة مع نفر من بني مخزوم كانوا أقدم اسلاماً منه ، ولكنه أفلت من الوثاق فقدم المدينة ، فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة لينقذ مسلمين آخرين من بني مخزوم من السجن ، فاستطاع الوصول الى السجينين وفروا جميعاً ، فلما دنوا من حرة المدينة ، قطعت إصبع الوليد ، فقال :

هل أنت إلا إصبع دميت   وفي سبيل الله ما لاقيت

ومات بعد ذلك بالمدينة . راجع طبقات ابن سعد (٤-١٣١) والإصابة (٦-٣٠٦) والاستيعاب (٤-٥٥٨) .

لكان خيراً له ولقدمناه على غيره[1]، فكتب الوليد بذلك الى خالد، فكان ذلك سبب هجرته [2].

ولست أشك في أن رسالة الوليد هذه الى أخيه خالد كانت (حافزاً) له للهجرة الى النبي ﷺ أو سبباً مباشراً لذلك، أي أنها (زادته رغبة في الاسلام ونشّطته للخروج)[3]، إذ أنه كان قد فكر في الاسلام من قبل واقتنع بمبادئه قبل هذه الرسالة بوقت طويل أو قصير يدلنا على ذلك قول خالد يخاطب عمرو بن العاص حين رآه في الطريق الى المدينة: « والله لقد استقام المَنْسِمِ[4]. إن الرجل لنبي. اذهب والله أسلم، فحتى متى »[5]؟!

قال خالد: « وطلبت مَن أصاحب، فلقيت عثمان بن طلحة [6] فذكرت الذي أريد، فأسرع الاجابة؛ فخرجنا جميعاً، فلما كنا (بالهَدّة) [7] اذا

---

(١) طبقات ابن سعد (٣ - ٣٩٤).

(٢) الإصابة (٦ - ٣٢٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٧ - ٣٩٤).

(٤) لقد استقام المنسم : هذا مثل، معناه : لقد تبين الأمر ووضح ولم يعد فيه شك ولا لبس، وأصل المنسم - بفتح الميم وسكون النون وكسر السين - خف البعير. وفي بعض الروايات : لقد استقام الميسم، والميسم الحديدة التي توسم بها الابل وغيرها. أي تعلم.

(٥) ابن الأثير (٢ - ٨٨) والطبري (٢ - ٣١٤) قد استقام الميسم، وفي سيرة ابن هشام (٣ - ٣١٩) قد استقام المنسم، وقد أثبتنا ذلك، لأنه أقرب للمعنى.

(٦) عثمان بن أبي طلحة القرشي العبدري : قتل أبوه وعمه وأربعة من إخوته كفاراً يوم أحد، ولكنه عندما استبان له الحق هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة خالد بن الوليد، فأسلم وأقام بالمدينة وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة. فدفع اليه والى ابن عمه مفتاح الكعبة يوم الفتح، وقال : خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ». وأقام عثمان بالمدينة، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل الى مكة فأقام بها حتى مات سنة اثنين واربعين الهجرية وقيل انه استشهد يوم اجنادين في ميادين فتح أرض الشام. راجع التفاصيل في الاصابة (٤ - ٢٢٠) وأسد الغابة (٣ - ٣٧٢) والاستيعاب (٣ - ١٠٣٤).

(٧) الهدة : موضع بأعلى (مر الظهران) على طريق مكة - المدينة - راجع معجم البلدان (٨ - ٤٥٠).

عمرو بن العاص . قال مرحباً بالقوم ! قلنا : وبك . قال : أين مسيركم ؟!

« فأخبرناه وأخبرنا أيضاً أنه يريد النبي ﷺ ، فاصطحبنا جميعاً ، حتى قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان[1] ، فلما طلعتُ على رسول الله ﷺ ، سلّمتُ عليه بالنبوة ، فرد عليّ السلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : قد كنت أرى لـك عقلاً رجوت الاّ يسلمك إلاّ الى خير . وبايعت رسول الله ﷺ ، وقلت : استغفر لي كل مـا أوضعْت فيه من صد عن سبيل الله ! فقال : إن الاسلام يجُبُّ ما كان قبله . قلت : يا رسول الله على ذلك ! قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كلما أوضع فيه من صد عن سبيلك ... فوالله ما كان رسول الله ﷺ يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحزنه »[2] .

وقال النبي ﷺ عندما رأى خالداً وصاحبيه : « ألقت اليكم مكة أفلاذ كبدها » ، يعني أنهم وجوه الناس من أهل مكة[3] .

وأقطع رسول الله ﷺ خالداً موضع داره[4] ، فاستقـــر الى جانب النبي ﷺ في المدينة المنورة ، وكان موضع ثقته ومن كتّابه .

لقد كان إسلام خالد كسباً عظيماً للمسلمين .

---

(١) راجع الطبري (٢ - ٣١٥) وابن الاثير (٢ - ٨٨) وتاريخ أبي الفدا (١ - ١٤٢) وانظر قصة اسلامه في صفة الصفوة (١ - ٢٦٨ - ٢٦٩) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤ - ٢٥٢) و (٧ - ٣٩٤) وفي رواية : فيما كان حزبه ، وفي رواية عن عمرو بن العاص : في أمر حربه .

(٣) أسد الغابة (٣ - ٣٧٢) والاستيعاب (٣ - ١٠٣٤) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤ - ٢٥٣) .

جهاده مع الرسول القائد

« نعم عبد الله ! هذا سيف من سيوف الله »
(محمد رسول الله)

في مؤتة[1]

بعث النبي ﷺ الحارث بن عُمَيْر الأزدي[2] رسولاً الى ملك (بصرى)[3] يدعوه الى الاسلام ، فقتل في (مؤتـــة) ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول

---

(١) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ – ١٩٠) . وفي طبقات ابن سعد (٢ – ١٢٨) : ان مؤتة بأدنى البلقاء . والبلقاء دون دمشق : وهي قرية من قرى قضاء الكرك في الاردن ، تقع على بعـــد أربعة عشر كيلومتراً من الكرك ، ولما كان قضاء الكرك بداية مقاطعة موآب ، فهي من موآب .

(٢) الحارث بن عمير الازدي : أحد بني لهب ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه الى الشام الى ملك (بُصرى) وقيل الى ملك الروم ، فلما نزل (مؤتة) عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، بعث البعث الى (مؤتة) في ثلاثة آلاف ، فلقيتهم الروم في نحو مائة ألف . راجع الاصابة (١ – ٢٩٩) وأســد الغابة (١ – ٣٤١) والاستيعاب (١ – ٢٩٧) .

(٣) بصرى : مدينة من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢ – ٢٠٨) . وهي من مدن حوران في سورية تقع الى الشرق من درعا (ودرعا هي أذريعات القديمة) .

غيره . لذلك ندب الناس فأسرعوا وعسكروا (بالجرف) [1] وهم ثلاثة آلاف ، فقال رسول الله ﷺ : أمير الناس زيد بن حارثة [2] فإن قتل فجعفر بن أبي طالب[3] ، فإن قتل فعبدالله بن رواحة[4] ، فإن قتل فليرتض

---

(١) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣ - ٨٧) .

(٢) زيد بن حارثة الكلبي : هو ابن اسامة بن زيد الكلبي ، كان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أصابه سباء في الجاهلية ، فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين رضي الله عنها ، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحج ناس من (كلب) فرأوا زيداً ، فعرفهم وعرفوه ، فانطلق الكلبيون وأعلموا أباه ، فخرج حارثة وأخوه كعب لفدائه ، وقدما مكة ، فسألا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : هو في المسجد ، فدخلا عليه ، فقالا : جئناك في ابننا عندك ، فامنن علينا واحسن الينا في فدائه . قال : « ومن هو ؟ » . قالا : زيد بن حارثة . فقال : « فهلا غير ذلك ! » . قالا : وما هو ؟ . قال : «أدعوه فأخيّره ، فإن اختاركم فهو لكم ، وان اختارني ، فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً » . قالا : قد زدتنا في النصف وأحسنت . فدعاه ، فقال : هل تعرف هؤلاء ؟ » قال : « هذا أبي وهذا عمي » . فقال : « فأنا مَن قد علمت ورأيت صحبتي لك ، فاخترني او اخترهما ! » . قال زيد : « ما أنا بالذي أختار عليك أحداً . أنت مني مكان الأب والعم !» .

أسلم مبكراً ، وشهد بدراً ، وزوّجه النبي صلى الله عليه وسلم مولاته (أم أيمن) فولدت له أسامة ، وكان يقال لزيد : حب رسول الله . وقتل زيد في أرض الشام سنة ثمان الهجرية في غزوة مؤتة وكان أميراً على تلك الغزوة . انظر طبقات ابن سعد (٣ - ٤٠) والاصابة(٣ - ٢٤) وأسد الغابة (٢ - ٢٢٤) والاستيعاب (٢ - ٥٤٢) وانظر التفاصيل في قادة فتح الشام ومصر (٣٣ - ٣٥) .

(٣) جعفر بن أبي طالب : أبو عبدالله ، أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أكبر من علي رضي الله عنهما بعشر سنين ، وكان عقيل أكبر من جعفر بعشر سنين . كان من المهاجرين الاولين، هاجر الى الحبشة وقدم منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر ، فتلقاه واعتنقه وقال : « ما ادري بأيها أنا أشد فرحاً ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر ؟! » وكان قدوم جعفر وأصحابه من أرض الحبشة في السنة السابعة الهجرية، فاختط له رسول الله صلى الله عليه وسلم داراً الى جنب المسجد ، ثم غزا غزوة (مؤتة) وذلك سنة =

المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم »[1] .

سار المسلمون ، حتى اذا كانوا بتخوم (البلقاء)[2] لقيتهم جموع الروم ، والتقى الطرفان في (مؤتة) فقاتل زيد بن حارثة حتى شاط في رماح الروم ، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب حتى اذا ألحمه القتال ، اقتحم عن فرسه

=ثمان الهجرية ، فاستشهد فيها بعد أن قاتل حتى قطعت يداه جميعاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء » فمن هنا قيل له : جعفر ذو الجناحين . وقد وجد في جسده تسعون طعنة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ، وكانت سنه يوم قتل احدى وأربعين سنة . انظر طبقات ابن سعد (٤ - ٣٤) والاصابة (١ - ٢٤٨) وأسد الغابة (١ - ٢٨٦) والاستيعاب (١ - ٢٤٢).

(٤) عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي : أبو محمد ، أحد النقباء شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والحديبيه والمشاهد كلها حتى استشهد في (مؤتة) وكان أحد الامراء في غزوة (مؤتة) وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو الدرداء : « لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد . حتى ان الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه ، وما في القوم صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة » . ونزلت فيه وفي صاحبيه حسان بن ثابت وكعب ابن مالك الآية الكريمة : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ... الآية » ، وكان أول خارج الى الغزو وآخر قافل .

وعندما كان يقاتل في مؤتة كان يقول :

يا نفس ان لم تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت ... ان تفعلي فعليها هديت

يعني فعل صاحبيه زيد وجعفر ، فقاتل حتى قتل شهيداً رضي الله عنه . انظر طبقات ابن سعد (٣ - ٣٢٥) والاصابة(٤ - ٦٦) وأسد الغابة (٣-١٥٦) والاستيعاب (٣-٨٩٨).

(١) طبقات ابن سعد (٢-١٢٨) والطبري (٢-٣١٨ - ٣٢٣) وسيرة ابن هشام (٣-٤٣٣ - ٤٣٥) وجوامع السيرة ص (٢٢١) .

(٢) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها (عمان) وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، وبجودة حنطتها يضرب المثل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢-٢٧٧) .

فعقرها وقاتل حتى قتل . ثم أخذ الراية ابن رواحة ، فقاتل حتى قتل[1] .

في هـذا الموقف العصيب الذي كان المسلمون فيه يواجهون قوات معادية تتفوّق عليهم فواقـاً ساحقاً بالعَدد والعُدد[2] ، أخذ الراية ثابت بن أقرم [3] أخو بني العجلان ، فقـال : « يا معشر المسلمين ؟ اصطلحوا على رجل منكم » . قالوا : أنت ! . قال : « ما أنا بفاعل » . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلمـا أخذ الراية ، دافع القوم وحاشى بهم ، ثم انحاز والحيز عنهم ، حتى انصرف بالناس [4] .

فكيف استطاع خالد النجاة بهذا الجيش من فناء أكيد ؟؟

لقد قاتل يومه قتالاً شديداً ، فلما أظلم الليل غيّر نظام جيشه ، فجعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة ، وكذلك فعل بالميمنة والميسرة [5] أي أنـه

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ - ١٢٨) والطبري (٢ - ٣١٨ - ٣٢٣) وسيرة ابن هشام (٣ / ٤٣٣ - ٤٣٥) وجوامع السيرة ص (٢٢١).

(٢) في الطبري (٣ - ٣١٩) وابن الاثير (٢ - ٨٩) : ان قوات الروم كانت بقيادة هرقل، وكانت مؤلفة من مائة ألف من الروم انضمت اليها العرب المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلى في مائة ألف منهم .

(٣) ثابت بن أقرم البلوي : شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شهد غزوة (مؤتة)، فدفعت اليه الراية بعد قتل عبدالله بن رواحة، فدفعها الى خالد بن الوليد ، - وقال : « أنت أعلم بالقتال مني » ، وقد استشهد سنة احدى عشرة في حرب أهل الردة ، قتله طليحةبن خويلد الاسدي هو وعكاشة بن محصن في يوم واحد واشترك طليحة وأخوه في قتلها جيماً . انظر طبقات ابن سعد (٣ - ٤٦٦) والاصابة (١ - ١٩٧) واسد الغابة (١- ٢٢٠) والاستيعاب (١ - ١٩٩) .

(٤) سيرة ابن هشام ٣ - ٤٣٥) والطبري (٣ - ٣٢٢) وابن الأثير(٢ - ٩٠) وجوامع السيرة ص (٢٢٢) وطبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٣) والاصابة (٢ / ٩٨) والاغاني للاصفهاني (١٥ / ٢٥) واليعقوبي (٢ / ٤٩) .

(٥) سيرة ابن هشام (٣ - ٤٤٠) .

سحب جيشه من ساحـــة المعركة وأبقى ساقة تحمي الانسحاب : نشر هذه الساقة ليحتل فرسانها مساحة شاسعة من الأرض ، وأمرهم أن يُحدثوا أصواتاً مرتفعة بمـــا لديهم من أبواق وطبول وأدوات حربية ، وإثارة الغبار بالخيل تدور بسرعة في دوائر ضيقة ... كل ذلك جعل الروم لا يشعرون بانسحاب قوات (القسم الأكبر) [1] من المسلمين ليلاً من جهة ، ويعتقدون أن امدادات قوية جاءتهم ليلاً ، لهـــذا لم يُقدم الروم على مطاردة المسلمين ، فسهل ذلك على خالدٍ مهمته في سحب رجاله من ساحة المعركة بأمان ودون أن ينقلب الانسحاب الى هزيمة ، كما سهّل عليه مهمة سحب الساقة التي سترت انسحاب القسم الأكبر من قوات المسلمين وذلك بعد أن اطمأن الى أنّ القسم الأكبر من قواته قد وصل الى مأمنه ومع ذلك لم يكن سحب الساقة سهلاً ، لأنها كانت بتماس شديد بالعدو من جهة ، ولأنها كانت تشغل منطقة واسعة من الأرض من جهة أخرى ؛ لذلك قاتلت الساقة وعلى رأسها خالد قتالاً بطولياً لكي تستطيع التخلص من الاشتباك . قال خالد : « لقد اندقت في يدي يوم (مؤتة) تسعة أسياف ، فما ثبت في يدي إلاّ صحيفة يمانية [2] » .

ولما علم رسول الله ﷺ بما حدث، شقّ ذلك عليه ، ونعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم اخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب – وعيناه تدرفان – حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » [3] .

وعاد خالد الى المدينة يقود جيش المسلمين [4] ، بعد أن ترك هذا الجيش

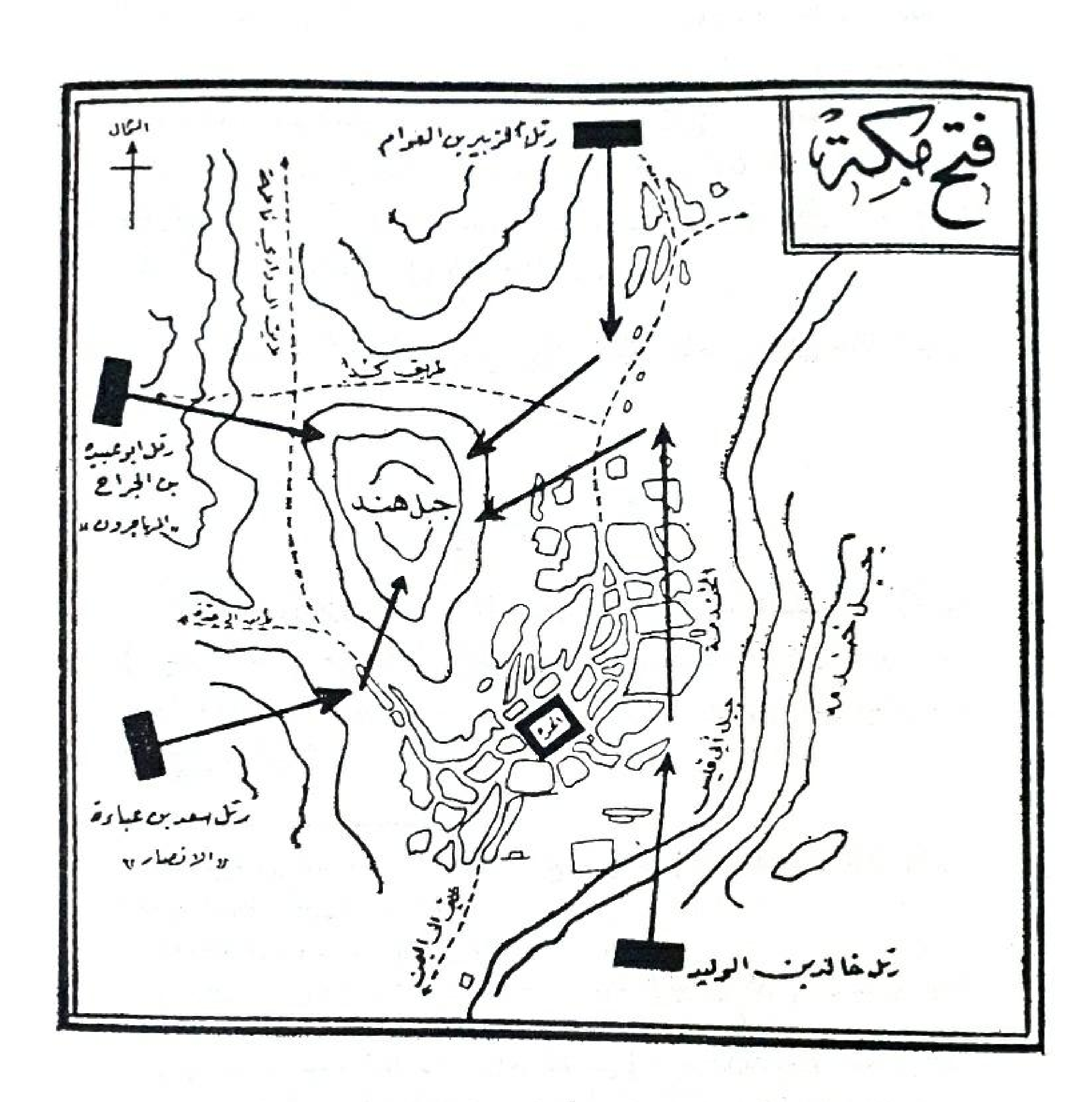
---

(١) القسم الاكبر : تعبير عسكري حديث يقرب من تعبير (القلب) الذي كان مستعملاً في الجيش الاسلامي قديماً ، ومعناه هنا : القلب والميمنة والميسرة والمقدمة .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ – ٣٩٥) والاصابة (٢ – ٩٩) .

(٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧ – ٧٩) و (٧ – ٣٩٤) .

(٤) سيرة ابن هشام (٣ – ٤٤٠) وتاريخ أبي الفدا (١ – ١٤٢) .


فتح مكة
الشمال
رتل الزبير بن العوام
طريق كداء
رتل ابو عبيدة
بن الجراح
"المهاجرون"
جبل هند
رتل سعد بن عبادة
"الانصار"
الحرم
جبل ابو قبيس
جبل خندمة
رتل خالد بن الوليد

ثلاثة عشر شهيداً في ساحة القتال [1] ، وهي خسائر طفيفة جداً بالنسبة الى الخطر الداهم الذي أحدق بالمسلمين ، مما يُعد خارقةً عسكرية ومفخرة خالدة لقيادة خالد . ولما دنا الجيش من المدينة المنورة تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ولقيهم الصبيان يشتدون ، فقال النبي ﷺ : « خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر » . وجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون : « يا فرّار في سبيل الله » فيقول رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرّار ولكنهم الكرّار إن شاء الله [2] » .

ومن ذلك اليوم أطلق النبي ﷺ وأطلق المسلمون على خالد لقب : سيف الله .

في غزوة مكة

كان خالد في غزوة فتح مكة على (ميمنة) قوات المسلمين ، وكانت (الميمنة) مؤلفة من : أسلم وغِفار وَمُزَيْنَة وجُهَينة [3] ، وكان واجبه دخول مكة من أسفلها من (الليط) [4] ، وهو أول يوم أمر فيه رسول الله ﷺ خالداً [5] .

---

(١) سيرة ابن هشام (٣ ـ ٤٤٧) وجوامع السيرة ص (٢٢٢)وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (٢ ـ ١٥٦).

(٢) الطبري (٢ ـ ٣٢٣) وابن الاثير « ٢ ـ ٩٠ » .

(٣) جوامع السيرة ص (٢٣١) ، وكان على الميسرة الزبير بن العوام ، وكان أبو عبيدة ابن الجراح على المقدمة . وأنظر شرح النووي على مسلم (٤ / ٢٣١) .

(٤) الليط : موضع بأسفل مكة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧ / ٣٤٦) وانظر من دخول خالد من (الليط) ، الطبري (٢ / ٣٣٢) وابن الأثير (٢ / ٩٤) وسيرة ابن هشام (٢ / ٢٦) وتاريخ أبي الفدا (١ / ١٤٤) وطبقات بن سعد (٢ / ١٣٦) .

(٥) الطبري (٢ / ٣٣٢) وابن الاثير (٢ / ٩٤) وسيرة ابن هشام (٤ / ٢٦) .

كانت نيات الرسول القائد السلمية صريحة جداً، فقد قال للزبير بن العوام وخالد : « لا تقاتلا إلا من قاتلكما [1] » ، إلا أنّ قسماً من رجالات قريش[2] جمعوا ناساً (بالخَنْدَمة) [3] أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين ويصدُّوهم عن فتح مكة ؛ فقاتلهم خالد، وقتل منهم ثمانية وعشرين رجلا ثم انهزموا[4] واستشهد من المسلمين رجلان [5] ، فقال رسول الله ﷺ : « ألم أنْهَ عن القتال ؟ » . فقيل له : خالد قُوتِل فقاتل[6] .

لقد جاهد خالد لأول مرة تحت لواء الرسول القائد في غزوة الفتح ، ولا يصح له مشهد مع رسول الله ﷺ قبل الفتح[7] .

هدم العزى

بعث النبي ﷺ خالداً لخمس ليال بقين من رمضان – أي بعد خمسة أيام

---

(١) الطبري (٢ / ٣٣٢) .

(٢) هم : عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو . راجع ابن الاثير (٢ / ٩٤) .

(٣) الخندمة : جبل بأسفل مكة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٧٠) .

(٤) في تاريخ أبي الفدا (١ / ١٤٤) وطبقات ابن سعد (٢ / ١٣٦) والبلاذري ص (٥١ – ٥٢) أن قتلى المشركين أربعة وعشرون رجلا من قريش واربعة نفر من هذيل . أما في الطبري (٢ / ٣٣٥) فيذكر ان عدد قتلى المشركين بلغ اثني عشر رجلا او ثلاثة عشر ، وفي ابن الأثير (٢/ ٩٤) أن عدد قتلى المشركين ثلاثة عشر، وكذلك في جوامع السيرة ص(٢٣١).

(٥) فتح الباري بشرح البخاري (٨/٨) وطبقات ابن سعد (١٣٦/٢) وجوامع السيرة ص (٢٣١) .

(٦) طبقات ابن سعد (١٣٦/٢) وتاريخ أبي الفدا (١٤٤/١) .

(٧) أسد الغابة (٩٤/٢) والاستيعاب (٤٢٨/٢) .

من فتح مكة – لهدم (العُزّى)[1] في ثلاثين فارساً من أصحابه[2] ، فلما سمع سادنها [3] ، بمسير خالد اليها ، علق عليها سيفه والتجأ الى الجبَل الذي هي فيه ، وهو يقول :

أيا عُزّ شدّي شدّة لا شَوَى لهـا
على خالد ، ألقي القنـاع وشمّري [4]

و يا عُزّ إن لم تقتلي اليوم خالداً
فبوئي [5] بإثم عاجل أو تنصّري

فلما انتهى اليها خالد هدمها [6] وهو يقول :

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك إني رأيتُ الله قد أهانك [7]

وعاد خالد الى النبي ﷺ بعد انتهاء واجبه .

إنّ تولي خالد واجب القائد في غزوة الفتح دليل على ثقة الرسول ﷺ بكفاية قيادته ، وتوليته مهمة هدم (الغزّى) دليل على ثقة الرسول ﷺ برسوخ عقيدته .

---

(١) العزى : أعظم الاصنام عند قريش وبني كنانة ، وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من شيبان وسليم حلفاء بني هاشم ، وكانت العرب وقريش تسمى بها : (عبد العزى) . والعزى كانت بيتاً يعظمه قريش وكنانة ومضر كلهـا . راجع سيرة ابن هشام (١/٨٧) و(٤/٦٤) والطبري (٢/٣٤٠) وابن الاثير (٢/٩٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢ - ١٤٥) .

(٣) السادن : خادم بيت العبادة ، جمعه : سدنة .

(٤) لا شوى : أي لا تبقى على شيء .

(٥) بوئي : ارجعي .

(٦) سيرة ابن هشام (٤ / ٦٤) .

(٧) أسد الغابة (٢ / ٩٤) والاستيعاب (٢ / ٤٢٨) .

في بني جذيمة [1]

لما رجع خالد من هدم (العزى) ورسول الله ﷺ مقيم بمكة ، بعثه الى بني (جَذيمة) داعياً الى الاسلام ولم يبعثه مقاتلاً ، فدعاهم الى الاسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون صَبأنا ، صَبأنا ! فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع الى كل رجل أسيره ، حتى اذا كان يوم من الأيام ، أمر خالد بأن يقتل كل رجل أسيره ، فلما علم النبي ﷺ بذلك قال مرتين : « اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد » [2] .

وفي رواية أخرى، أن خالداً خرج في ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سُليم ، فلما انتهى الى بني جذيمة قال : « ما أنتم ؟ » . قالوا : مسلمون، قد صلّينا وصدّقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذّنا فيها !. قال : « فما بال السلاح عليكم ؟ » . فقالوا : إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة ، فخفنا أن تكونوا هم ، فأخذنا السلاح ! قال : « فضعوا السلاح » ، فلما وضعوه قال لهم : « استأسروا » ، فاستأسر القوم ، فأمر بعضهم فكتّف بعضاً وفرّقهم في أصحابه ؛ فلما كان في السحر نادى خالد : « من كان معه أسير فَلْيُدافّه ! » ، والمدّافة الإجهاز عليه بالسيف . فأما بنو سُليم فقاتلوا من كان في أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار ، فأرسلوا

---

(١) بنو جذيمة : جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، أي إنهم من كنانة ، وكانوا بأسفل مكة من ناحية (يلملم) . راجع فتح الباري بشرح البخاري (٨ / ٤٥) وطبقات ابن سعد (٢ / ١٤٧) و (٧ / ٣٩٦) والطبري (٨ / ٤٥) وجوامع السيرة ص (٢٠) .

(٢) فتح الباري بشرح البخاري (٨ / ٤٥ - ٤٦) . وصبأنا صبأنا : يعنون دخلنا دين محمد صلى الله عليه وسلم : يقال : صبأ الرجل اذا خرج من دين الى دين ، ومنه : (الصابئون) لأنهم قد اتخذوا ديناً بين اليهودية والنصرانية .

أسراهم ، فلما بلغ النبي ﷺ ما صنع خالد ، قال : « اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد » .

وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم[1] . قال رسول الله ﷺ : « يا علي ! اخرج الى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » ، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى جاءهم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليَدِي لهم مِيلَغَةَ الكلب[2] ، حتى اذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم حين فرغ منهم : « إني أعطيكم هذه البقية من المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم وتعلمون » ، فلما رجع وأخبر الرسول ﷺ بما فعل ، قال له : « أصبت وأحسنت »[3].

ومن الواضح أن الرواية الاولى ، وهي الرواية التي رواها الامام البخاري في صحيحه هي الصحيحة ، لأن صحيح البخاري أوثق المصادر في روايته ، ولأنها أقرب للعقل والمنطق ، ولأن خالداً لو اقتنع بإسلامهم لما تجرأ مطلقاً على قتلهم .

لقد قال بنو جذيمة : صبأنا ! فحمل خالد هذه اللفظة على ظاهرها ، أي أنهم خرجوا من دين الى دين ، فلم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالاسلام[4] ، والدليل على ذلك أنه قال لهم : « ضعوا السلاح » فإن الناس

---

(١) طبقات ابن سعد (٢ / ١٤٧ - ١٤٨) وسيرة بن هشام (٤ / ٥٤) .
(٢) ميلغة الكلب : خشبة تحفر ثم تتخذ ليلغ فيها الكلب .
(٣) سيرة ابن هشام (٤ / ٥٥) والطبري (٣ / ٢٤٢) وجوامع السيرة ص (٢٣٥) وعيون الأثر (٢ - ١٨٦) .
(٤) فتح الباري بشرح البخاري (٨ - ٤٦) .

قد أسلموا [١] » ، وهذا دليل قاطع على أنه لم يقتنع بأن كلمة : صبأنا هي بمعنى : أسلمنا !

إن خالداً أخطأ متأولاً لا عن قصد ولا تعمّد، وليس أدل على أن ما فعله ليس إلا عن اجتهـاد وتأول من أنه ظل متمتعاً بثقة النبي ﷺ ورضاه ؛ ولان خالداً أخطأ مجتهداً – واداهم الرسول ﷺ ، والدية تعطى عن القتل خطأ لا عن القتل عمداً ، ولو أنـه قتل قسماً من بني جذيمة لمجرد التشفي وثارات الجاهلية ، لاقتص منه الرسول ﷺ وقاده حتماً بلا هوادة ، ولما اكتفى بالتبرؤ من فعله وتعويض خسائر بني جذيمة بما بعثه مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه من مـال ... وإبقاء خالد قائداً يتمتّع بكل ثقة الرسول الكريم [٢] عليه أفضل الصلاة والسلام .

في يوم حنين [٣]

كان خالد على مقدمة المسلمين في مائة فرس هي خيل بني سُليم – عنـد

---

(١) سيرة ابن هشام (٤ – ٥٣) والطبري (٢ – ٣٤١) وابن الاثير (٢ – ٩٧) وتاريخ أبي الفداء (١ – ١٤٥) .

(٢) لا عبرة فيما رواه الطبري في (٢ – ٣٣١) فيما يشتم منه رائحة : أن خالداً قتل بني جذيمة أخذاً لثأره منهم ، حيث كانوا قـد قتلوا عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد . إن الطبري مؤرخ يروي كل الروايات الواردة – وهذه أحداها – استكمالاً للبحث . ولا شك أن العقل والنقل لا يقفان الى جانب هذه الرواية : فمن الناحيـة العقلية ، ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالداً داعياً لا غازياً ، فاذا قتل الناس عمداً بدون مسوغ فقد خالف أوامر النبي صلى الله عليه وسلم الصريحة حول هذه الغزوة وتعاليمه الصريحة في اجتناب قتل النفس – إلا بحقها ، وأقل عقوبة خالد عند ذاك نزعه من القيادة ، وهذا ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا تأخذه في الله لومة لائم.فكيف=

التقدم من مكة الى الطائف لقتـــال بني هوزان وثقيف الذين أجمعوا على حرب المسلمين [1] .

وكان مالك بن عوف [2] قد عبأ رجاله في وادي (حنين) ليلا وأمرهم أن يحملوا على المسلمين حملة واحدة ، وعبّـــأ رسول الله ﷺ رجاله وصفهم صفوفاً ووضع الألوية والرايات في أهلها [3] .

وانحدر المسلمون في عماية الصبح في وادي (حنين) على تعبية وهو وادٍ من أودية (تهامـــة) أجوف حطوط [4] ينحدر انحداراً [5] ، فيهاجمهم

=يسكت عن قتل الأبرياء ، اذا لم يقتنع بأن قتلهم كان خطأ ؟ !

ومن الناحية النقلية : فهـــذه الرواية لم ترد في مصادر سنة النبي صلى الله عليه وسلم أي في مصادر النبوي الشريف ، والذين رددوا هذه الرواية هم المؤرخون، وقد نقلها بعضهم عن بعض.

(٣) حنين : وادٍ قبل الطائف،بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ.انظر معجم البلدان(٣-٣٥٤).

(١) طبقات ابن سعد (٢ - ١٥٠) والسيرة الحلبية (٣ - ١٦٣ - ١٦٥) والأغـــاني (١٥ - ٢٥ .

(١) طبقات ابن سعد (١ - ١٤٩) والطبري (٢ . ١٤٤) وسيرة ابن هشام (٣-٦٨).

(٢) مالك بن عوف النصري : من هوازن ، كان قائد المشركين يوم حنين ، فنجح في مباغتة قوات المسلمين في وادي حنين وأوقع فيهم خسارة فادحة . وبعد انهزام المشركين لحق بالطائف فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو أتاني مالك مسلماً لرددت اليه أهله وماله » ، فبلغه ذلك ، فلحق بالمسلمين في (الجعرانة) فأسلم . فأعطاه النبي أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل ، كما أعطت سائر المؤلفة قلوبهم وكان معدوداً منهم ثم حسن اسلامه ، فاستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ومن قبائل قيس عيلان وأمره بمغاورة ثقيف ، ففعل وضيق عليهم ، وشهد بعد ذلك فتح دمشق وشهد القادسية أيضاً . راجع التفاصيل في الاصابة (٦ - ٣١) وأسد الغابة (٤ - ٢٨٩) والاستيعاب (٣ - ١٣٥٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (٢ - ١٥) .

(٤) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . وأجوف : أي متسع . وحطوط : أي منحدر.

(٥) سيرة ابن هشام (٤ - ٧١) والطبري (٢ - ٣٤٧) .

المشركون من كل جانب ، فانكشفت خيل بني سُليم مولية وتبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ، ولكن الرسول ﷺ ثبت وثبت معه نفر قليل من أصحابه وأهل بيته[1] ، فتجمع المسلمون حوله وشنوا هجوماً مقابلاً على المشركين انهزموا على أثره لا يلوي أحد منهم على أحد[2] ، وكان خالد أحد الذين تجمعوا حول النبي ﷺ وقاتلوا معه قتالاً شديداً ، فجرح وعاده الرسول ﷺ[3] .

إن واجب المقدمة ، هو حماية القسم الأكبر والحصول على المعلومات عن العدو ، حتى لا تباغت (قوات القسم الأكبر) .

إن مقدمة المسلمين بقيادة خالد ، لم تنجز هذا الواجب أبداً يوم حنين ، فهي لم تستطع معرفة مواضع المشركين التي احتلوها في وادي حنين واندفعت الى الأمام بسرعة قبل أن تعرف حقيقة موقف العدو في وادي حنين ، فكان اندفاعها هذا على غير هدى وبصيرة ، أما قوات القسم الأكبر فاندفعت وراء المقدمة لاعتقادها أن اندفاعها هذا أمين . وغير خطر على افتراض أن المقدمة قامت بواجبها .

إن من أهم أسباب هزيمة المسلمين في ابتداء معركة (حنين) هو عدم قيام مقدمتهم بواجبها ، إذ لم تحصل على المعلومات عن مواضع العدو ، ولم تمنع مباغتة العدو للقسم الأكبر ، وبذلك أخفقت مقدمة المسلمين يوم حنين

---

(1) طبقات ابن سعد (٢/١٥١) . واسماء الذين ثبتوا معه هم : ١ ـ العباس بن عبدالمطلب ٢ ـ علي بن ابي طالب ٣ ـ الفضل بن العباس بن عبدالمطلب ٤ ـ ابو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ٥ ـ ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ٦ ـ ابو بكر الصديق ٧ ـ عمر بن الخطاب ٨ ـ اسامة بن زيد بن حارثة ٩ ـ ايمن بن عبيد وهو ايمن بن ام ايمن ، راجع الطبري (٢/٣٤٧) وابن الاثير (٢/١٠٠) وسيرة ابن هشام (٤/٧٢) .

(2) طبقات ابن سعد (٢/١٥١) والطبري (٢/٣٤٨) وسيرة ابن هشام (٤/٧٥) .

(3) اسد الغابة (٢/٩٥) والاستيعاب (٢/٤٢٨) والاغاني (١٥/٢٥) .

في أداء واجبها إخفاقاً ذريعاً ، على الرغم من أنها كانت بقيادة خالد [1] .

في غزوة الطائف

لم تمنع خالد جراحاته من أن يعود لقيادة المقدمة ، إذ لم يزل على مقدمة المسلمين حتى وردوا (الجعرانة) [2] وفي طريق عودتهـم الى المدينة [3] .

وفي طريقه الى (الطائف) [4] قاتل فلول المشركين وكان بين قتـلى المشركين امرأة ، فقد مر النبي ﷺ في طريقه بامرأة قتيل فقـال : « من قتلها ؟! » ، فقالوا : خالد بن الوليد ، فقال لبعض مَن معه : « أدرك خالداً وقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليداً أو عسيفاً » [5] . ولما حاصر المسلمون الطائف ، كان خالد ينادي : « هل من مبارز ؟ » فلا يجيبه أحد [6] .

ولما وصل المسلمون الى (الجعرانة) حيث قسّم الرسول ﷺ الغنائم ، قال رجل من المنافقين : « مـا أُريد بهذه القسمة وجه الله ! » فقال عمر : « ألا نقتله ؟ » ، وقال خالد : « ألا أضرب عنقه ؟ » ، وقال النبي ﷺ : « لا! لعله يصلي [7] » .

---

(1) الرسول القائد – الطبعة الثالثة ص (٣٧٥) .

(2) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، والى مكة اقرب . راجع معجم البلدان (٣/١٠٩) .

(3) طبقات ابن سعد (٢/١٥٨) .

(4) الطائف : بلد مشهور بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا من جهة المشـرق ، وهي ذات مزارع ونخل واعناب ومياه غزيرة وطيبة الهواء . راجع معجم البلدان (٦/١٠) .

(5) ابن الاثير (٢/١٠١) ، والعسيف : هو الاجير .

(6) السيرة الحلبية (٣/١٦٣) .

(7) السيرة الحلبية (٣/١٧١ – ١٧٢) .

مع بني المصطلق[1]

بعث النبي ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط[2] إلى بني (المُصطلِق) مصدِّقاً في أوائل السنة التاسعة للهجرة، أي بعد إسلامهم بعامين[3]، فلما رأوه أقبلوا نحوه، فهابهم، فرجع الى النبي ﷺ وأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الاسلام، فبعث النبي ﷺ خالداً وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً، وبعث عيونه، فاخبروه بأن القوم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد، فرأى ما يعجبه، فرجع الى النبي ﷺ وأخبره الخبر، فنزل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» نزلت في الوليد بن عقبة[4].

---

(١) المصطلق: هو لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة، بطن من خزاعة. راجع فتح الباري بشرح البخاري (٣٣٢/٧).

(٢) الوليد بن عقبة بن ابي معيط الاموي: أخو عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه، أسلم يوم فتح مكة. ولاه عثمان الكوفة وعزل عنها سعد بن ابي وقاص، وله اخبار في الكوفة فيها نكارة وشناعة. كان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وادبا، وكان من الشعراء المطبوعين. سكن المدينة ثم نزل الكوفة، فلما قتل عثمان نزل البصرة ثم خرج الى الرقة ونزلها واعتزل عليا ومعاوية. توفي بالرقة وبها قبره — راجع طبقات ابن سعد (٢٤/٦) والاصابة (٣٢١/٦) والاستيعاب (١٥٥٢/٤). وانظر تفاصيل ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٩ — ٤٦٨).

(٣) السيرة الحلبية (٣٦٤/٢).

(٤) الاغاني (٣٥٦/٤ — ٣٥٧) وتفسير ابن كثير (١١/٨ — ١٢) وبهامشه تفسير البغوي (١٠/٨) وتفسير الزمخشري (١٢١/٣) والآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦): انظر الاستيعاب (١٥٣/٤) والاصابة (٣٢١/٦) واسد الغابة (٩١/٥) والمعارف ص(٣١٩) وسيرة ابن هشام (٣٤٠/٤ — ٣٤١).

لقد كان موقف خالد في هذه القضية رائعاً حقاً : أرسل عيونه ليروا عمل القوم في غفلة منهم ، فلما جاءته عيونه بأخبارهم ، أتاهم هو بنفسه ، فوجد أن أخبار الوليد بن عقبة عنهم غير صحيحة ، وبذلك حقن خالد دماء بني المصطلق ، ووضعهم في موضعهم الذي يستحقونه .

هدم ود [1]

بعث النبي ﷺ خالداً لهدم (وَدّ) في (دُومَة الجندل) [2] وقد بعثه من غزوة (تبوك) ، فحالت بنو عبد ود وغيرهم بينه وبين هدمه ، فقاتلهم خالد . وبعد دحرهم هدمه وكسره جذاذاً [3] .

في دومة الجندل

في أثناء مقام النبي ﷺ في (تَبُوك) أرسل خالداً في أربعمائة وعشرين فارساً [4] إلى اكيدر بن عبد الملك الكندي ثم السكوني [5] صاحب (دومة

---

(1) ود : تمثال رجل كبير الجسم ، عبده بنو كلب بن وبرة من قضاعة بدومة الجندل . راجع الاصنام لابن الكلبي (٥٥/٥٦) وسيرة ابن هشام (١/٨٣) وتفسير الكشاف للزمخشري (٢/٢٢٠) وتفسير ابن كثير وبهامشه تفسير البغوي (٩/٧ــ٨) وتفسير البيضاوي (٥/١٥٣).

(2) دومة الجندل : حصن على سبع مراحل من دمشق ، تقع بين دمشق والمدينة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٠٦) .

(3) خالد بن الوليد ــ ابو زيد شلبي (٨٦/٨٧) .

(4) طبقات ابن سعد (٢/١٦٦) والسيرة الحلبية (٣/٢٨٦) .

(5) اكيدر بن عبدالملك الكندي : كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم وارسل سرية مع خالد بن الوليد . ذكر البلاذري ص(٧٢) انه اسلم ، والصحيح انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم بل بقي نصرانيا ، ولما صالحه الرسول صلى الله عليه وسلم عاد الى حصنه وبقي فيه . ثم ان خالدا أسره لما حاصر دومة الجندل ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقتله نصرانيا . وذكر البلاذري في ص(٧٣) : انه اسلم ، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم منع ←

الجندل) ، وكان أكيدر قد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر الوحش يطارده هو وأخوه حسان ، فهاجمته خيل خالد ، فاستأسر أكيدر وامتنع أخوه وقاتل حتى قتل ، ثم هرب من كان معهما ! .

وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول ﷺ ، على أن يفتح له (دومة الجندل) ، فدخلها المسلمون .

وصالحه خالد على ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح، ثم خرج خالد بأكيدر وأخيه (مصاد) الذي كان في الحصن وبما صالحه عليه قافلاً الى المدينة ، وهناك صالحه النبي ﷺ على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلّى سبيلهما ، وكتب له كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذ بظفره [1] .

في نجران

بعث النبي ﷺ خالداً الى بني الحارث بن كعب بن مذحج (بنجران) [2] في أربعمائة من المسلمين ، وأمره أن يدعوهم إلى الاسلام ثلاثاً ، فإن استجابوا

→

الصدقة ونقض العهد وخرج من دومة الجندل ليلحق (الحيرة) ، بينما جاء في الطبري (٢/٥٧٨) وابن الاثير (٢/١٥٢) : (أن خالدا أسره وقتله) وهذا ما نرجحه لموافقته لمصادر اهل الحديث، لذلك فقد قتل نصرانيا ولا يعتبر صحابيا . راجع الاصابة (١/١٢٩) واسد الغابة (١/١١٣) وفتوح البلدان للبلاذري (٧٢/٧٣) والطبري (٢/٥٧٨) وابن الاثير (٢/١٥٢) .

(١) طبقات ابن سعد (٢/١٦٦) وجوامع السيرة ص(٢٥٣) وسيرة ابن هشام (٤/١٨١) واسد الغابة (٢/٩٤) ، والاستيعاب (٢/٤٢٨) والطبري (٢/٣٧٢) ، مع اختلافات في الروايات ، وما ذكرته هو نص ما جاء في طبقات ابن سعد .

(٢) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة . راجع معجم البلدان (٨/٢٥٨) واثار البلاد واخبار العبادللقزويني ص(١٢٦) .

له قبل منهم وأقام فيهم وعلّمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الاسلام ، وإن لم يستجيبوا قاتلهم .

وخرج خالد حتى قدم عليهم ، وبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون : « أيها الناس ! أسلموا تسلموا » ، فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه ؛ فأقام فيهم خالد يعلّمهم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ ، فكتب إليه النبي أن يُقبل إلى المدينة ومعه وفدهم ، فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ومعه وفد بني الحارث ، فأسلموا ، وسألهم النبي فيما سألهم : « وبم كنتم تغلبون مَن قاتلكم في الجاهلية ؟ » ، قالوا : « كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله ، أنّا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحداً بظلم » . قال : « صدقتم »[1] .

---

(1) سيرة ابن هشام (٢٦٦/٢٦٢/٤) والطبري (٢٨٨-٣٨٥/٢) وابن الاثير (١١٢/٢) ، وهذا نص كتاب خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك ، فانك بعثتني الى بني الحارث بن كعب وأمرتني اذا أتيتهم الا اقاتلهم ثلاثة ايام وأن ادعوهم الى الاسلام ، فان أسلموا قبلت منهم ، وعلمتهم معالم الاسلام ، وكتاب الله وسنة نبيه ، وان لم يسلموا قاتلتهم : واني قدمت عليهم ، فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة ايام ، كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركبانا : يا بني الحارث ! أسلموا تسلموا ، فاسلموا ولم يقاتلوا ، وانا مقيم بين أظهرهم ، وآمرهم بما أمرهم الله به ، انهاهم عما نهاهم الله عنه ، واعلمهم معالم الاسلام ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى يكتب الى رسول الله . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله ، الى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو . اما بعد ، فان كتابك جاءني مع رسلك تخبر ان بني الحارث قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، واجابوا الى ما دعوتهم اليه من الاسلام ، وشهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وان قد هداهم بهداه ، فبشرهم وانذرهم ، واقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

في اليمن

بعث رسول الله ﷺ خالداً إلى اليمن يدعوهم إلى الاسلام ، فلم يجيبوه ، فأرسل علي بن أبي طالب ، فأسلمت (همدان) كلها في يوم واحد [1]

وفي رواية ، أن النبي ﷺ ، بعث خالداً الى اليمن ثم بعث علياً الى خالد ليقبض الخمس [2] .

وفي رواية ، أن النبي ﷺ بعث علياً في جند وبعث خالداً في جند آخر ، وقال : « إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب » [3] .

والرواية القريبة من العقل ، هي أن الرسول ﷺ بعث خالداً ثم بعث علياً ليقبض الخمس ، لأنها الرواية التي اعتمدها البخاري في صحيحه ، ولأنها أقرب إلى الواقع والمنطق ، إذ كيف تستعصي همدان على الاسلام ستة أشهر ثم تعلن إسلامها في يوم واحد ؟ ومع ذلك فالرواية الاخيرة منطقية أيضاً ، إذ من الجائز أن يبعث النبي ﷺ مع كل من علي وخالد جنداً للقتال ليقاتلوا عندما تدعو الحاجة إلى القتال ، وليتعاونوا في القضايا الادارية كجمع الصدقات ونشر الدعوة وتعليم الناس القرآن والسنن .. الخ .

سيف الله

أنجز خالد في حياة النبي ﷺ أعمالاً باهرة في الحرب والسلام على حد سواء . والذي يمحّص أعماله الجليلة منذ إسلامه حتى التحق الرسول ﷺ

---

(١) الطبري (٢/٣٨٩) وابن الاثير (٢/١١٥) .

(٢) فتح الباري بشرح البخاري (٨/٥٢) .

(٣) سيرة ابن هشام (٤/٣١٩) .

بالرفيق الأعلى – وهي فترة قصيرة من عمر الزمن ، لا بد أن يتساءل : كيف استطاع خالد أن يحقق كل هذه المنجزات خلال هذا الوقت القصير ؟؟

والحق ، أن هـــذا التساؤل وارد ، إذ أن فترة إسلامه التي قضاها إلى جانب الرسول ﷺ لا تتجاوز أربع سنوات ، بينما قاتل شمالاً على حدود ارض الشام ، وقاتل جنوباً في اليمن ، وشهد أحد عشر مشهداً ، قاتــل في ثلاثة مشاهد منها تحت لواء الرسول القائد ، وقاتل في ثلاثة مشاهد منها قائداً مستقلا ، ولم يقاتل في خمسة مشاهد منها بل أنجز واجبه سلماً ، فمن أين له الوقت الكافي لتحقيق كل هذه الأعمال ؟

وللاطلاع على توقيت أعماله – راجع الملحق (د) وفيه الوقت الذي أنجز فيه أعماله الكبيرة ، التي تدل على أنه كان موضع ثقة الرسول ﷺ الكاملة من جهة ، وأنه كانت له قابليات نادرة في القيادة العسكرية خاصة ، لا يجود بها الزمان إلا نادراً .

لقد كان له أثر أي أثر في نصرة دين الله على عهد رسول الله ﷺ ، وفي نشر رايات الإسلام شمالاً وجنوباً ، فــلا عجب أن يقول الرسول القائد عن خالد : « نعم عبدالله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار والمنافقين »[1] .

---

(1) الاستيعاب (٤٢٩/٢) .

الملحق (د)

جدول توقيت أعمال خالد بعد إسلامه في عهد النبي ﷺ [1]

التسلسل	الأعمال	الشهر الهجري	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الملحوظات
١	إسلامه	صفر	٨	٦٢٩	
٢	غزوة مؤتة	جمادى الأول	٨	٦٢٩	
٣	فتح مكة	رمضان	٨	٦٢٩	بعد خمسة أيام
٤	هدم العزى	رمضان	٨	٦٢٩	من فتح مكة
٥	في بنى جذيمة	شوال	٨	٦٢٩	
٦	يوم حنين	شوال	٨	٦٢٩	
٧	غزوة الطائف	شوال	٨	٦٢٩	
٨	مع بني المصطلق	رجب	٩	٦٣٠	
٩	في تبوك	رجب	٩	٦٣٠	في أوائل
١٠	هدم ود	رجب	٩	٦٣٠	السنة أثناء
١١	في دومة الجندل	رجب	٩	٦٣٠	غزوة تبوك
١٢	في نجران	ربيع الآخر	١٠	٦٣١	
١٣	في اليمن	رمضان	١٠	٦٣١	

(١) اعتمدنا في اعداد توقيت هذا الجدول على ما جاء في الطبري .

في حرب أهل الردة

« لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين »

(الصديق أبو بكر)

الواجب

ارتدّت العرب إمّا عامة أو خاصة من كل قبيلة ، وظهر النفاق ، واشرأبّت يهود والنصارى ، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم [1] . في ذلك الوقت العصيب ، أصرّ أبو بكر الصديق على إنفاذ جيش أسامة بن زيد [2] ، وكان في إنفاذه أعظم النفع للمسلمين ، فقد قال العرب المرتدّون : لو لم يكن بهم قوة ، لما أرسلوا هذا الجيش ، لذلك كفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوا [3] . فلما عاد جيش أسامة من واجبه إلى المدينة وجّه أبو بكر قوات المسلمين لقتال أهل الردة ، الذين لم يرض منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية [4] . وقال أبو بكر قولته المشهورة : « والله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه [5] » .

---

(١) الطبري (٢/٤٦١) وابن الاثير (٢/١٢٧) .

(٢) الطبري (٢/٤٦٢) وابن الاثير (٢/١٢٧) وانظر ترجمة اسامة بن زيد في كتاب : قادة فتح الشام والجزيرة (٣٣ — ٥١) .

(٣) ابن الاثير (٢/١٢٨) .

(٤) ابن الاثير (٢/١٢٨) أما الخطة المخزية ، فان يقروا بان من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة ، وان يدوا قتلانا ، ونغنم ما اخذنا منهم ، وان ما اخذوه منا مردود علينا . وأما الحرب المجلية ، فان يخرجوا من ديارهم . وفي البلاذري ص(١٠٤) ورد : الحرب المجلية والسلم المخزية ، فقالوا : قد عرفنا الحرب المجلية ، فما السلم المخزية ؟ قال : ان ننزع منكم الحلقة والكراع ، ونغنم ما اصبنا منكم ، وتردوا الينا ما اصبتم منا ، وتدوا قتلانا ويكون قتلاكم في النار ..

(٥) الطبري (٢/٤٧٦) والبلاذري (١٠٣) والامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٢٧) .

وتنفيذاً لخطته في مقاتلة أهل الردة ، عقد أحد عشر لواءً لأحد عشر قائداً ، وكان واجب خالد هو قتال طليحة بن خويلد الأسدي فإذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة [1] .

مع طليحة

أمر أبو بكر خالداً أن يبدأ بطيء ، ومنهم يسير إلى (بُزاخة) [2] ثم يثلث (بالبُطاح) ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له . وأظهر أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه خارج إلى (خيبر) [3] بجيش حتى يلاقي خالداً يرهب العدو بذلك [4] ، فقعد ذلك طيئاً وبطأ عن طليحة بن خويلد الأسدي [5] .

---

(١) أنظر التفاصيل في الطبري (٢/٤٨٠) وابن الاثير (٢/١٣٢) .

(٢) بزاخة : ماء لطيء بأرض نجد ، وقيل ماء لبني أسد . راجع معجم البلدان (٢/١٦١) .

(٣) خيبر : ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ، يطلق هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٦٥) .

(٤) الطبري (٢/٤٨٣) وابن الاثير (٢/١٣٢) وجوامع السيرة ص ٣٣٩) والاصابة (٢/٩٩) .

(٥) طليحة بن خويلد الاسدي : قدم مع وفد أسد بن خزيمة على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة ، فاسلم . فلما رجع ورجعوا تنبأ طليحة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الازور الاسدي ليقاتله . فلما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم عظم أمر طليحة وأطاعه الحليفان أسد وغطفان ، وكان يزعم أنه يأتيه جبريل بالوحي ، فأرسل اليه أبو بكر خالد بن الوليد فقاتله وقضى على فتنته ، فانهزم طليحة الى الشام وبقي هناك حتى توفي ابو بكر ، ثم خرج محرماً في خلافة عمر بن الخطاب وأسلم اسلاماً صحيحاً ، وجاهد الفرس في القادسية وغيرها جهاد الأبطال المغاوير . لقد كان طليحة من أشجع العرب وكان يعد بألف فارس .

راجع الاصابة (٣/٢٩٦) وأسد الغابة (٣/٦٥) والاستيعاب (٢/٧٧٣) .

وكان أبو بكر قد بعث عدي حاتم الطائي إلى طيء قبل مسير خالد إليهم ، فدعاهم عدي وخوّفهم ، فقالوا له : استقبل خالداً فنهنهه عنا ثلاثاً حتى نستخرج من لحق بالبزاخة منا ، فإنا إن خالفنا طليحة وهم في يده قتلهم او ارتهنهم . فاستقبل عدي خالداً وهو (بالسُّنح [1]) ، وقال له : « أمسك عني ثلاثاً يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوّك » ، ففعل خالد . وأرسلت طيء إلى إخوانهم ، فعادوا من بزاخة كالمدد لهم ، ولولا ذلك لم يُتركوا ؛ وبذلك عادت طيء إلى الإسلام [2] .

وتوجه خالد ومن انضم إليه من طيئي وعددهم ألف راكب تلقاء بزاخة ، وأرسل عكاشة بن محصن [3] وثابت بن أقرم طليعة لقواته ، فقتلا أحد اخوة طليحة ، فلما بلغه مصرع أخيه خرج ومعه أخوه سلمة ، فقتلا عكاشة وثابتا ثم رجعا . ومرّ خالد في طريقه إلى بزاخة بعكاشة وثابت قتيلين [4] .

وعبّأ خالد جيشه للقتال ، فقالت له (طيء) : نحن نكفيك (قيساً) ، فإن بني أسد حلفاؤنا ! فقال : « قاتلوا أيّ الطائفتين شئتم » . فقال عدي : « لو نزل هذا على الذين هم أسرتي الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه . لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم » ، فقال له خالد : « إن جهاد الفريقين جهاد .

---

(1) السنح : موضع بنجد قرب طيء ، نزله خالد في حرب الردة ، فجاءه عدى بن حاتم باسلام طيء وحسن طاعتهم . راجع معجم البلدان (١٤٩/٥) .

(2) الطبري (٤٨٣/٢) وابن الاثير (١٣٢/٢) .

(3) عكاشة بن محصن الاسدي : من فضلاء الصحابة وساداتهم ، هاجر الى المدينة وشهد بدرا وابلى فيها بلاء حسنا وانكسر في يده سيف ، وشهد احدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتله طليحة الاسدي ، وكان عكاشة يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اربع واربعين سنة ، وقتل بعد ذلك بسنة ، وكان من اجمل الرجال ، روى من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه بعض الصحابة . راجع طبقات ابن سعد (٩٢/٣) والاصابة (٢٥٦/٤) واسد الغابة (٢/٤) والاستيعاب (١٠٨/٣) .

(4) الطبري (٤٨٤/٢) وابن الاثير (١٣٢/٢) والبلاذري ص(١٠٥) .

لا تخالف رأي أصحابك وامض بهم الى القوم الذين هم لقتالهم أنشط » . ثم سار خالد بجيشه ، والتقى بطليحة ورجاله على بزاخة ، فتقاتل الطرفان قتالاً شديداً ، ولما رأى طليحة أن كفة المسلمين رجحت على كفة أتباعه ، ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها ، وقال : « يا معشر فزارة ! من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته ، فليفعل » [1] ، وبذلك قضى خالد على فتنة طليحة وأعاد الاسلام الى منطقة (بزاخه) والمناطق المجاورة لها .

لقد حطم انتصار خالد معنويات أسد وغطفان وأحلافها الأقوياء ومعنويات القبائل الأخرى التي تعيش في تلك المناطق من (نجد) ، فأقبل بنو عامر وسُلَيْم وهوازن وهم يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله ونسلّم لحكمه في أموالنا وأنفسنا [2] ؛ ذلك لأن القبائل البدوية تكون دائماً مع القوي ، فبايعت خالداً ، وكانت بيعته : « عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله ولتقيمن الصلاة ولتؤتنّ الزكاة ، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم » ، ولم يقبل من أحد من أسد وغطفان وعامر وطيء وسليم إلا أن يأتوه بالذين حرّقوا ومثّلوا وعدوا على الاسلام في حال ردتهم ، فأتوه بهم ، فمثّل بهم وحرّقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في الآبار [3] .

لما أسباب أنتصار خالد الساحق السريع ؟؟

يمكن إجمال أسباب انتصاره، بأن المسلمين كانوا يقاتلون مدفوعين بعقيدة راسخة واثقين بنصر الله، وكان لانضمام طيء أثر في تقوية المسلمين وأضعاف

---

(1) الطبري (٤٨٥/٢) وابن الاثير (١٣٣/٢) والبلاذري ص (١٠٥) .

(2) الطبري (٤٨٦/٣) وكان بين اسد وغطفان وطيء حلف في الجاهلية راجع الطبري (٤٨٦/٢)

(3) ابن الاثير (١٣٣/٢) .

أعدائهم، كما كان لتورية أبي بكر الصديق رضي الله عنه تأثير على طيىء في عدم التعاون مع حلفائها وبقائها في مواضعها الأصلية . وكان قتل الصحابيين الجليلين قد أحفظ قلوب المسلمين وحرّضهم على قتال أعدائهم .

كما أن إفساح المجال لطيىء كي تقاتل قيساً كما أرادت شجّعها على الاستقلال في الحرب ، إذ لو أصرّ خالد على أن يقاتلوا حلفاءهم من بني أسد كما أراد عدي بن حاتم ، لقصّرت طيىء في حربها أي تقصير !

وربما كان هناك من ينتقد خالداً على إهماله مطاردة عدوّه بعد انتصاره عليهم في بزاخة ، ولكن ذلك غير وارد بالنسبة لقتال القبائل في الصحراء ، لأن القبائـــل تترك حيّها وتلجأ الى الأحياء القريبة أو البعيدة وتنهزم إلى جهات مختلفة ، مما يجعل مطاردتها أسوة بمطاردة القوات النظامية غير ممكن إلا في حدود معيّنة .

مع مالك بن نويرة [1]

حين فـــرغ خالد من طليحة ومَن معه ، سار يريد مالك بن نويرة في

---

(1) مالك بن نويرة التميمي : بعث النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن نويرة عـــلى بعض صدقات بني تميم ، وكان قد أسلم هو وأخوه متمم . قتل خالد بن الوليد مالكا واختلف فيه : هل قتله مسلما أو مرتدا . والاكثر على أنه قتله خطأ ، وأما أخوه متمم فلا شك في اسلامه . قـــال متمم يرثي أخاه :

وكنـــا كندماني جذيمة حقبـة ... من الدهر حتى قيـل لـن يتصدعـا

فلمـــا تفرقنــا كأني ومالــكا ... لطول افتراق لم نبت ليلة معا

وقال يرثيه :

تطاول هذا الليل ما كاد ينجلي ... كليل تمـام مـا يريـــد صراما

سأبكي اخي ما دام صوت حمامة ... تؤرق في وادي (البطاح) حماما

وابعث أنواحا عليـه بسحرة ... وتذرف عيناي الدموع سجامـا

وقيل لمتمم : ما بلغ من حزنك على أخيك ؟ فقال : « اصبت بعيني فما قطرت منها قطرة عشرين سنة ، فلما قتل اخي استهلت فما ترقأ » . راجع الاصابة (٦/٣٦) و (٦/٤٠) واسد الغابـة (٤/٢٩٥) والاستيعاب (٣/١٣٦٢) ومعجم البلدان (٢/٢١٥) .

« البطاح »[1] ، ولكن الأنصار في قوات خالد تخلفوا عنه ، وقالوا : ما هــذا بعهد الخليفة إلينا ! إذ الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا .

فقال خالد : « إن يك عهد إليكم هذا ، فقد عهد إليّ أن أمضي ، وأنا الأمير وإليّ تنتهي الأخبار ! ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصة ، فكنت إن أعلمته فاتتني ، لم أعلمه حتى انتهزها . وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه ، لم ندع أن نرى افضل ما بحضرتنا ، ثم نعمل بـه . وهذا مالك بن نويرة بحيالنا ، وأنا قاصد إليه ومَن معي من المهاجرين والتابعين بإحسـان ، ولست أكرهــكم » . ومضى خالد ، فندمت الأنصار وأجمعوا اللحاق به[2] .

وصل خالد الى (البُطاح) فلم يجد بها أحداً ، لأن مالك بن نويرة فرّق رجاله ونهاهم عن الاجتماع ؛ فبثّ خالد السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يـــأتوه بكل مَن لم يجب داعي الحق ، فإذا امتنعَ قتلوه ؛ وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أوصاهم : « أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلاً ، فإن أذّن القوم فكفّوا عنهم ، وإن لم يؤذّنوا ، فاقتلوا وانهبوا ، فإذا أجابوكم إلى داعية الإسلام ، فسائلوهم عن الزكاة ، فإن أقرّوا فاقبلوا منهم وإن أبو فقاتلوهم » . فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ؛ واختلفت السرية فيهم وكان أبو قتادة الحارث بن رِبْعِيَ الأنصاري[3] فيمن شهدوا

---

(١) البطاح : ماء في ديار بني خزيمة في نجد . وراجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/١١٤) .

(٢) الطبري (٢/٥٠١–٥٠٢) وابن الاثير (٣/١٣٦) .

(٣) ابو قتادة الحارث بن ربعي الانصاري : هكذا ورد اسمه في الطبري (٢/٥٠٣) . اختلف في شهوده (بدرا) واتفقوا على انه شهد (أحدا) وما بعدها ، وكان يقال له : فارس رســول الله صلى الله عليه وسلم . شهد مع علي بن أبي طالب مشاهده كلها ومات بالكوفة فصلى عليه علي بن أبي طالب . وفي رواية أنه مات بالمدينة سنة أربع وخمسين للهجرة وهو ابن سبعين سنة . راجع طبقات ابن سعد (٦/١٥) والاصابة (٧/١٥٦) والاستيعاب (٤/١٧٣١) .

أنهم أذّنوا وأقاموا وصلوا ؛ فلما اختلفوا فيهم ، أمر خالد بهم فحبسوا في ليلة باردة ، وأمر خالد منادياً فنادى : « أدفئوا أسراكم » ، وهي في لغة كنانة القتل ، فظنّ القوم أنه أراد القتل ولم يرد الدفء ، فقتلوهم وقتل ضرار بن الأزور[1] مالك بن نويرة [2] .

وفي رواية أنّ خالداً بثّ السرايا في بني تميم ، وكان منها سرية عليها ضرار بن الأزور الأسدي ، فلقي ضرار مالكاً ، فاقتتلوا ، وأسر وجماعة معه ، فأتى بهم خالداً ، فأمر بهم فضربت أعناقهم وتولى ضرار ضرب عنق مالك [3] .

وفي رواية ، أن السرية عندما جاءت بمالك وصحبه ، قال لخالد : « أنا آتي بالصلاة دون الزكاة !... » ، فقال خالد : « أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً ، لا تُقبل الواحدة دون الأخرى ؟ » فقال مالك : « قد كان صاحبكم يقول ذلك ! » . فقال خالد : « أو ما تراه لك صاحباً ؟! والله لقد هممت أن أضرب عنقك » ... ثم تجادلا في الكلام فقال خالد : « إني قاتلك » . فقال مالك : « أو بذلك أمر صاحبك ؟ » قال : « وهذه بعد تلك ؟! » ثم أمر بقتله [4] .

---

(1) ضرار بن الازور الاسدي : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فبعثه الى بني الصيد وبني الليل ، وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد ، استشهد يوم اليمامة ، وقيل مكث في اليمامة مجروحا ثم مات قبل ان يرتحل خالد بيوم . وكان قد قاتل يوم اليمامة قتالا شديدا حتى قطعت ساقاه جميعا ، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل وتطؤه الخيل ، حتى غلبه الموت . وقيل انه قتل يوم أجنادين . وقيل انه توفي بالكوفة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكن الراجح انه قتل باليمامة . راجع طبقات ابن سعد (٣٩/٦) والاصابة (٢٦٩/٢) واسد الغابة (٣٩/٣) والاستيعاب (٧٤٩/٢) .

(2) الطبري (٥٠٢/٢) وابن الاثير (١٣٦/٢—١٢٧) والاغاني (١٥٣/١٤) .

(3) البلاذري ص(١٠٧) .

(4) الطبري (٥٠٤/٢) وتاريخ أبي الفدا (١٥٧/١—١٥٨) .

ومضى أبو قتـــادة الأنصاري حتى أتى أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقصّ عليـه أمر خالد وقتله مالكاً وزواجه من ليلى زوج مالك ، وأضاف أنـه أقسم ألا يقاتل تحت لواء خالد أبداً ، لكن أبا بكر غضب عليه حتى كلـّمه عمر بن الخطاب ، فلم يرض إلا أن يرجع أبو قتادة الى خالد ؛ فرجع إليه حتى قدم معه المدينة [1] .

وكان عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه من بين الذين اقتنعوا بوجهة نظر أبي قتادة ، فقال لأبي بكر : « إن في سيف خالد رهقاً [2] . فإن يكن هذا حقاً حق عليه أن تُقيده » . وأكثر عليه في ذلك ، فلم يسع أبا بكر إزاء ثورة عمر إلا أن يستقدم خالداً ليسأله عن حقيقة ما صنع . وأقبل خالد من ساحة الميدان إلى المدينة ومعه أبو قتادة حتى دخل المسجد في عدّة الحرب ، وقد غرز في عمامته أسهماً ؛ فقام إليه عمر ونزع الأسهم من رأسه وحطـّمها وهو يقـــول : قتلت إمرأ مسلماً ثم نزوت على إمرأته !! والله لأرجمنـّك بأحجارك .. » .

وأمسك خالد فلم يعترض ولم يقل شيئاً ، لأنه ظنّ أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر ؛ حتى دخل على أبي بكر ، فأخبره الخبر اليقين وقـــدم له معاذيره ؛ فعذره أبو بكر وتجاوز عنه .

ولما خرج خالد كان عمر لا يزال جالساً في المسجد ، فقال خالد يخاطب عمر : « هلمّ إليّ يا ابن أم شملة !! » ، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عن خالد فلم يكلم خالداً ، ودخل بيته [3] .

لقـد كان رأي عمر أن يعزل أبو بكر خالداً ، ولكن رأي أبي بكر

---

(1) الطبري (٢/٥٠٢) .

(2) الرهق : السفه والخفة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم .

(3) الطبري (٢/٥٠٢ــ٥٠٤) وابن الاثير (٢/١٣٧) .

الصديق رضي الله عنه ، كان كما قال لعمر رضي الله عنه : « هَبْهُ يا عمر تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، ثم قال له : « يا عمر ! ما كنت لأشيم [1] سيفاً سله الله على الكافرين [2] » .

لقد نسجت الروايات حول هذا الحادث من بعدُ صوراً هي أدنى إلى فنون الأدب منها إلى وقائع التاريخ .

ولست أشك في أن الروايات الموثوق بصحتها تسوّغ الى حد بعيد قتل مالك ونفر من أصحابه وتبرّىء خالداً من دمائهم .

لنتذكّر ماضي مالك بن نويرة القريب : ماضيه بعد وفاة النبي ﷺ ، فقد منع الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ [3] ، وأغار على إبل الصدقة ، وفرّق ما كان بيده منها ، وأنشد الشعر الذي أظهر به الردّة عن الإسلام [4] ، ووادع سجاح بنت الحارث التي ادّعت النبوّة [5] ، — كل ذلك يدلّ على أنه ارتدّ عن الإسلام .

أما حاضره الذي يبدأ من تهديدات قوات خالد له ، فلم يكن مشجعاً أيضاً ! فرّق قومه ونهاهم عن الاجتماع [6] ، ولم يتركهم على وضعهم الطبيعي الذي كانوا يعيشونه يوم كانوا مسلمين ؛ فلما جاءت الخيل بمالك في نفر معه

---

(1) أشيم : أغمدة والشيم يستعمل في السل والاغماد .

(2) الطبري (٥٠٣/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢) وتاريخ ابي الفدا (١٥٨/١) والاغاني (١٥٢/١٤) والبدء والتاريخ (١٦٠/٥) .

(3) الطبري (٤٩٥/٢) وابن الاثير (١٣٥/٢) وتاريخ ابي الفدا (١٥٧/١) .

(4) قال مالك كما جاء في الاغاني (١٥٣/١٤) :

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر مما يجيء به الغد
فان قام بالامر المخوف قائم منعنا وقلنا : الدين دين محمد

(5) الطبري (٤٩٦/٢) وابن الاثير (١٣٥/٢) والاغاني (١٤٨/١٤) .

(6) الطبري (٥٠٢/٢) وابن الاثير (١٣٥/٢) .

من قومه سواء كان ذلك بقتال أو بدونه ، اختلفت السرية فيهم ، وكان أبو قتادة ممن شهدوا أنهم أذّنوا وأقاموا وصلوا ، واختلافهم هذا دليل على أن مالكاً لم يكن صريحاً في إعلان إسلامه ، وأنه أظهر الإسلام - إن كان أظهره - عندما تهدده الخطر وأحدق به ، إذ لم يختلف أحد في إسلام أخيه متمم بن نويرة [1] ، كما أن خالداً قبل توبة وكيع بن مالك[2] الذي أرعوى عن غيّه وندم وتحيّر في أمره وعرف قبح ما أتى ، فرجع رجوعاً حسناً ولم يتجبر وأخرج الصدقات واستقبل بها خالداً [3] ، مع أن موقف وكيع يشابه موقف مالك بعد وفاة النبي ﷺ ، فقد اجتمع وكيع ومالك وسجاح فوادع بعضهم بعضاً واجتمعوا على قتال الناس الذين ثبتوا على الإسلام [4] ، وهذا دليل على توبة وكيع وإصرار مالك على ضلاله .

إن ماضي مالك القريب وحاضره يلقيان شكوكاً كثيرة على صحة إسلامه ، وقد كان خالد من بين الذين اقتنعوا بأن مالكاً بقي مرتداً عن الإسلام ، لذلك أقدم على قتله . أما زواجه من أم تميم زوج مالك ، فقد جرى بعد إكمالها عدّتها [5] ، وليس في ذلك ما يؤخذ على خالد، ولست

---

(1) متمم بن نويرة التميمي : اسلم هو واخوه مالك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فارتد اخوه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم . واختلف كثير من الصحابة وغيرهم في مالك : هل قتل مرتدا ام مسلما ، أما متمم فلم يختلف في اسلامه . كان شاعرا محسنا لم يقل احد مثل شعره في المراثي . راجع الاصابة (٦/٤٠) واسد الغابة (٤/٢٩٨) والاغاني (١٤/١٤٧–١٦١) .

(2) وكيع بن مالك التميمي : استعمله النبي صلى الله عليه وسلم هو ومالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة وبني يربوع ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما كذلك ، ثم ارتد وكيع عن الاسلام ووافق سجاح بنت الحارث التي ادعت النبوة ، ولكنه عندما علم بقدوم خالد على راس جيش من المسلمين استقبله بصدقات قومه واعتذر اليه واسلم وحسن اسلامه . راجع الاصابة (٦/٣٢٠) .

(3) الطبري (٢/٥٠١) وابن الاثير (٢/١٣٦) .

(4) الطبري (٢/٤٩٦ – ٤٩٧) وابن الاثير (٢ – ١٣٥)

(5) الطبري (٢/٥٠٣) وتاريخ أبي الفدا (١/١٥٨) والاغاني (١٤/١٥٠) .

أشك في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لو اقتنع بأن خالداً قتل مسلماً عمداً ونزا على امرأته ، لأقام عليه الحد الشرعي [1] ، ولما ودى مالكاً من بيت المال دفعاً للشبهات على اعتبار أن خالداً : « تأوّل فأخطأ » كما قال أبو بكر الصديق عن خالد لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

لقد قال متمم : « إن أخاه لم يمت شهيداً » [2] ، فقد سمع عمر بعض شعر متمم في رثاء أخيه مالك ، فقال : « هذا والله التأبين ، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك » ، فقال متمم : « لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ، ما رثيته » ، وكان زيد بن الخطاب قد قتل شهيداً باليمامة ، فقال عمر : ما عزّاني أحد عن أخي بمثل ما عزّاني به متمم[3] ! » .

ترى ! هل كان لشعر متمم في رثاء مالك – ذلك الشعر المهموس الذي لا نزال حتى اليوم نحس بحرقته وتأثيره على النفوس والعقول معاً – هل كان لهذا الشعر أثر عاطفي في الناس استدرّ شفقتهم على مالك ، فأخذوا يختلقون له المعاذير ليظهروه بمظهر المقتول ظلماً وعدواناً ؟ وهل أفاد الشعوبيون من هذا الشعر العاطفي بالذات ليلهبوا شعور الناس على خالد باعتباره أحد قادة العرب ورجالات الإسلام الذين صدّعوا أركان الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية ؟ لعل شعر متمم وحقد الشعوبيين هما اللذان أثارا الشكوك حول مقتل مالك من جهة أخرى ، ولكن هيهات أن تصمد نوازع الهوى أمام حقائق التاريخ !

---

(1) في التشريع الجنائي الاسلامي – عبدالقادر عودة (٢/٧٢٠–٧٢٥) : ان عقوبة الردة هي القتل .

(2) الاغاني (١٤/١٥٤) .

(3) الاغاني (١٤/١٥٧) والاستيعاب (٢/٥٥٣) وطبقات ابن سعد (٢/٣٧٨) .

في اليمامة

وفد بنو حنيفة على النبي ﷺ ، وفيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب ، فلما أرادوا الرجوع ، أمر لهم الرسول ﷺ بجوائزهم فقالوا : يا رسول الله ! إنا قد خلّفنا صاحباً منا في رحالنا يُبْصِرُها لنا ، وفي ركابنا يحفظها علينا ! فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر لأصحابه ، وقال: «ليس بشرّكم مكاناً ، لحفظه ركابكم ورحالكم » . فقيل ذلك لمسيلمة ، فقال : « عرف أنّ الأمر إليّ من بعده ! » . وادّعى مسيلمة النبوّة ، فافتتن الناس به [(١)] .

سار خالد من « البُطاح » للقضاء على مسيلمة في « اليمامة » [(٢)] ، بعد أن أخفق عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة بالتعاقب في القضاء عليه[(٣)] . وفي طريقه اتفقَ مع بعض القبائل ليقوموا بحماية قواته من الخلف ، كما أمدّه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بسليط بن قيس الأنصاري [(٤)] ليكون ردءاً له من أن يأتيه أحد من خلفه ، فلما دنا سليط من خالد وجد خيول الأعراب التي اتفق معها خالد قد تركت مواضعها هاربة ، فأخذ سليط على عاتقه واجب حماية مؤخرة قوات خالد[(٥)] ، حتى يحول بين العدو وبين تطويق

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/٣١٦ـ٣١٧) .

(٢) اليمامة : منقول من اسم طائر يقال له اليمام ، واحدته يمامة ، بين اليمامة والبحرين عشرة أيام ، وهي معدودة من نجد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٩٥) .

(٣) الطبري (٢/٥٠٤ـ٥٠٥) وابن الاثير (٢/١٣٧ـ١٣٨) . وانظر ترجمة شرحبيل بن حسنة في : قادة الشام ومصر (١١٣ـ١١٩) .

(٤) سليط بن قيس الانصاري الخزرجي : من بني النجار ، شهد (بدرا) وما بعدها من المشاهد ، وقتل يوم الجسر في العراق مع أبي عبيد مسعود الثقفي . راجع طبقات ابن سعد (٣/٥١٢) والاصابة (٣/١٢٣) واسد الغابة (٢/٣٤٥) والاستيعاب (٢/٦٤٦) .

(٥) الطبري (٢/٥٠٥) وابن الاثير (٢/١٣٨) .

جيش خالد من الخلف ، وحتى يؤمن خطوط انسحـــاب خالد إلى قواعده عند الحاجة .

وفي مسير الاقتراب كان خالد على المقدمة ومعه جيش شرحبيل بن حسنة ، وعلى الجنبتين زيد بن الخطاب [1] وأبو حذيفة [2] ، فلما كان على بعد ليلة في معسكر مسيلمة ، هجم على مفرزة من بني حنيفة بإمرة مجاعـــة بن مرارة الحنفي [3] قوتها بين ثلاثين أو أربعين فارساً ، فأسرهم وقتل أصحاب مجاعة

---

(١) زيد بن الخطاب القرشي الفهري : أخو عمر بن الخطاب لابيه ، يكنى أبا عبدالرحمن وكان أسن من عمر ومن المهاجرين الاولين . أسلم قبل عمر وشهد (بدرا واحدا والخندق) وما بعدها من المشاهد ، وشهد بيعة الرضوان بالحديبية . قال عمر لزيد يوم احد : « خذ درعي » . فقال زيد : « اني أريد من الشهادة ما تريد » فتركاها جميعا .

وقتل زيد باليمامة شهيدا سنة اثنتى عشرة للهجرة فحزن عليه عمر حزنا شديدا . قـــال عمر : « ما هبت الصبا الا وانا أجد منها ريح زيد » . ولما نعي زيد الى عمر ، قـــال : « رحم الله أخي ! سبقني الى الحسنيين : أسلم قبلي ، واستشهد قبلي » . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٣/٣٧٦) والاصابة (٣/٢٧) وأسد الغابة (٢/٢٢٨) والاستيعاب (٢/٥٥٠) .

(٢) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي . كان من فضلاء الصحابة ومن المهاجرين الاولين ، جمع الله له الشرف والفضل : صلى القبلتين ، وهاجر الهجرتين جميعا . وكان اسلامه قبـــل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم للدعوة فيها الى الاسلام ، وهاجر الى الحبشـــة ثم قدم على رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وهو بمكة فاقام بها حتى هاجر الى المدينـــة . شهد (بدرا) ودعا أباه عتبة ابن ربيعة الى البراز ، وشهد (أحدا) و (الخندق) و (الحديبية) والمشاهد كلها ، وقتل يوم اليمامة شهيدا ، وهو ابن ثلاث او أربع وخمسين سنـــة ، وكان رضي الله عنه رجلا طوالا حسن الوجه أحول أثعل (الاثعل هو الذي له سن زائدة) . راجـــع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٣/٨٤) والاصابة (٧/٤٢) والاستيعاب (٤/١٦٣١) .

(٣) مجاعة بن مرارة الحنفي : وفد هو وأبوه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مـــن رؤساء بني حنيفة . اسره خالد واستحياه ، اذ جاد أصحابه بأنفسهم دونه وقالـــوا لخالـــد : ان كنت تريد بأهل اليمامة غدا خيرا أو شرا ، فاستبق هذا ولا تقتله ، فحبسه خالد عنده كالرهينة . ولما قهر خالد مسيلمة ، صالح مجاعة خالدا عن قومه بني حنيفة في الحصون على المال وربـــع السبي ، فلما فتحت الحصون لم يجد خالد فيها غير النساء والصبيان ، فقـــال خالـــد لمجاعـــة : « ويحك خدعتني ! » فقال مجاعة « انهم قومي ، ولم استطع الا ما صنعت » . راجع التفاصيل في الطبري (٢/٥٠٨–٥١٧) ابن الاثير (٢/١٣٧–١٤٠) وأسد الغابة (٤/٣٠٠) .

واستحياه رهينة لديه لشرفه في بني حنيفة [1]

والتقى الجمعان « بعقرباء [2] » ، وكانت رايـة المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة [3] ، وكانت راية الأنصار مع ثابت بن شماس [4] ، وكانت العرب على رايتها . واشتد القتال بشكل لم يسبق له مثيل من قبل عند المسلمين ، فانهزم المسلمون حتى دخل بنو حنيفـة فسطاط خالد [5] ، ولكن المسلمين عادوا فاستقتلوا في كفاحهم ، فكانت الحرب يومئذ سجالاً : تكون مرة على المسلمين ومرة على المشركين ، فقال خالد : « أيها الناس : امتازوا لنعلم بلاء كل حيٍّ ، ولنعلم أين نُؤتى » ، فامتاز أهل القرى والبوادي ، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر ، فوقف بنو كل أب على رايتهم ، ولكن مسيلمة ثبت ، فعرف خالد أن الحرب لا تركد إلا بقتل مسيلمة [6] ، فحمل

---

(١) الطبري (٥٠٨/٢) وابن الاثير (١٠٩/٢) .

(٢) عقرباء : منزل من ارض اليمامة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٩٤/٦).

(٣) سالم مولى ابي حذيفة : فارسي من اهل اصطخر ، كان من فضلاء الصحابة ، وكان يؤم المهاجرين بقباء فيهم عمر بن الخطاب قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . هاجر مع عمر بن الخطاب ونفر من الصحابة الى المدينة ، وكان يؤمهم اذا سافر معهم ، لانه كان اكثرهم قرآناً ، وكان عمر يفرط في الثناء عليه . شهد (بدرا) وقتل شهيدا يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٨٥/٣ والاصابة (٥٦/٣) واسد الغابة (٢٤٥/٢) والاستيعاب (٥٦٧/٢) .

(٤) ثابت بن شماس الخزرجي الانصاري : كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان حسان بن ثابت شاعره . شهد (احدا) وما بعدها من المشاهد وقتل يوم اليمامة شهيدا . قال انس بن مالك : « لما انكشف الناس يوم اليمامة ، قلت لثابت : الا ترى يا عم ! ووجدته قد حسر عن فخذيه وهو يتحنط ، فقال : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بئس ما عودتم اقرانكم ، وبئس ما عودتكم انفسكم . اللهم اني ابرأ اليك مما يصنع هؤلاء ، ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنه » . راجع الاصابة (٢٠٣/١) واسد الغابة (٢٢٩/١) والاستيعاب (٢٠٠/١) .

(٥) الطبري (٥٠٩/٢) وابن الاثير (١٣٩/٢) .

(٦) الطبري (٥١٣/٢) وابن الاثير (١٣٩/٢) .

عليه قائلاً لحماته : « لا أوتين من خلفي » ، حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة [1] ، فلما دنا منه ودعاه وعرض عليه أشياء مما يشتهي ، وجد فرصته مناسبة فهاجمه هجوماً شديداً ، فأدبر مسيلمة وأدبر رجاله معه ، فصاح خالد في الناس ، فركبوا المشركين وكانوا بتماس شديد معهم ، حتى اضطروهم على الفرار [2] ، والتجأ بنو حنيفة إلى حديقة الموت ، فدخلوها وأغلقوا عليهم ، فصرخ البراء بن مالك [3] : « احملوني على الجدار حتى تطرحوني عليه » . فلما وضعوه على الحائط ، اقتحم عليهم فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين ، فدخلوه واقتتلوا قتالاً مريراً داخل الحديقة لم يروا مثله ، فأبادوا مَنْ بالحديقة من المشركين ، وكان من بين القتلى مسيلمة الكذاب [4] .

وبثّ خالد بعد المعركة مباشرة خيوله تطارد فلول المشركين وتلتقط مَن

---

(١) الطبري (٢/٥١٢) .

(٢) الطبري (٢/٥١٤) وابن الاثير (٢/١٣٩) .

(٣) البراء بن مالك الانصاري : اخو انس بن مالك ، شهد احدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شجاعا مقداما ، ولشجاعته كان عمر يكتب لقادة جيوشه : « لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين ، فانه مهلكة من المهالك يقدم بهم » . ولما كان يوم اليمامة واشتد قتال بني حنيفة على الحديقة التي فيها مسيلمة ، قال البراء : « يا معشر المسلمين! القوني عليهم » ، فاحتمله المسلمون حتى اذا اشرف على الجدار اقتحم ، فقاتلهم على باب الحديقة حتى فتحه للمسلمين ، ولكنه جرح يومئذ بضعا وثمانين جراحة ما بين رمية وضربة، فاقام عليه خالد بن الوليد شهرا حتى برأ من جراحه . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو اقسم على الله عز وجل لابره ، منهم البراء بن مالك » ، فلما كان يوم (تستر) من بلاد الفرس انكشف الناس ، فقال له المسلمون : يا براء ! اقسم على ربك ! فقال : « اقسم عليك يا رب لما منحتنا اكتافهم والحقني بنبيك » ، فحمل وحمل الناس معهم ، فقتل البراء شهيدا . وكان رضي الله عنه حسن الصوت يحدو بالنبي صلى الله عليه وسلم في اسفاره ، فكان هو حادي الرجال ، وقد قتل على (تستر) مائة رجل مبارزة سوى من شرك في قتله . راجع طبقات ابن سعد (٧/١٦) والاصابة (١/١٤٧) واسد الغابة (١/١٧٢) والاستيعاب (١/١٥٤) وجوامع السيرة ص (٣٤١) .

(٤) الطبري (٢/٥١٤) وابن الاثير (٢/١٣٩) واسد الغابة (١/١٧٢) والاستيعاب (١/١٥٤) وجوامع السيرة ص (٣٤١) .

ليس في الحصون ، ثم نادى بالرحيل لينزل على الحصون [1] فقال له مجاعة : « إنه والله ما جاءك إلا سرعان الخيل ، وإن الحصون لمملوءة رجالاً ، فهلمّ الى الصلح على ما ورائي » ، فصالحه خالد على كل شيء دون النفوس ، ثم قال مجاعة : « أنطلقُ إليهم وننظر في هذا الأمر ، ثم أرجع إليك » ، فدخل مجاعة الحصون وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفى ، فألبسهم الحديد ، وأمر النساء أن ينشرن شعورهنّ ويشرفن على الحصون ، ثم رجع الى خالد فقال : « قد أبو أن يجيزوا ما صنعت » ؛ فرأى خالد الحصون مملوءة ، وقد نهكت المسلمين الحربُ وطال اللقاء وأحبوا أن يرجعوا على الظفر ، ولم يدروا ماذا يحدث لو كان فيها رجال وقتال ، لذلك صالح خالد مجاعة على الفضة والذهب والسلاح ونصف السبي ، وقيل ربعه ، فلما فتحت الحصون لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء ؛ فقال خالد لمجاعة : « ويحك خدعتني ! » ، فقال : « هم قومي ولم أستطع إلا ما صنعت » . ثم وصل بعد إبرام الصلح كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد : « أن يَقتل كل محتلم » ، ولكن خالداً وفىَ لهم ولم يغدر [2] .

لقد كان عدد قوات المسلمين حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل ، وكان عدد رجال مسيلمة حوالي أربعين ألف مقاتل أو أكثر[3] ، أي أن المشركين كانوا متفوقين فواقاً عددياً ساحقاً على المسلمين ، ومع ذلك فقد استشهد من المسلمين ثلاثمائة وستون من المهاجرين والأنصار من سكان المدينة وحدها ، وثلاثمائة من المهاجرين من غير أهل المدينة ، وثلاثمائة من التابعين [4] ، مع شهداء آخرين ،

---

(١) الطبري) ٢/٥١٥ (.
(٢) الطبري) ٢/٥١٦ ـ ٥١٨) وابن الاثير (٢/١٣٩ ـ ١٤٠) .
(٣) جاء في كتاب فضائل القرآن لابن كثير ص (١٢) ملحق بالجزء التاسع من تفسير ابن كثير ما يلي : « التف حول مسيلمة من المرتدين قريب من مائة الف ، فجهز الصديق ابو بكر لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر الفا » .
(٤) الطبري (٢/٥١٦) وابن الاثير (٢/١٤٠) .

فكان جملة من قتل من المسلمين ألف ومائتي شهيد [١] ، منهم خمسمائة من القراء [٢] ، ولهذا أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يحفظه [٣] .

أما بنو حنيفة ، فقد قتل منهم في معركة اليمامة أربعة عشر ألفاً وقتل منهم في الطلب سبعة آلاف [٤] ، أي أن نسبة شهداء المسلمين الى قتلى المشركين تعادل ستة بالمائة « ٦٪ » فقط، وهذا يُعد من أروع الانتصارات .

فما أسباب انتصار خالد في هذه المعركة الحاسمة ، التي تُعدُّ من أقسى وأعنف معارك حروب أهل الردّة ؟

إن مجمل الأسباب هي : أمر خالد الذي أصدره لرجاله بأن يمتازوا [٥] ، ووقوف خالد بين الصفوف يطلب المبارزة مما رفع معنويات رجاله ودفعهم للاقتداء بإقدامه ، وتحيّن خالد للفرصة السانحة للقضاء على مسيلمة، واستقتال أهل النجدة والعقيدة الراسخة من المهاجرين والأنصار خاصة القراء الذين قتل منهم خمسمائة شهيد .

لقد ابلى خالد في قتال أهل الردة بلاءً عظيماً ، [٦] وكان بلاؤه من العوامل الحاسمة لانتصار المسلمين على المرَتدين .

---

(١) الطبري (٢/٥١٩) .
(٢) الطبري (٢/٥١٦) . ابن الاثير (٢/١٤٠) .
(٣) فضائل القرآن لابن كثير ـ ص (١٣) ـ ملحق بالجزء التاسع في تفسير ابن كثير .
(٤) الطبري (٢/٥١٦) وابن الاثير (٢/١٤٠) .
(٥) ادى ذلك الى تنافس القبائل والرجال في القتال .
(٦) الاصابة (٢/٩٨) واسد الغابة (٢/٩٥) .

هَازم الفُرْسِ في أرض العِرَاق

« عجزت النساء أن يلدن مثل خالد »

(الصديق أبو بكر)

إلى العراق

أرســـل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد وهو باليمامة ، يأمره بالمسير الى العراق : وقيل بـــل قدم المدينة من اليمامة ، فسيّره أبو بكر الى العراق [1] . وهناك من يؤكد أن خالداً قدم المدينة من اليمامة ، ثم خرج منها الى العراق [2] ؛ وهذا ما نرجحه ، لأن تكليف خالد بمهمة شاقة كفتح العراق ، لا بد من أن يحتاج الى الاتصال الشخصي بينه وبين أبي بكر بالمدينة للمذاكرة حول هذه المهمة وتأمين كل متطلباتها العسكرية والإدارية .

سار خالد الى العراق في ألفي رجل ، وانضمت إليــه ثمانية آلاف من ربيعة ومضر تحشّدت في مناطقها والتحقت بـه في طريقه الى العراق ، كما انضم إليه ثمانية آلاف كانوا مع المثنى بن حارثة الشيباني والقادة الآخرين في العراق ، فكان مجموع جيش خالد الذي لقي به العدو في أول معركة خاضها في منطقة العراق ثمانية عشر ألفاً [3] .

سلك خالد طريق (فَيْد) [4] و (الثعلبية) [5] حتى نزل (بانقيا) [6]

---

(١) الطبري (٢/٥٥١) وابن الاثير (٢/١٤) والبلاذري ص (٢٤٢) .
(٢) البلاذري ص (٢٤٣) والخراج ص (١٦٩) .
(٣) الطبري (٢/٥٥٤) وابن الاثير (٢/١٤) .
(٤) فيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة . راجع التفاصيل في معجـــم البلدان (٦/٤٠٨) .
(٥) الثعلبية : من منازل طرق مكة الى الكوفة ، اسفل منها ماء . راجـــع التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٤) .
(٦)بانقيا) :ناحية من نواحي الكوفة ، راجع التفاصيـــل في معجم البلـــدان (٢/١٥٠) .

و (باروسما [1]) وغيرهما من المدن والقرى في منطقة الحيرة [2] . وقيل : لما قدم خالد بن الوليد من (اليمامة) دخل على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وخرج فأقام أياماً ، ثم قال له أبو بكر : « تهيأ حتى تخرج الى العراق » ، فوجهه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الى العراق ، فخرج في ألفين ومعه من الأتباع مثلهم ، فمر بفايد (هي فيد ، وقد وردت هنا : فايد خطأ) فخرج معه خمسمائة من طيء ومعهم مثلهم فانتهى الى «شراف» ومعه خمسة آلاف او أقل او أكثر ، فتعجب أهل شراف من خالد ومن معه ووغولهم في أرض العجم ، فانتهوا الى المغيثة «هي ما بين القادسية والمذيب» فإذا طلائع خيل العجم ، فنظروا إليهم ورجعوا ، فانتهوا الى حصنهم ودخلوه ، فأقبل خالد ومن معه الى الحصن فحاصرهم وفتح الحصن وقتل من فيه من المقاتلة وسبى النساء والذراري وأخذ جميع ما فيه من السلاح والمتاع والدواب وهدم الحصن .

ثم انتهى إلى (المذيب) وفيه حصن فيه مسلحة لكسرى فواقعهم خالد فقتلهم وأخذ ما كان في الحصن من متاع وسلاح ودواب وهدم الحصن وضرب أعناق الرجال وسبى النساء والذراري وعزل الخمس .. فلما رأى ذلك أهل القادسية طلبوا الصلح وأعطوه الجزية .

ومضى خالد من القادسية حتى نزل النجف وبه حصن حصين لكسرى فيه رجال من أهل فارس مقاتلة ، فحاصرهم وافتتح الحصن .. ثم بعث طليعة الى أهل (أليس) وفيها حصن فيه رجال مسلحة لكسرى فحاصرهم وفتح الحصن .. ثم مضى الى الحيرة .. الخ .

---

(١) باروسما) : ناحية من سواد بغداد ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٤) .

(٢) الطبري (٢/٥٥١) وابن الاثير (٢/١٤٧) والخراج ص (١٦٩ مع ١٧٠) .

أقول : وهذه الرواية تؤيد دخول خالد من اتجاه الحيرة أيضاً . وقد رجحنا دخول خالد من جنوب العراق .

وفي رواية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمره أن يبدأ (بالأُبُلَّة)[1] أي من منطقة البصرة حالياً[2] ، ونرجّح أنه بدأ من منطقة البصرة ، لأن قوات المثنى بن حارثة كانت تقاتل في تلك المنطقة ، وهي القوة الرئيسية التي تقاتل في العراق ، ولأن قوات خالد الأصلية في اليمامة وهي أقرب الى منطقة البصرة ، ولأن أبا بكر أمر خالد أن يبدأ بالأُبُلَّة وأمر عياض بن غنم أن يبدأ (بالمُصَيَّخ) ، أي أن خالداً يهاجم العراق من جنوبه وأن عياضاً يهاجمه من شماله ، وهذا قرار صحيح[3] من الناحية العسكرية : لتفريق قوات العدو من جهة ولتضليل الفرس عن اتجاه التعرض الرئيسي لقوات المسلمين في جهة أخرى .

كما أنه لا يمكن البدء من (الحيرة) وترك قوات معادية في الجنوب ، وذلك لاحتمال تطويق قوات المسلمين وتهديد سلامة تقدمها الى أهدافها بعد الحيرة باتجاه الشرق او الشمال او الجنوب .

في منطقة البصرة

لما قدم خالد « الأُبُلَّة » ، فرّق جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحدة ، وكان على مقدمته المثنى بن حارثة الشيباني ، وبعده عدي بن حاتم

---

(١) الابلة : مدينة كانت مرفأ السفن القادمة من الصين . راجع الطبري (٣/ ٩٣) ،وهي واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة الخصيب بنحو ميلين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/ ٨٩) .

(٢) الطبري (٢/ ٥٥٤) وابن الاثير (٢/ ١٤٧) . وانظر طبقات ابن سعد (٧/ ٧٦) والاستيعاب (٤/ ١٤٥٧) .

(٣) الطبري (٢/ ٥٥٣) .

الطائي ، وجاء خالد بعدهما وواعدهما « الحفير » [١] وهو من أقوى مناطق الفرس وأشدها شوكة ، وكان صاحبه « هرمز » من أبرز قادة الفرس يحارب العرب براً وبحراً [٢] :

وتعجّل هرمز إلى (الكواظم) [٣] بقواته الخفيفة ، فسمع أن المسلمين تواعدوا (الحفير) فسبقهم إليه ونزل به واتخذ تشكيلات القتال ، واقترن رجاله بالسلاسل لئلا يفرّوا ، فلما علم خالد بأخبار الفرس مال بالناس إلى (كاظمة) فسبقه (هرمز) إليها . وجاء خالد ونزل على غير ماء ، وقال لأصحابه : « ليصبرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين » [٤] .

وبعد اصطدام الجمعين، خرج « هرمز » فدعا خالداً للمبارزة مبيتاً الخيانة، ونزل خالد فالتقيا واختلفا ضربتين ، فاحتضنه خالد، ولكن حامية «هرمز» حملت غدراً على خالد ، فما شغله ذلك عن قتل « هرمز »، فانهزم أهل فارس فطاردهم المسلمون إلى الليل [٥] .

في المـذار [٦]

كتب (هرمز) الى كسرى (أردشير) بخبر خالد ، فأمدّه (بقارن)

---

(١) الحفير اول منزل من البصرة لمن يريد مكة · راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٠٣) ·

(٢) الطبري (٢/٥٥٤ ــ ٥٥٥) وابن الاثير (٢/١٤٨) ·

(٣) الكواظم : وهي كاظمة ، مدينة على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان · راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٠٨)·

(٤) الطبري (٢/٥٥٥) وابن الاثير (٢/١٤٨) ·

(٥) الطبري (٢/٥٥٦) وابن الاثير (٢/١٤٨)·

(٦) المذار : في منطقة (ميسان) بين واسط والبصرة ، وهي قصبة (ميسان) بينها وبين البصرة مقدار اربعة ايام · راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٤٣٣)·

فخرج من (المدائن) [١] حتى انتهى الى (المذار) ، وفيها بلغه مقتل (هرمز) واندحار جيشه ، فضم (قارن) فلول جيش (هرمز) الى قواته وعسكر (بالمذار) واتخذ تشكيلات القتال ، فلما نزل خالد (المذار) التقى الطرفان هناك ، فاقتتلوا على حنق وحفيظة . وخرج (قارن) يدعو للبراز ، فبرز له خالد وأبيض الركبان مَعْقِل بن الأعشى بن النباش [٢] ، فسبقه إليه معقل وقتله ، وقتلوا من الفرس مقتلة عظيمة [٣] ، قدّرها بعض المؤرخين بثلاثين ألفاً سوى مَن غرق ، ولولا المياه التي منعت المسلمين من طلبهم لما أفلت من الموت منهم أحد [٤] .

في الولجة [٥]

وصلت أنباء اندحار الفرس في (المذار) الى (أردشير) فبعث (الأنْدَرْزَغَر) وكان فارسياً من مولدي السواد، وأرسل (بَهْمِن جاذويه) في أثره على رأس جيش فارسي، فسار «الاندرزغر» حتى أتى «كَسْكَر» [٦] ثم جاوزها الى « الولجة » ، وخرج « بهمن جاذويه » في أثره وأخذ غير

---

(١) المدائن : عاصمة كسرى تقع على نهر دجلة في موضع (سلمان باك) حاليا، واسمها القديم (توسفون) وعربوه على (الطيسفون) . راجع معجم البلدان (٤١٣/٧) .

(٢) معقل بن الاعشى بن النباش : كان يعرف بأبيض الركبان ، وكان ذكيا مدركا وله مشاهد مشهورة في قتال الفرس ، وكان مع خالد بن الوليد من سنة اثنتي عشرة وما بعدها راجع الاصابة (١٧٩/٦) .

(٣) الطبري (٢ /٥٥٧) وابن الاثير (١٤٨/٢).

(٤) الطبري (٥٥٨/٢)وابن الاثير (١٤٨/٢)

(٥) الولجة : موضع مما يلي البر بأرض كسكر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٣/٨) .

(٦) كسكر : كورة واسعة قصبتها مدينة واسط ، وهي بين البصرة والكوفة ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٢/٧) .

طريقه ، فسلك وسط السواد ، وقد حشر بعض العرب الساكنين ما بين الحيرة وكسكر ؛ فلما أكمل الفرس تحشّد قواتهم في « الولجة » أجمع قائدهم السير الى خالد ، ولكن خالداً سار من المذار الى الولجة وخلّف سُوَيد بن مقرّن المزني [1] وأمره بلزوم «الحفير» ، وتقدم إلى مَن خلّف في أسفل دجلة ، وأمرهم بالحذر وقلة الغفلة وترك الغرور جانباً .

وصلت قوات خالد « الولجة » فنشب القتال واقتتلوا قتالاً شديداً حتى ظن الطرفان أن الصبر قد افرغ ، وكان خالد قد وضع لهم كميناً في ناحيتين ؛ فاستبطأ خالد كمينه ، ولكن الكمين خرج من وجهين ، وبذلك أصبح الفرس مطوّقين من الجهات كافة : قوات خالد من الأمام والكمين من الخلف ، مما أدى الى انهيار مقاومة الفرس ، فهرب قائدهم ومات عطشاً [2] .

في أليس [3]

أصاب خالد يوم « الولجة » من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا أهل فارس ، فغضب لهم نصارى قومهم واجتمعوا الى « أُلَّيْس » . وبلغ ذلك « أردشير » ، فكتب الى « بهمن جاذويه » : أن سر حتى تقدم « أليس » بجيشك الى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب» . فقدّم «بهمن جاذويه»

---

(١) ترجمته في قادة فتح بلاد فارس (١٩٥ ـ ٢٠١) .

(٢) الطبري (٢/٥٥٨ ـ ٥٥٩) وابن الاثير (٢/١٤٨) ، وقد قام خالد في الناس خطيبا وقال : « الا ترون الى الطعام كرفغ (ورفغ : الارض الكثيرة التراب) التراب ، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء الى الله عز وجل ، ولم يكن الا المعاش لكان الرأي ان نقارع على هذا الريف ، حتى نكون اولى به ، ونولي الجوع والاقلال من تولاه ممن اثاقل عما انتم عليه » . ثم بذل الامان للفلاحين وسبي ذراري المقاتلة ومن اعانهم . راجع الطبري (٢/٥٥٩) وابن الاثير (٢/١٤٨) .

(٣) اليس : موضع في اول ارضي العراق من ناحية البادية ، وهي قرية من قرى الانبار . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٢٨) .

أمامه « جابان » ؛ فلما نزل « أليس » اجتمعت اليه المسالح [1] التي كانت بإزاء العرب ، وانضم اليه النصارى من بكر الذين كاتبوا الأعاجم .

وصلت قوات خالد ، فوجدت القوات الفارسية تتناول طعامها، فما كادت تحط قواته أثقالها حتى عاجل الفرس بالقتال . وبرز خالد أمـام الصف وهو ينادي قادة العرب النصارى للبراز ، وما كاد يخرج اليه أحدهم إلا وقتـله بسرعة خاطفة ، فترك الأعاجم طعامهم وصبروا للمسلمين على أمل ورود المدد اليهم . ورأى خالد صبرهم وقوة تجلدهم ، فتوجه الى ربه يستنصره ويقول : « اللهم إنّ لك عليّ إن منحتنا أكتافهم، ألا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه، حتى أجري نهرهم بدمائهم ! » .

وضيّق خالد الخناق على الفرس حتى انهزموا ، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس : « الأسر ! الأسر ... لا تقتلوا إلا من امتنع » فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوق النعم ، فوكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر ، واستمر هؤلاء يوماً وليلة دون أن يجري النهر دماً ، فقال له بعض أصحابه : لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ! . إن الدماء لا تزيد على أن تترقرق منذ نهيت عن السيلان ونهيت الأرض عن نشف الدماء فأرسل عليها الماء تبرّ بيمينك » ، وقد كان صد الماء عن النهر ، فأعـاده ، فجرى دماً عبيطاً [2] ، فسمي : نهر الدم [3] .

---

(١) المسالح . جمع مسلحة ، والمسلحة : القوم ذو سلاح ، وقد تطلق علـى الثغر .

(٢) عبيطا : طريا .

(٣) لما هزم الفرس واجلوا عن عسكرهم ، ورجع المسلمون من طلبهم ، وقف خالد على الطعام الذي كان للفرس ، فقال لجيشه : « وقد نفلتكموه ، فهو لكم ، فقعـد عليـه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل من لم يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاق البيض ؟ ! وجعل من عرفها يقول لهم مازحا : هل سمعتم برقيق العيش ؟ فيقولون : نعم ! فيقولون هذا هو ! . راجع الطبري (٢/ ٥٦٠ ـ ٥٦٢) وابن الاثير (٢/ ١٤٩) .

ولم يترك خالد فرصة لتحشد العدو ، بـل أتى « أمَغيشيا » [1] ، فأصاب المسلمون فيها ما لم يصيبوا مثله ، لأن أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا اموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك ، فلما بلغ أبا بكر أخبار انتصار خالد ، قال : « عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ؟ » [2] .

في الحيرة [3]

قدّر صاحب « الحيرة » أن خالداً لن يتركه وأنه سيركب اليه النهر ، فقدّم ابنه وأمره أن يسد قناطر الفرات يعوّق بذلك سير السفن ، ثم خرج في أثره وعسكر خارج الحيرة .

وحمل خالد رجاله في السفن وسار شمالاً باتجاه الحيرة ، فلم يفجأ المسلمين إلا السفن جوانح ، فقال الفلاحون: إن الفرس قد فجّروا الانهار فسلك الماء غير طريقه ! .. فتعجّل خالد في جريدة من الخيل نحو ابن صاحب الحيرة ، فباغت خيله على فم « العتيق » [4] وهم آمنون من الغارة في تلك الساعة ، فاقتتلو بموضع المَقْر [5] حتى هزمهم بعد أن قتل ابن صاحب الحيرة، وأعاد الماء يجري في النهر ، فعادت سفن المسلمين الى المسير .

---

(١) امغيشيا : كانت مصرا كالحيرة ، وكانت (اليس) من مسالحها انظر الطبري (٥٦٣/٢) • وهي موضع كان بالعراق ، امرخالد بهدمها ، وكانت مصرا كالحيرة • راجع التفاصيل في معجم البلدان (١ــ٣٢٦)•

(٢) ابن الاثير (١٤٩/٢) • وفي الطبري (٥٦٣/٢) جاء نص هذه العبارة كما يلي : قال ابو بكر رحمه الله حين بلغه انتصار خالد : « يا معشر قريش ! عدا اسدكم على الاسد فغلبه على خراذيله • واعجزت النساء ان ينشئوا مثل خالدا »•

(٣) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف • راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٣) •

(٤) العتيق : يقصد به مصب الفرات الاصلي في بعض الفروع ، والموضع قريب من مدينة الكوفة • والجريدة خيل لا مشاة فيها •

(٥) المقر : (فم العتيق) ،موضع قرب فرات بادقلي من ناحية البر من جهة الحيرة •

وقصد خالد الحيرة . فوجد أهلها متحصنين داخلها ، وقد فرّ صاحبها بعدما علم بموت (أردشير) وقتل ابنه ، فعسكر خالد بين (الغَرِيّين) [1] والقصر الأبيض وأجال خيله في عرصاتهم [2] ووكل لكل قصر قائداً يحاصر مَن فيه ويقاتلهم ، وعهد الى اولئك القادة : أن يدعوهم ، فان لم يقبلوا أجّلوهم يوماً ثم يناجزونهم .

وبعد قتال افتتح المسلمون الدور والديرات وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرهبان : يا اهل القصور ، ما يقتلنا غيركم ! فنادى أهل القصور : يا معشر العرب ! قد قبلنا واحدة من ثلاث ، فكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً ؛ فكفوا عنهم وأرسلوهم الى خالد .

وخلا خالد بأهل كل حصن على حدة ولامهم [3] ، وقال : « اختاروا واحدة من ثلاث . أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، والجزية او المنابذة [4] والمناجزة » فقالوا له : بل نعطيك الجزية ! فقال خالد : « تباً لكم ! ويحكم ! إن الكفر فلاة [5] مضلة فأحمق العرب من سلكها ، فلقيه دليلان ، أحدهما عربي فتركه واستدلّ [6] الأعجمي .

وعقد خالد معاهدة صلح [7] بينه وبين أهل الحيرة ، وبذلك فتحت الحيرة

---

(١) الغريبان : بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه · راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٨١) ·

(٢) عرصات جمع عرصة وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ·

(٣) قال خالد في لومه لهم : « ويحكم ، ما انتم ؟ أعرب فما تنقمون من العرب ؟! او عجم ؟ فما تنقمون من العدل والانصاف ؟! » راجع الطبري (٢/٥٦٥) ·

(٤) المنابذة : تجهز كل من الفريقين للحرب ·

(٥) الفلاة : الصحراء ·

(٦) استدل : طلب منه ان يدله ·

(٧) نص المعاهدة : بسم الله الرحمن الرحيم · هذا ما عاهد عليه خالد بن ←

أبوابها للمسلمين [١] .

ولما استقر خالد في الحيرة ، صالحه صاحب (قُس الناطف) [٢] ودهاقين [٣] البلاد على قرى السواد الى (هُرمُزْ جرْد) [٤] ، وجعل خالد الحيرة مقراً لقيادته [٥] .

في الانبار [٦]

سار خالد في تعبية إلى « الأنبار » ، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس [٧] فلما

الوليد عديا وعمرا ابني عدى ، وعمرو بن عبد المسيح ، واياس بن قبيصة ، وجبري بن اكال ، وهم نقباء اهل الحيرة ، ورضي بذلك اهل الحيرة واموهم به . عاهدهم على مائة الف وتسعين الف درهم ، تقبل في كل سنة جزاء عن ايديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسيسيهم ، الا من كان منهم على غير ذي يد ، حبيسا عن الدنيا ، تاركا لها ، وعلى المنعة ، فان لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم :وان غدروا بفعل او قول ، فالذمة منهم بريئة . راجع الطبري (٢/٥٦٧ . ولنظر كتاب الخراج ــ للقاضي ابي يوسف ــ ص (١٧١) نص كتاب خالد الى اهل الحيرة الذي اعلن فيه التامين الاجتماعي ضد الشيخوخة والمرض والفقر : « وجعلت لهم ايما شيخ ضعف عن العمل او اصابته آفة من الافات او كان غنيا فافتقر وصار اهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما اقاموا بدار الاسلام » .

(١) الطبرى (٢/٥٦٣ ــ ٥٦٧) وابن الاثير (٢/١٤٩ ــ ١٥٠) والبلاذري ص (٢٤٥) .

(٢) قس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطيء الفرات الشرقي . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٨٨) .

(٣) دهاقين: جمع دهقان ــ بكسر الدال وضمها ــ وهو زعيم فلاحي العجم ورئيس الاقليم .

(٤) هرمزجرد : ناحية كانت باطراف العراق . راجع معجم البلدان (٨/٤٦٠) .

(٥) راجع الطبري (٢/٥٦٨ ــ ٥٨٤) وابن الاثير (٢/١٥١ــ١٥٢) .

(٦) الانبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد ، بينهما عشر فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٤٠) وهي في منطقة مدينة الفلوجة حاليا .

(٧) الاقرع بن حابس التميمي : كان حكيما في الجاهلية ، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في اشراف بني تميم بعد فتح مكة ، وكان قد شهد معه فتح مكة وحنيناً والطائف ، فلما قدم وفد بني تميم كان معهم . وكان من رجالات العرب الذين يتألفهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان شريفا في الجاهلية والاسلام . شهد مع خالد اليمامة وحرب العراق وفتح الانبار ومات شهيدا في ارض خراسان في زمن عثمان بن عفان ،وقيل قتل باليرموك . راجع طبقات ابن سعد (٧/٣٧) والاصابة (١/٥٨ واسد الغابة (١/١٠٧) والاستيعاب (١/١٠٣) .

بلغها طاف بها، فرأى أهلها قد تحصنوا وخندقوا عليها وأشرفوا من حصونهم، فأنشب خالد القتال وكان قليل الصبر عنه . وتقدم الى رماته ، فأوصاهم قائلاً : « إني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب ، فارموا عيونهم ولا توختوا غيرها » ، فرموهم ففقئوا ألف عين يومئذ ، فسميت تلك الواقعة باسم : وقعة ذات العيون !

ولما رأى صاحب الأنبار – وهو فارسي – ذلك ، راسل خالداً في الصلح على أمر لم يرضه خالد، فرد رسله ونحر من الابل كل ضعيف وألقاه في خندقهم، ثم اقتحم الخندق ! فأرسل قائد الأنبار الفارسي الى خالد وبذل ما أراده ، فقبل منه على أن يرحله ويلحقه بمأمن في جريدة [1] خيل ليس معهم من المتاع والأموال شيء .

وبعد أن استقر خالد في الأنبار ، صالح من حولها ، فاطمأن له الأمر في تلك المناطق [2] .

في عين التمر [3]

كان على « عين التمر » يومئذ « مهران بن بهرام جوبين » الفارسي في جمع عظيم من العجم والعرب ، وكان على العرب عقة بن ابي عقة في جمع عظيم من العرب ، وحين سمعوا بمسير خالد إليهم ، قال عقة لمهران : « إن العرب أعلم

---

(١) جريدة : خيل لا رجالة فيها .

(٢) الطبري (٣/٥٧٤ – ٥٧٦) وابن الاثير (٢/١٥١) .

(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له (شفاثا) . راجع معجم البلدان (٦/٢٥٣) ، ولا تزال عين التمر يطلق عليها هذا الاسم حتى الان .

بقتال العرب ، فدعنا وخالداً » . قال : « صدقت ، لعمري أنتم أعلم بقتال العرب ، وإنكم لمثلنا في قتال العجم » ، فخدعه وورّطه واتقى به وقال : دونكموهم ، وإن احتجتم إلينا أعنّاكم ! » .

وكانت قوات عقة في العراء ، وكانت قوات مهران في « الحصن » [1] حين قدم خالد على تعبية . فقال لمجنبتيه : « اكفوني ما عنده فإني حامل عليه » ، ووكل بنفسه حوامي ، ثم حمل على عقة وهو يعدّل صفوفه ، فاحتضنه وأخذه أسيراً ، فانهزم جنده وطاردهم المسلمون وأمنوا في أسرهم .

ولما جاء الخبر الى « مهران » هرب في جنده وترك الحصن . وانتهت فلول عقة الى الحصن فاقتحموه واعتصموا بـه . ونزل خالد على الحصن وحاصره ، وكانوا يتوقعون أن يكون خالد كغيره ممن كان يغير عليهم من العرب لا يلبث أن يتركهم متى ظفر بالغنائم والأموال ، فلما رأوه غير تاركهم طلبوا الأمان ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ، فأجابوه الى ما طلب وفتحوا له باب الحصن ، فاعتقلهم وقتلهم جميعاً [2] .

في دومة الجندل [3]

كان خالد قد أرسل الوليد بن عقبة بفتح عـين التمر وبالاخماس الى أبي بكر الصديق ، فوجهه ابو بكر مدداً لعياض بن غنم [4] ، فقدم عليه وهو

---

(١) الحصن : لا تزال اطلال هذا الحصن باقية حتى اليوم ، ويسمى قصـر الاخيضر ، اطلق عليه هذا الاسم بعد الاسلام ، بينما كان بناء الحصن نفسه قبـل الاسلام .

(٢) الطبري (٢/٥٧٦ ـ ٥٧٨) وابن الاثير (٢/١٥١) .

(٣) دومة الجندل : راجع للفقرة (٢) في هامش ص (٨٤) من هذا الكتاب .

(٤)عياض بن غنم . انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيـرة (٤٢٥ ـ ٤٣٥) .

محاصر « دومة الجندل » وأهلها محاصروه وقد أخذوا عليه الطريق ، فقال الوليد لعياض : « الرأي في بعض الحالات خير من كثيف الجنـد ! ابعث الى خالد فاستمده » ، ففعل عياض .

وقدم رسول عياض على خالد بعـد وقعة «عين التمر» مستغيثاً ، فعجّل خالد الى عياض بكتابه : « من خالد ، الى عياض . إياك أريد .

« لَبّث قليلاً تأتك الحلائب يحملن آساداً عليها القاشب
كتائب تتبعها كتائب »

وخرج خالد على تعبية يسرع السير جهده ، فلما بلغ أهل دومـة مسير خالد إليهم بُهتوا ، ثم اختلف زعماؤهم فيما يصنعون ، وكان عليهم رئيسان: أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة ، فقال أكيدر : « أنا أعـلم الناس بخالد ! لا أحد أيمن طائراً منه ، ولا يرى قوم وجه خالد قلّوا او كثروا إلا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القوم » ... فأبوا !

ولما نزل خالد « دومة » ، جعلها بينه وبين عسكر عياض ، فخرجت اليه بعض قوات الحصن ، فهزمهم خالد وأخذ الجودي أخذاً .

وانهزم المشركون الى الحصن ، فلما امتلأ أغلق مَن فيه أبوابه دون أصحابهم وتركوهم عرضة للمسلمين يقتلونهم ويأسرون منهم مَن يشاءون .

وأطاف خالد بباب الحصن فأمر به فاقتلع . واقتحم المسلمون على من فيه ، فقتلوا المقاتلة كافة إلا أسارى بني كلب ، فإن عاصم بن عمرو التميمي والأقرع بن حابس التميمي وبني تميم ، قالوا : قـد أمّناهم ! فأطلقهم خالد وقال : مالي ولكم ! أتحفظون أمر الجاهلية وتضيّعون الإسلام ؟! » .

وأقـام خالد بدومة الجندل وردّ الأقرع بن حابس الى الأنبار [1] ،

---

(١) الطبري (٢/٥٧٨ ـ ٥٨٠) وابن الاثير (٢/١٥٣).

فكانت إقامته مدعاة لطمع الأعاجم وظنهم به الظنون ، وكذلك ظنها عرب الجزيرة [1] فرصة سانحة ، فكاتبوا الأعاجم ليكونوا معهم على خالد غضبة لعقة بن ابي عقة الذي لم ينسوا مصرعه بعد ؛ فبعث خالد القعقاع بن عمرو التميمي الى « الحصيد » [2] ، فقضى على قوات الفرس وحلفائهم فيها ، وبعث أبا ليلى بن فدكي [3] الى الخنافس [4] ، فهربت من هناك قوات الفرس وحلفاؤهم [5] .

في المصيخ [6]

لما انتهى الخبر الى خالد بمصاب اهل « الحصيد » كتب الى قادته ووعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها الى « المُصَيَّخ » ، فتوافوا اليها في موعدهم وبيتوا عدوهم من ثلاثة اتجاهات وهم نائمون ، مما أدى الى قتل اكثرهم وفرار أقلهم [7] .

(١) الجزيرة : وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة ارض الشام . وتشمل على ديار مضر وديار بكر ، سميت الجزيرة لانها بين دجلة والفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٩٦) .

(٢) الحصيد : موضع في اطراف العراق من جهة الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٨٨) .

(٣) ابو ليلى بن فدكي : قال :

وقالوا ما تريد فقلت ارمي	جموعا بالخنافس بالخيول
فدونكمو الخيول فالجموها	الى قوم بأسفل ذي أنول
فلما ان احسوا ما تولوا	ولم يغررهمو ضبح الفيول
وفينا بالخنافس باقيات	لمهبوذان في جنح الاصيل

راجع معجم البلدان (٣/٤٦٨) .

(٤) الخنافس : ارض للعرب في طرف العراق قرب الانبار . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٦٨) .

(٥) الطبري (٢/٥٨٠) وابن الاثير (٢/١٥٢) .

(٦) المصيخ : ورد اسمها في الطبري (٢/٥٨٠) وابن الاثير (٢/١٥٢) . (المصيح) بينما وردت في معجم البلدان (المصيخ) وهي بين حوران والقلت . راجع معجم البلدان (٨/٧٩) .

(٧) الطبري (٢/٥٨٠ ـ ٥٨٢) .

في الثنى [1] والزميل [2]

علم خالد بتحشد بعض بني تغلب في « الثنى » و « والزميّل » استمداداً لقتال المسلمين غضباً لعقة بن ابي عقة ، لذلك أمر خالد القعقاع بن عمرو التميمي وابا ليلى بن فدكي أن يرتحلا امامه وواعدهم ليلة ليغيروا على بني بني تغلب من ثلاثة اتجاهات كما فعل في معركة « المصيخ » ؛ ثم خرج فبدأ بالثنى » واجتمع بأصحابه فبيتوا بني تغلب ، فلم يفلت منهم مخبر .

ولما انتهى خالد من « الثنى » قصد « الزميل » فباغتهم من ثلاثة اتجاهات ايضاً،وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتتلوا من قبل مثلها، ثم هاجم«الرضاب [3]» وبها هلال بن عقة ، فارفضّ عنه اصحابه حين سمعوا بدنو خالد منهم ، لهذا لم يلق خالد بها كيداً [4] .

في الفراض [5]

سار خالد من (الرضاب) الى (الفِراض) ، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة ، وافطر بها رمضان لاتصال الغزوات ، فلما اجتمع المسلمون بالفراض حشد الروم قواتهم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم ،

---

(١) الثنى : موضع بالجزيرة قرب الرصافة . راجع معجم البلدان (٣/٢٦) وهذه الرصافة هي رصافة هشام التي بناها غربي الرقة. راجع معجم البلدان (٤/٢٥٥).

(٢) الزميل : موضع في ديار بكر وهي عند (البشر) بالجزيرة شرقي الرصافة. راجع معجم البلدان (٤/٤٠٥).

(٣) الرضاب : موضع الرصافة قبل بناء هشام اياها غرب الرقة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٥٩) وهذه الرصافة هي التي تدعى (رصافة الشام) وهي غربي الرقة بناها هشام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٥٥) و (٤/٢٥٩)

(٤) الطبري (٢/٥٨٢ وابن الاثير (٢/١٥٢).

(٥) الفراض : موضع على حدود الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٥٠).

واجتمع معهم تغلب وإياد والنمر وساروا جميعاً الى خالد؛ فلما بلغوا الفرات، قالوا : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم! . فقال خالد : «اعبروا»، فقالوا : تنــح عن طريقنا حتى نعبر ، فقال : « لا أفعل ! ولكن اعبروا اسفل منا » ، فعبروا اسفل من خالد وعظم في أعينهم .

وقالت الروم : امتازوا حتى نعرف اليوم مَن يثبت ممن يولي ، ففعلوا .

ونشب القتال بين الجمعين بشدة وعنف ، فانهزم الروم ومَن معهم ، فأمر خالد ألا يرفهوا [1] عنهم ، فقتل منهم في المعركة والطلب حوالي مائة ألف . وأقام خالد بالفراض عشرة ايام ، ثم أذن بالرجوع الى الحيرة [2] ، وأظهر أنه في الساقة ، ولكنه ترك العراق سراً الى الحجاز ليؤدي فريضة الحج ، فأتى مكة وحج ورجع ، فما توافى جنده بالخبر حتى وافاهم مـع صاحب الساقة ، ولم يعلم بحجه غير من أعلمهم هو به ، ولم يعلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه به إلا بعد رجوعه ، فعتب عليه وأمره ألا يعود لمثلها أبداً [3] .

---

(١) الا يرفهوا عنهم : اي يطاردونهم بتماس شديد دون هوادة .
(٢) الطبري (٥٨٢/٢ ـ ٥٨٣) وابن الاثير (١٥٣/٢) .
(٣) الطبري (٥٨٣/٢ ـ ٥٨٤) وابن الاثير (١٥٣/٢) .

هازم الرّوم في أرض الشام

« والله لأنسين الروم وساوس
الشيطان بخالد بن الوليد »

(الصديق أبو بكر)

الى ارض الشام

١ - أسباب نقله :

كتب أبو بكر إلى خالد : « سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا [١] ، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت [٢] ، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك، ولم ينزع الشجا من الناس نزعك . فليهنك أبا سليمان النيّة والحظوة ، فأتمم يتمّم الله لك ، ولا يدخلنّك عجب فتخسر وتُخذل ؛ وإياك أن تـدلّ بعمل ، فإن الله عزّ وجل له المنّ وهو وليّ الجزاء [٣] » .

ومن الواضح ، أن أبا بكر الصديق ، أراد : أن المسلمين ضاقوا بعدوّهم وضيّقوا عليه ، حتى كان بعضهم لبعض كالشجا في الحلق ، وأن خالداً هو القائد المناسب للقضاء على وساوس الروم وحشودهم .

وهناك مَن يرى أن صرف خالد من العراق الى الشام كان عقوبـة له على تركه جيشه وذهابه الى الحج بدون علم أبي بكر وموافقته [٤] ، وأرى أن

---

(١) الشجا هنا : الغصص .

(٢) يريد : لا تعد لمخالفة الاوامر كالذهاب الى الحج بدون علم الخليفـة وموافقته .

(٣) الطبري (٢/٥٨٤) .

(٤) الطبري (٢/٥٨٤) وابن الاثير (٢/١٥٣) .

نقد كان اعتماداً على قيادته الحكيمة المتفوقة ، بعد أن حشد الروم قوات كبيرة لصد المسلمين عن فتح أرض الشام ، وبعد أن عجز قادة جيوش المسلمين في أرض الشام عن معالجة الموقف ؛ يؤيد ذلك ، أنه لما نزل المسلمون (اليرموك) استمدّوا أبا بكر ، فقال : أبو بكر : « خالد لها » فبعث اليه بالعراق ، وعزم عليه واستحثه في السير[1] ، وقال أبو بكر : « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد [2] » .

إن العقوبة لا تكون بنقل القائد من قيادة في ميدان حربي إلى قيادة في ميدان حربي آخر أهم من الأول ، في موقف حربي متفجّر ، كما كان الموقف الحربي في ميـــدان أرض الشام الذي كان أهم من ميدان العراق وأكثر خطراً منه .

لقد أصبح الروم خطراً داهمـــاً على المسلمين في أرض الشام ، فهابهم المسلمون ، وفزعوا جميعاً بالرسل والكتب يستمدون أبا بكر [3] ، فمن غير خالد يستطيع بيسر وكفاية معالجة مثل هذا الموقف العصيب ؟ ومَن غير خالد يكون موضع ثقة قادة أرض الشام وجنودهم لمعالجة موقفهم العصيب ؟

٢ – منصبــــه :

هنـــاك من يرى أن صرف خالد من العراق الى الشام كان مدداً لجيوش المسلمين وقائداً على أهل العراق فقط ، وأنه عرض على القادة بعد وصوله أن يقود كل واحد منهم يوماً واحداً : « فلنتعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غدٍ حتى يتأمّر كلّكم [4] » . وهناك من يرى

---

(١) الطبري (٢/٥٩٠) .
(٢) الطبري (٢/٦٠٢) .
(٣) الطبري (٢/٥٩٠ ـ ٥٩١) .
(٤) الطبري (٢/٥٩٣) وابن الاثير (٢/١٥٨) وطبقات ابن سعد (٧/٢٩٧) .

أن أبا بكر أرسله قائداً عاماً على جيوش المسلمين في أرض الشام : « إني قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم [1] » .

لقد كانت خطة أبي بكر في توليته القيادة ، أن يبعث قائداً على رأس جيش الى منطقة معينـــة ، كما فعل عند إرسال القادة لفتح أرض الشام بالذات [2] ، وهـــذا إجراء منطقي وضروري من الناحية العسكرية حتى يكون كل قائد حراً في معالجة موقفه الراهن مستقلاً في تصريف أموره ضمن واجبه ؛ ولكنّ خطة أبي بكر أيضاً، أن يوحّد القيادة عندما يجتمع جيشان أو أكثر في منطقة واحدة كما فعل في حروب الردة مثلاً [3] ، وهذا إجراء منطقي وضروري للغاية من الناحية العسكرية أيضاً ، حتى يسيطر قائـــد واحد على توجيه جيوشه إلى أهدافهـا دون معارضة أو تردد أحد مهما تكن أسباب المعارضة والتردد ، لذلك أرجّح أن أبا بكر بعث خالداً الى أرض الشام بعد اجتماع جيوش المسلمين في اليرموك قائداً عاماً لا قائداً على أهـــل العراق فقط .

والحق ، أن العقل لا يكاد يستسيغ ، كيف تجتمع جيوش المسلمين ولا توحّد قيادتها ، وكيف يمكن أن يتعاور القيادة بضعة قادة فيما بينهم ، فيقود جيوش المسلمين واحد منهم هذا اليوم ثم يقودها غيره غداً !!

إن خالداً نقل من منصب القائد العام في العراق الى منصب القائد العام في أرض الشام .

---

(١) انظر نص كتاب ابي بكر الى خالد في فتوح الشام للواقدي (١٤/١) وانظـر الاغاني (٢٦/١٤) ، وفي البلاذري ص (١١٧) ان ابا بكر جعله امير الامراء فـــي الشام .

(٢) الطبري (٥٨٥/٢) وابن الاثير (١٥٤/٢) وفتوح الشام للواقدي (١٤/١) والبلاذري ص (١١٧) .

(٣) الطبري (٥٢٩/٢) وابن الاثير (١٤٣/٢).

ذلك هو المنطق العسكري في مثل هذه الحالة ، ولا منطق غيره يثبت أمام الواقع في مثل هذا الميدان .

٣ - في الطريق :

كان موقف المسلمين حرجاً في أرض الشام ، وكان عامل الوقت بجانب الروم ، أفادوا منه في زيادة تحشد قواتهم وإكمال تزويدهم بالمددات ، لذلك كانت أوامر أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي أصدرها الى خالد تنص على سرعة التحاقه بجيوش المسلمين في اليرموك - لهذا كله سلك أقصر طريق أمين من ناحية عدم وجود مقاومة معادية كبيرة فيه ، ذلك هو طريق : الحيرة - دُومة الجَندل - وادي سرحان ، حتى اذا بلغ (قراقر) [1] أغار على أهلها من بني كلب ، وهناك استشار أصحابه قائلاً : « كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم، فإني إن استقبلتها حبستني من غياث المسلمين ؟! » ، فأجابوه : لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش ، إنما يأخذه الفذّ الراكب ، فإياك أن تغرر بالمسلمين » ، فعزم عليهم فلم يجبه الى ذلك غير رافع بن عميرة الطائي [2] على تهيب شديد ، فقام خالد في أصحابه وقال :

---

(١) قراقر : ماء لبني كلب · راجع ابن الاثير (٢/١٥٦) · موقعها فيوسط وادي السرحان · وهي تتبع العربية السعودية حاليا ·

(٢) رافع بن عميرة الطائي : يكنى أبا الحسن ، له صحبة وصحب ابا بكر الصديق ، وكان دليل خالد بن الوليد لما سار من العراق الى الشام ، فسلك به البر وقطع هذه المسافة بخمسة ايام ، فلما كان اليوم الخامس نادى خالد دليله : « ويحك يا رافع، ما عندك ؟ ! » وكان رافع ارمد ، فادار رأسه يمنة ويسرة ، ثم قال : « ايها الناس انظروا علمين كانهما ثديان ، فلما اتوهما وقف رافع عليهما وقال : « انظروا ، هل ترون شجيرة من عويسج كقعدة الرجل ؟ » · قالوا : ما نراها ! فامرهم بالتفتيش عليها، فلما وجدوها كبروا وكبر رافع ، ثم قال) « احفروا في اصلها ، فحفروا فنبع الماء من عين ، فشرب الناس حتى رووا ، فقال رافع : «والله ما وردت هذا الماء قط الا مرة واحدة مع ابي وانا غلام » · توفي رحمه الله سنة ثلاث وعشرين هجرية · راجع اسد الغابة (٢/١٥٥) والاستيعاب (٢/٤٨٢) والطبري (٢/٦٠٣ ـ ٦٠٤) وابن الاثير (٢/١٥٦) وفتوح الشام للواقدي (٢/١٤) ·

ولا يختلفنّ هديكم ولا يضعفن يقينكم ، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية ، والأجر على قدر الحسْبة ، وأن المسلم لا ينبغي أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له » ، فكان رد أصحابه عليه : « أنت رجل قدْ جمع الله لك الخير فشأنك [١] » .

وقال خالد لدليله رافع : « انطلق بالناس » ، فقال رافع : إنـك لن تطيق ذلك بالخيل والأنفال ، والله إن الراكب المفرد يخشى فيها على نفسه . إنها لخمس ليال لا يصاب فيها ماء » فأمر خالد أصحابه أن يستكثروا من الماء وأمر صاحب كل خيل أن يعد لها الماء بقدر ما يسقيها ، وجمع عدداً من الإبل السمان ظمأها حتى إذا أجهدها عطشاً أوردها الماء عللاً بعد نهل [٢] ، فلما امتلأت صرّ آذانها وشدّ مشافرها لئلا تجترّ [٣] .

وانطلق خالد بالجيش: ينزلون كل يوم ، فيأكل الرجال ويشربون مما معهم من الماء ، ثم يشقون بطون عشرة من الإبـل ويخرجون الماء منها ويسقونه الخيل ، حتى أدركوا الري بعد خمسة أيام فدخل خالد « سوى » [٤] قبيل الصبح ، فأغار على أهلها من بهراء فأذعنوا ، إذ لم يكونوا يتوقعون ظهور جيش المسلمين من هذا الاتجاه في هذا الوقت [٥] .

---

(١) الطبري (٦٠٣/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

(٢) العلل : الشربة الثانية . والنهل الشربة الاولى .

(٣) الطبري (٦٠٣/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) وفتوح الشام للواقـدي (١٤/١) .

(٤) سوى : ماء لبني بهراء .

(٥) الطبري (٦٠٤/٢) وابن الاثير (٦٥/٢) وفي الخراج ص (١٧٤ ـ ١٧٥) وكان خالد اراد ان يتخذ الحيرة دارا يقيم بها ، فاتاه كتاب ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، يامره بالمسير الى الشام مددا لابي عبيدة والمسلمين ... فكتب اليه ابو بكر : « ان الحق بأبي عبيدة ـ حين اتاه كتاب ابي عبيدة يستمده ـ » فتوجه خالد من الحيرة مع الادلاء منها ومن عين التمر حتى قطع المفاوز ، فلما قطعها وقع في بلاد بني تغلب ، ومضى ادلاء منها حتى ان النقيب والكوائل (النقيب بين تبوك ومعان على ←

طريق الحاج • والكوائل موضع في اطراف الشام) فلقي جمعا كثيرا لم ير مثله الا في اهل اليمامة ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل خالد عدة بيده واغار على ما حولها من القرى فاخذ اموالهم وحاصرهم ، فلما اشتد الحصار عليهم طلبوا الصلح على مثل ما صالح عليه اهل عانات •

ثم مضى حتى اتى (قرقيسياء) وهي بلد في ملتقى خابور الفرات بنهر الفرات ، فاغار على ما حولها ـ فاخذ الاموال وسبى النساء •• وحاصرهم اياما ، ثم انهم بعثوا يطلبون الصلح فاجابهم الى ذلك واعطاهم ما اعطى اهل عانات ••• انتهى باختصار •

اقول : والظاهر ان ابا يوسف يرى ان خالدا سلك الى ارض الشام طريق الفرات الاعلى وهي الطريق التقليدية التي سلكها الفاتحون منذ اقدم العصور• وقد اخذ بهذا الراي كايتاني الايطالي ومن شايعه من المستشرقين ، ثم ردد هذا الراي بعض المؤرخين المحدثين من العرب •

ولست بصدد تفنيد هذا الراي في هذا المكان ، لان مكان هذا الرد هو في كتابي : (الفتح الاسلامي) ، ولكنني اذكر هنا رايي باختصار شديد وهو يتلخص :

١ ـ أن مهمة خالد هي : ان يسارع الى ارض الشام مددا للمسلمين الذين تكاثر عليهم الروم هناك ، فمن المفروض ان يسلك خالد لانجاز مهمته هذه بالذات اقصر الطرق واكثرها امنا • وهذه الطريق ليست قصيرة باعتبار انه سار من الحيرة حتى اوغل في الصحراء جنوبا ثم سار شمالا حتى وصل قرقيسياء ، كما ان هذه الطريق ليست امينة لوجود قوات معادية ، لا بد من القضاء عليها لامكان المرور من هذه الطريق ، كل ذلك يعرقل وصول المدد الى هدفه بسرعة • كما ان الاحتفاظ بقوة المدد سليمة للافادة من المدد في الوقت والمكان الحاسمين ضروري للغاية • وهذا يحتم على القائد ان يتجنب القتال في طريقه الى هدفه ـ وهذا ما لا يقدر عليه خالد عند سلوكه هذه الطريق•

٢ ـ ان القتال ـ اي قتال ـ يكون غالبا غير معروف النتائج ، فقد يكون النصر الى جانب خالد وقد لا يكون ، لذلك لا بد له ان يتجنب القتال حتى تبقى قواته سليمة ، وحتى لا يبعثر جهوده ووقته عبثا في عمل غير مضمون النتيجة ، وسلوكه هذه الطريق، يحتم عليه خوض معارك لا مسوغ لها في مثل ظروف خالد تلك •

٣ ـ ان هذه الطريق ـ طريق الفرات ، آمن طريق يؤدي الى ارض الشام في اوقات السلم نظرا لتيسر الماء فيها ولانها مطروقة معروفة لا يضل سالكها اما في ايام الحرب فلا قيمة لهذه المزايا ، اذ ان امان الطريق هو في خلوها من العدو لا في تيسر الماء والكلا فيها •

٤ ـ كان بامكان خالد ان يسلك هذه الطريق في غير تلك الظروف الحربية ، وذلك عندخوض معارك التطهير او استثمار الفوز التي تكون بعد المعارك الفاصلة • اما ان يسلكها قبل ان يخوض المسلمون معركة فاصلة فامر بعيد للغاية عن الواقع والمنطق من الناحية العسكرية •

كما سلم أهـــل « تدمر » [1] بعد مقاومة لا تذكر . ثم سلك طريق « حُوّارين » [2] حتى أتى « قصم » [3] صالح أهلها من قضاعة ومنها انحدر الى « أذرِعات » [4] وأغار على غسان بمرج راهط [5] ، ثم سار حتى نزل على قنـــاة « بُصرى » [6] ؛ ثم سار الى اليرموك ، حيث تحشّدت جيوش المسلمين هناك [7] .

فالطريق الذي قطعه خالد إذاً هو : الحيرة – دومـة الجندل – وادي

←

٥ – اذا اقتنع كايتاني وغيره من الغربيين ان خالدا فضل هذه الطريق علـــى طريق الصحراء ، فلا مسوغ ان يشايعهم بعض العرب في هذا الاعتقاد وهم يعلمـــون جيدا ، أن العرب يقطعون الصحراء بيسر وسهولة قد لا يتصورهما الغربيون ·

لذلك ارى ان خالدا لم يسلك هذه الطريق وهو في ظروفه الراهنة تلك التي تقضي عليه ان يسرع بقواته للالتحاق بقوات المسلمين في ارض الشام في اقرب وقت ممكـــن ومن اقصر طريق ممكنة ·

(١) تدمر : مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة ايام · راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٦٩)·

(٢) حوارين : من قرى حلب · راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٥٧)· وهو يقصد طريق القرية لا القرية نفسها ، اذ انها بعيدة عن طريقه ·

(٣) قصم : موضع بالبادية قرب الشام ·

(٤) اذرعات : بلد بأطراف الشام يجاور ارض البلقاء · راجع معجم البلدان (١/١٦٢) · وهي مدينة (درعا) الحالية التي تقع في سورية على الحدود الاردنيـة السورية ·

(٥) مرج راهط : موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه · راجع معجم البلـدان (٤/٢١٧) و (٨/١٦) ·

(٦) بصري مدينة في ارض الشام ، وهي كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديما وحديثا · راجع معجم البلدان (٢/٢٠٨) وهي من مـــدن حوران في الاراضـي السورية تقع الى الشرق من مدينة درعا ·

(٧) الطبري (٢/ ٦٠٤ – ٦٠٥) وابن الاثير (٢/١٥٦) والبلاذري ص (١١٨) وهناك رواية ثانية عن الطريق التي سلكها خالد هي : الحيرة – حدوداء – المصيخ – الحصيد – صوى – ··· الخ ، راجع ابن الاثير (٢/١٥٦) والظاهر ان اصحاب هذه الرواية قد خلطوا بين تفويز خالد وبين معاركه التطهيرية التي اجراها علـــى الضفة الغربية من الفرات ضد قبيلة تغلب ، لذلك اثبتنا الرواية الاولى في المتن وعليها اجماع المؤرخين تقريبا ·

مرحان – قراقر – سوى – تدمر – طريق حوارين – قصم – أذرعات – بصرى – اليرموك .

وقـــد استطلعت الطريق حتى الحدود السورية العراقية عام ١٩٥٨ ، فوجدته أقصر طريق يؤدي الى اليرموك .

٤ – تعداد قواته :

فما عدد قوات العراق التي سار على رأسها خالد الى أرض الشام ؟

كان أمر أبي بكر الصديق أن يستصحب خالد معـــه نصف الناس في العراق ويستخلف على النصف الباقي المثنى بن حارثـــة الشيباني ، فسار من العراق بثمانمائـــة جندي وقيل في ستمائة وقيل في خمسمائة [١] ، وهذا غير معقول ، لأن قوات العراق لم تكن في وقت من الأوقات ضعف هذا العدد . وذكر بعضهم أنه سار في تسعة آلاف [٢] ، وقيل : في عشرة آلاف [٣]. ونرجّح أن قوّة خالد كانت بين تسعة آلاف وعشرة آلاف ، يؤيّد ذلك أن خالداً قدم العراق ومعه عشرة آلاف مقاتل وكان مع المثنى وأصحابه ثمانية آلاف مقاتل ، فلقي « هرمز » في أول معركة خاضها وهي معركة « ذات السلاسل » في ثمانية عشر ألفاً [٤] ، كما أن أهل العراق عندما عادوا من الشام الى العراق كانت مقدمتهم فقط ألف رجل [٥] ، فلا بـد أن يكون عدد رجال القسم الأكبر أضعاف ذلك [٦] .

---

(١) ابن الاثير (١٥٦/٢) .

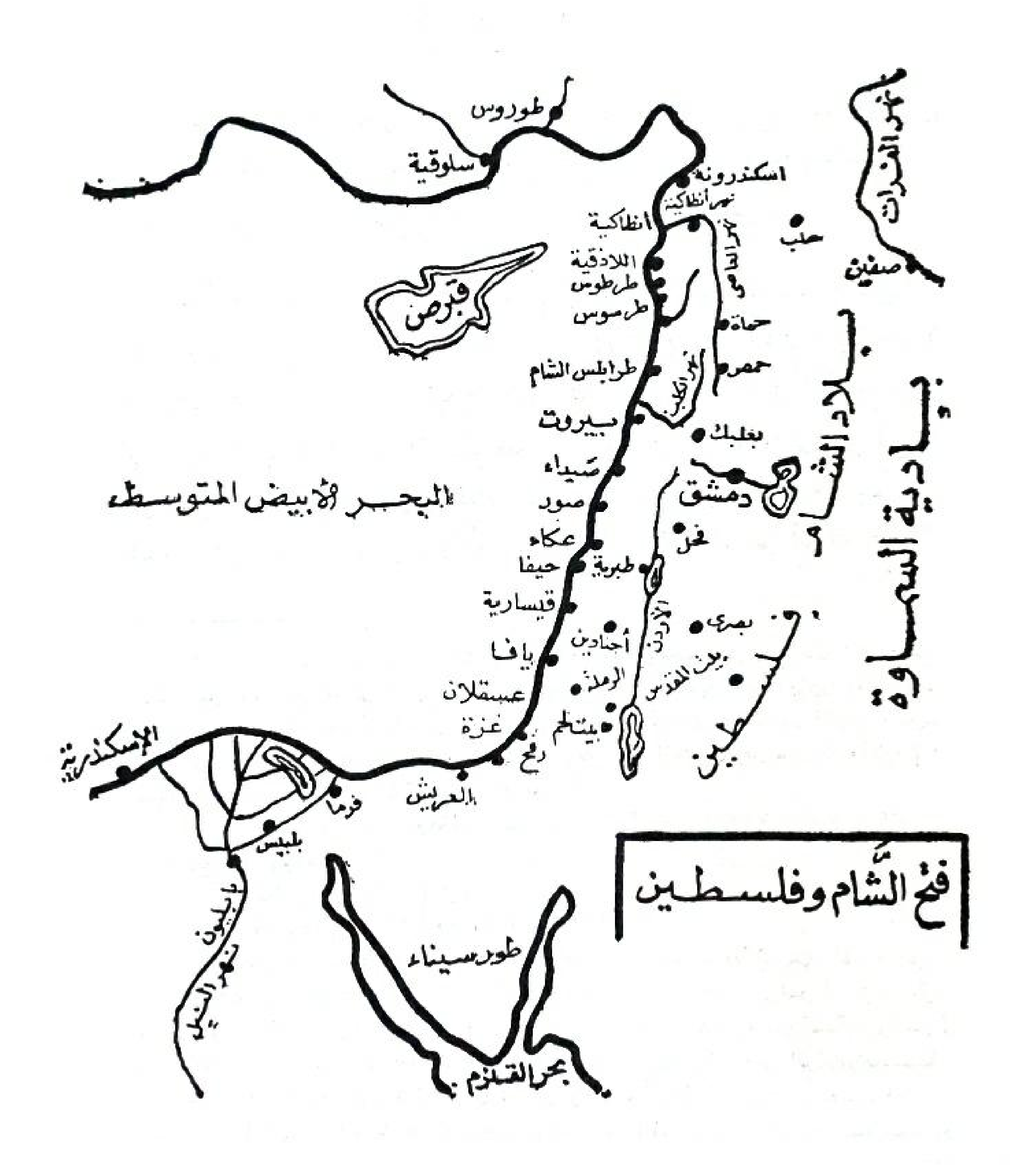
(٢) الطبري (٥٩١/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢).

(٣) الطبري (٥٩٢/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) وفي فتـوح الشام للواقـــــدي (١٠٥/١) انهم كانوا اربعة الاف.

(٤) الطبري (٥٥٤/٢) وابن الاثير (١٤٧/٢) .

(٥) الطبري (٥٢/٣) وابن الاثير (١٨٣/٢) والقوة التي عادت مـــن ارض الشام الى العراق كانت ستة الاف . والظاهر انها تركت خسائر في ارض الشام وبقي بعض الرجال منها هناك .

(٦) انظر الطبري (٥٩٣/٢) وفيه يعدد بعض كراديس اهل العراق في معركـــة اليرموك ، وكل كردوس منها بقوة الف رجل .



فتح الشّام وفلسطين

في اليرموك[1]

اجتمع المسلمون « باليرموك » ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح وشُرحبيل بن حَسَنة وعِكرمة بن أبي جهل ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص[2] ، فلما طلع عليهم خالد ، فرح المسلمون[3] وارتفعت معنوياتهم .

وبدأ خالد يعدّ جيشه للقتال ، فخرج في تعبية لم تعبها العرب من قبل[4] ، إذ نظم جيشه في ستة وثلاثين كردوساً[5] إلى الأربعين ، وقال : إن عدوكم قد كثر وطغى ، وليس من التبعية تعبية أكثر في رأي العين في الكراديس ، ثم جعل القلب كراديس وأقـــام فيه أبا عبيدة بن الجراح ، وجعل الميمنة كراديس وجعل عليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعـــل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان[6] . وكان القاضي أبو الدرداء[7]

---

(١) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الاردن · راجـــع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٥٠٤) وهو نهر تغذيه مياه كثيرة من زيزون وتل شهاب ووادي الرقاد وينابيع جانبية اخرى ، ويعتبر نهر اليرموك من روافد نهر الاردن ، حيث يصب فيه في جسر المجامع ، ويعتبر وادي اليرموك الحد الفاصل بين سورية والاردن · متوسط دفعه السنوي (٤٢٠) مليون متر من الماء ·

(٢) الطبري (٢/٥٩٠) وهؤلاء كلهم من قادة الفتح ، انظر ترجمتهم في كتاب : قادة فتح الشام ومصر ·

(٣) الطبري (٢/٥٩١) ·

(٤) الطبري (٢/٥٩٣) وابن الاثير (٢/١٥٨)·

(٥) كراديس : مفردها كردوس ، وهو كتلة من الجنود يتالف من الف مقاتل ، وينقسم الكردوس الى اجزاء عشرية : العريف يقود عشرة رجال ، وامر الاعشار يقود مائة رجل ، ولكل كردوس قائد له راية · ولعل كلمة كردوس معربة عن كلمة(كورتيس) الرومانية · راجع كتاب الجندية في الدولة العباسية للمرحوم الرئيس الركن نعمـــان ثابت في ص (٢٥٤) وكان عدد المسلمين في اليرموك ستة وثلاثية الفا كما جـــاء فـي الطبري (٢/٥٩١) وهذا يؤيد ان الكردوس يتالف من الف رجل ، لان خـالدا قسـم ←

وكان القاص أبو سفيان بن حرب[1]، وكان على الأقباض عبدالله بن مسعود[2]، وكان القارىء المقداد بن الأسود الكندي [3] ، إذ كان من السنة التي سنّ

←

المسلمين من ستة وثلاثين كردوسا الى اربعين كردوسا ٠

(٦) الطبري (٢/٥٩٣) وابن الاثير (٢/١٥٨) ٠

(٧) ابو الدرداء الانصاري : هو عويمر بن عامر من الخزرج تأخر اسلامه قليلا وكان اخر اهل داره اسلاما ، وحسن اسلامه ، وكان فقيها عالما حكيما ، شهد ما بعد (احد) من المشاهد ، واختلف في شهوده (احدا) وجعله عمر بن الخطاب على قضاء الشام ومات بدمشق قبل عثمان بن عفان بسنتين ٠ راجع طبقات ابن سعد (٧/٣٩١) والاصابة (٥/٤٦) واسد الغابة (٤/١٥٩) والاستيعاب (٤/١٦٤٦)٠

(١) ابو سفيان بن حرب الاموي القرشي : والدمعاوية ويزيد وعتبة ولد قبل عام الفيل بعشر سنين ، وكان من اشراف قريش وعقلائها وقادتها واليه راية قريش ، وكان من افضلها رأيا ٠ اسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا ، وقد حسن اسلامه على اصح واوثق الروايات وبشهادة سعيد بن المسيب العالم الزاهد ، فقد قال عن ابي سفيان : « فقدت الاصوات يوم اليرموك الا رجل واحد يقول: (يا نصر الله اقترب)، والمسلمون يقتتلون هم والروم ٠ فذهبت انظر ، فاذا هو ابو سفيان تحت راية ابنه يزيد» ٠فقئت عينه يوم الطائف وفقئت عينه الاخرى يوم اليرموك ومات في خلافة عثمان سنة ثلاث وثلاثين ودفن بالبقيع ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وقيل ابن بضع وتسعين ٠ وكان قصيرا سمينا ذا هامة عظيمة ٠ راجع الاصابة (٣/٢٣٧) واسد الغابة (٣/١٢) والاستيعاب (٤/١٦٨٧) ٠

(٢) عبد الله بن مسعود الهذلي ٠ من حلفاء بني زهرة ، اسلم وهو غلام ، واخذ من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة سبعين سورة من القران الكريم ، وكان اسلامه قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم ٠ هاجر الى الحبشة الهجرتين ، وقيل الهجرة الثانية فقط ، ثم هاجر الى المدينة وشهد (بدرا) والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اعلم الصحابة بالقرآن ٠ ارسله عمر مع عمار بن ياسر الى الكوفة : ارسل عمارا اميرا وعبد الله معلما ووزيرا ، وبقي على بيت المال في عهد عثمان حتى عزله ، وتوفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين هجرية وهو ابن بضع وستين سنة ودفن بالبقيع ٠ راجع طبقات ابن سعد (٣/١٥٠) و (٦/١٣)، والاصابة (٤/١٢٩) ، واسد الغابة (٣/٢٥٦) والاستيعاب (٣/٩٨٧) ٠

(٣) المقداد بن الاسود الكندي : هو المقداد بن عمرو ، صحابي جليل كان قديم الاسلام ، من الفضلاء النجباء الكبار الخيار من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٠

وكان موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقديره ٠ وقد شهد فتح مصر ومات وهو ابن سبعين ودفن بالمدينة ٠ راجع طبقات ابن سعد (٣/١٦١) والاصابة (٦/١٣٣) واسد الغابة (٤/٤٠٩) والاستيعاب (٤/١٤٨٠) ٠

رسول الله ﷺ بعد « بدر » أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، وهي سورة الأنفال [1] .

وقال رجل لخالد قبيل معركة « اليرموك » : « ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين ! » ، فقال خالد : « ما أقلّ الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقلّ بالخذلان لا بعدد الرجال ! والله لوددت أنّ الأشقر براء من توجيه [2] ، وإنهم أضعفوا ضعفهم [3] » .

وأمر خالد مجنبتيّ القلب – وكان فيها عكرمة بن أبي جهل المخزومي والقعقاع بن عمرو أن ينشبا القتال ، والتحم الطرفان ، وإنهم على ذلك ، إذ قدم صاحب البريد من المدينة ، فأخذته الخيول وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم عن شيء ذي بال وأخبرهم عن قرب وصول الإمدادات إليهم ، وكان قد جاء بموت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتأمير أبي عبيدة وعزل خالد [4] ؛ فأبلغوه خالداً ، فأخبره خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأسره إليه ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ، فقال له « أحسنت ! » . وأخذ كتاب عزله وتأميره أبي عبيدة وجعله في كنانته ، إذ خاف إن هو أظهره [5] أن يؤثر إظهاره في معنويات الجند تأثيراً سيئاً وهم في أحرج مواقف القتال .

وخرج أحد أبطال الروم [6] ونادى : ليخرج إليّ خالد ، فأقام خالد

---

(١) الطبري (٢/٥٠٣ ـ ٥٠٤) وابن الاثير (٢/١٥٨) ، وفي الطبري تفاصيل قادة الكراديس ايضا .

(٢) الاشقر : اسم فرس خالد . الوجي : ان يشتكي الفرس من باطن حافره . يريد بذلك، انهم لو زادوا الى ضعفهم لما اكترثت بهم اكتراثي بشكوى الاشقر من حافره !

(٣) الطبري (٢/٥٩٤) وابن الاثير (٢/١٥٨) .

(٤) عزل خالد وتامير ابي عبيدة مكانه ، دليل قاطع على ان خالدا كان قائدا عاما ، والا فلا معنى لعزله وتامير ابي عبيدة الذي كان قائدا بالفعل على قسم من جيش المسلمين لا قائداعاما . راجع الطبري (٢/٥٩٥) .

(٥) الطبري (٢/٥٩٥) وابن الاثير (٢/٨٥) .

(٦) البطل الرومي هو جرجة كما يسميه العرب ، وجورج كما هو اسمه .

أبا عبيدة مكانه وخرج لمنازلة الرومي ، فاستطاع خالد أن يقهر خصمه هذا بلسانه لا بسنانه [١] .

وحملت الروم فأزالوا المسلمين عن مواقفهم ، فقاتل خالد قتالاً شديداً ، ونهّد الروم بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، وأفسح المجال لخيل الروم ، فخرجت تشتدّ بهم في الصحراء وتركوا مشاتهم يقاومون وحدهم زخم هجوم المسلمين ، مما سهل على المسلمين القضاء عليهم [٢] ، فهزم الله الروم مع الليل [٣] ، فأصبح خالد من تلك الليلة وهو في رواق «تذارق» قائد الروم [٤] .

وانتهت معركة اليرموك الحاسمة التي فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين ، بانتصار المسلمين : رهبان الليل فرسان النهار [٥] على الروم وطاردوهم حتى أبواب « دمشق » ، ثم عادوا من المطاردة فأصبح أبو عبيدة قائدهم العام ، حيث بقي في موضعه لا يبرح حتى يأتيه رأي عمر وأمره ، فلما أتاه هذا الأمر رحل بالمسلمين حتى نزلوا على « دمشق » [٦] .

في دمشق

كان خالد على المقدمة حين تقدمت جيوش المسلمين الى دمشق [٧] ،

---

(١) انظر مناقشة جورجة لخالد واسلامه ، في الطبري (٢/٥٩٥) وابن الاثير (٢/١٥٨) ومناقشتهما تدل على تضلع خالد بالدين الحنيف وقوة منطقه وحجته .

(٢) الطبري (٢/٥٩٦) وابن الاثير (٢/١٥٨) .

(٣) الطبري (٢/٥٩٩)

(٤) الطبري (٢/ ٥٩٧) .

(٥) في الطبري (٢/٦١٠) : ان قائد الروم بعث رجلا عربيا من قضاعة فقال : « ادخل في هؤلاء القوم فاقم فيهم يوما وليلة ثم ائتني بخبرهم» . فدخل في الناس ثم اتاه ، فقال له : « ما وراءك ؟ » . فقال : « بالليل رهبان وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم ، لاقامة الحد فيهم ! » . فقال القائد الرومي : « لئن كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها » .

(٦) الطبري (٢/٥٩٩) .

(٧) الطبري (٢/٢٦٢) .

وفي حصار دمشق نزل أبو عبيدة . على ناحية وخالد على ناحية من جهة الباب الشرقي [١] ، وعمرو بن العاص من ناحية ، فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والترامي والمجانيق ، وهم معتصمون بالمدينة ينتظرون إمدادات « هرقل » الذي كان منهم قريباً وقد استمدوه ، ولكن المسلمين صدوا إمداداته ، فأيقن أهل دمشق أن الإمدادات لن تصل إليهم [٢] .

كان خالد لا يَنام ولا يُنيم ولا يبيت إلا على تعبية ولا يخفى عليه من أمر عدوه شيء : عيونه ذكية ، وهو مَعْني بن يليهم [٣] ، فبلغه أنه ولد لبطريقهم [٤] مولود وأنه صنع طعاماً ودعى القوم يأكلون ويشربون وهم غافلون عن مواقعهم . وكان خالد قد اتخذ أوهاقاً وأحبالاً كهيئة السلالم ، فلما أمسى ذلك اليوم انتهز هذه الفرصة ، ونهض فيمن معه من جنده الذي قدم بهم من العراق ، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو التميمي ومذعور بن عدي [٥] وأمثاله ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا واقصدوا الباب ، فلما وصل هو وأصحابه الى السور ألقوا الحبال فعلق بالشُرف منها حبلان ، فصعد فيهما القعقاع ومذعور وأثبتا الحبال بالشُرف ، وكان ذلك المكان أحصن موضع بدمشق وأكثره ماء ، فصعد المسلمون ، ثم

---

(١) البلاذري (١٢٧) .

(٢) الطبري (٢/٦٢٦) وابن الاثير (٩/١٦٤) .

(٣) الطبري (٢/ ٦٢٦) .

(٤) في البلاذري (١٢٨) : ان اسقف دمشق كان صديقا لخالد ، وفي ليلة من الليالي أتاه بعض اصحاب هذا الاسقف ، فاعلمه انها ليلة عيد لاهل المدينة وانهم في شغل ، وان الباب الشرقي قد ردم بالحجارة وترك ، واشار اليه ان يلتمس سلما ... الخ ..

(٥) مذعور بن عدي العجلي . صحابي جليل ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد اليرموك في فتوح الشام ، كما شهد فتوح العراق : وكان على كردوس في اليرموك ، وقاتل تحت لواء خالد قائدا لاربعة الاف من بكر بن وائل . راجع التفاصيل في الاصابة (٦/٧٥) واسد الغابة (٤/٣٤٣) .

الجدر خالد وأصحابه الى داخل المدينة تاركاً على السور من يحميه من المسلمين وأمرهم بالتكبير، فكبّروا ، فأقام المسلمون الى الباب وإلى الحبال . وانتهى خالد الى من يليه فقتلهم ، وقصَد الباب فقتل البوابين . واثار أهل المدينة وفزع الناس ، فأخذوا مواقفهم وهم لا يدرون عن الموقف الراهن شيئاً . فلما رأى الروم دخول المسلمين دمشق قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم ، ففتحوا له الباب وقالوا له : ادخل وامنعنا من ذلك الجانب ، فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ، ودخل خالد عنوة ، فالتقى خالد بالقواد الآخرين في وسط المدينة: هذا قتالاً وانتهاباً ، وهذا صلحاً وتسكيناً، فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح أيضاً [1] .

في فِحـل [2]

سار أبو عبيدة الى (فِحْل) وعلى مقدمته خالد وعلى الناس شرحبيل بن حسنة ، وكان أهل (فحل) قد قصدوا (بيسان) [3] وفجروا مياه المنطقة

---

(١) الطبري (٦٢٧/٦٢٦) وابن الاثير (٢/١٦٤ ـ ١٦٥) وطبقات ابن سعد (٧/٣٩٧) . اما البلاذري ص (١٢٩) فيذكر : ان اسقف دمشق لما رأى ابا عبيدة قد قارب دخول المدينة ، بدر الى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي ، فدخل معه ، فقال بعض المسلمين : « والله ما خالد بامير ، فكيف يجوز صلحه ؟ » فقال ابو عبيدة : «انه يجير على المسلمين اد ناهم» واجاز صلحه وامضاه .

واكثر الروايات على ما ذكرناه في المتن اعلاه لذلك رجحناه خاصة وانه اقرب لطبيعة القائدين : طبيعة خالد الحربية وطبيعة ابي عبيدة السلمية ، لذلك نرجح دخول خالد دمشق من الباب الشرقي قسرا ، ودخول ابي عبيدة من باب الجابية سلما .

(٢) فحل : اسم موضع بالشام في ناحية الاردن راجع معجم البلدان (٦/٣٤٠). وتسمى اليوم طبقة فحل تقع في الغور الاردني من لواء اربد .

(٣) بيسان : مدينة بالاردن بالغور الشامي . راجع معجم البلدان (٢/٣٣١). وهي من غور فلسطين غربي الاردن ضمن الارض المحتلة من ارض فلسطين . وهي عاصمة لواء بيسان في المنطقة الغورية الفلسطينية تقع على ارتفاع (١٦٠) مترا عن سطح البحر .

فأصبحت مغمورة بالمياه موحلة ، وبعد حصار دام طويلاً هجموا على المسلمين فاقتتلوا أشد قتال ليلتهم ويومهم الى الليل ، فلما جن الليـل انهزموا وضلوا الطريق وأسلمتهم هزيمتهم الى الوحل فلم يفلت منهم إلا الشريد [١] .

في مرج الروم

سار أبو عبيدة وخالد من (فحل) قاصدين (حمص) فأرسل (هرقل) الى المسلمين جيشاً بقيادة (توذر) البطريق ، وأردفه بجيش آخر عليـه (شنس) الرومي سدداً له ورداءاً لأهل (حمص) .

كان خالـد بإزاء (توذر) الذي تحرك بجيشه نحو دمشق للقضاء على حاميتها من المسلمين ، ولكن خالداً اقتفى أثره ، فلما نشبت المعركة بين جيش (توذر) من جهة وبين جيش يزيـد بن أبي سفيان من جهة أخرى ، كان خالد قد لحق جيش الروم وطلع عليهم من خلفهم ، فكانوا يقاتلون في معركة يائسة : من أمامهم يزيد ومن خلفهم خالد ، لذلك لم ينج منهم إلا القليل [٢] .

في حمص [٣]

قصد أبو عبيدة (حِمْص) وأرسل خالداً (البقاع) [٤] ، فسار إليها

---

(١) الطبري (٦٢٨/٢ ـ ٦٣٠) وابن الاثير (١٦٥/٢) .

(٢) الطبري (٩٦/٣) وابن الاثير (١٨٩/٢ ـ ١٩٠) .

(٣) حمص : بلد مشهور قديم كبير مسور ، وهي بين دمشق وحلب في نصـف الطريق . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٩/٣) . وهي مدينة في مستوى خصبة جدا ، من اصح بلدان الشام تربة ، في اهلها جمال مفرط راجع المسالك والممالـك للاصطخري ص (٤٦)

(٤) البقاع : جمع بقعة ، موضع يقال له : بقاع حلب قريب من دمشق ، وهـو ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق ، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة . راجع معجـم البلدان (٢٥٠/٢) .

خالد وافتتحها . وسار أبو عبيدة حتى نزل (حمص) وجاء بعده خالد فنزل عليها . وحاصرها المسلمون وشددوا عليها الحصار ، فلما ذهب الشتاء ، طلب أهل (حمص) الصلح فصالحهم المسلمون [1] .

في قنسرين [2]

أرسل أبو عبيدة خالداً الى (قِنَّسْرين) فلما نزل (الحاضر) [3] التقى بجيش رومي عليه (ميناس) وهو أعظم قادتهم بعد (هرقل) ، فقاتلهم خالد قتالاً شديداً وقتل « ميناس » بعد أن دافع عنه الروم دفاعاً مستميتاً . أمـا أهل « الحاضر » فأرسلوا الى خالد : إنهم عرب وإنهم حُشروا كرهاً ولم يكن من رأيهم حربه ، فقبل منهم وتركهم .

فلما بلغ عمر بن الخطاب أعمال خالد في الشام ، قال : «أمّرَ خالد نفسه ! يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم بالرجال مني [4] » .

وسار خالد من « الحاضر » حتى نزل على « قنسرين » فتحصن أهلها منه ، فقال لهم : « لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم أو لأنزلكم الينا » ، فنظروا في أمرهم وذكروا ما لقي اهل « حمص » وغيرها من البلدان ، فطلبوا الصلح على مثل صلح حمص، ولكن خالداً أبى إلا على خراب المدينة، فكان له ما أراد [5] .

---

(١) الطبري (٣/٩٦ ـ ٩٨) وابن الاثير (٢/١٩٠ ـ ١٩١) والبلاذري ص (١٣٦) .

(٢) قنسرين : بلد في ارض الشام جنوب حلب . راجع معجم البلدان(٧/١٦٨). وهي مدينة تنسب الكورة اليها ، وهي من اصغر المدن بها . راجع المسالك والممالك ص (٤٦)

(٣) الحاضر : خلاف البادي ، وهو بقرب حلب . راجع معجم البلدان(٣/١٩٩).

(٤) الطبري (٣/٩٨) وابن الاثير (٢/١٩١).

(٥) الطبري (٣/٩٨) وابن الاثير (٢/١٩١) .

وكان « هرقل » قد غادر « حمص » الى « الرهاء » [1] ، فلما أباد خالد الروم « بالحاضر » واخرب « قنسرين » يئس هرقل من بقـــاء الشام تحت حكه ، فودّع سورية بقوله : « عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي إلا خائفاً [2] » .

في مرعش [3]

بعد فتح « قنسرين » وجّه ابو عبيـــدة وهو « بَمنْبج » [4] خالداً الى « مرعش » ففتحها واجلى اهلهـــا واخربها ، مما يدل على ان اهلها قاوموه فقهرهم بالقتال كما انه فتح حصن الحدَث [5] .

---

(١) الردهاء : مدينة بالجزيرة بين المحصل والشام · راجـع معجم البلـــدان (٤/٣٤٠) ·

(٢) ابن الاثير (٢/١٩١) ·

(٣) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفـــي وسطها حصن عليه سور : راجع معجم البلدان (٨/٢٥) ·

(٤) منبج : بلد قديم كبيرة واسعة ، ذات خيرات كثيرة وارزاق واسعة فـــي فضاء من الارض ، كان عليها سور مبنى بالحجارة محكم ، بينها وبين الفرات ثلاثـة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ · راجع معجم البلدان (٨/١٦٩) ·

(٥) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش ، من الثغور يقـــال لها : الحمراء ، وقلعتها على جبل يقال له الاحيدب · راجع معجم البلدان (٣/٢٣١) ، وانظر عن فتح مرعش وحصن الحدث تاريخ ابي الفدا (١/١٦٠) ·

عـــزلـه

« أمر خالد نفسه ! يرحم الله أبا بكر »
هو كان أعلم بالرجال مني »

(الفاروق عمر)



كان خالد قائداً عاماً بالشام في خلافة أبي بكر كما أسلفنا . فلما تولى الخلافة عمر بن الخطاب،عزل خالداً عما كان عليه وولي أبا عبيدة بن الجراح[1] مكانه؛فقد كتب عمر الى أبي عبيدة بعقده وولايته على الشام مكان خالد،وصير خالداً موضع أبي عبيدة [2] ، أي أن خالداً أصبح قائداً مرؤوساً في أرض الشام للقائد العام ابي عبيدة بن الجراح .

استمر خالد على قيادة الرجال بإمرة ابي عبيدة ، وكان له بلاء وغناء وإقدام حتى توفي [3] .

فما سبب إقدام عمر على عزل خالد من منصب القائد العام وهو في أول انتصاراته ومجده ؟!

هناك من يزعم،أن هناك عداوة شخصية بين عمر وخالد ، سببها تصارعهما وهما غلامان ، فكسر خالد ساق عمر ، وان هذه العداوة بينهما بقيت في حنايا عمر حتى تولى الخلافة ، فعزل خالداً [4] استجابة لذلك !!

---

(١) طبقات ابن سعد (٣٩٧/٨) .

(٢) اليعقوبي (١١٧/٢) ، اي ان خالدا لم يصبح جنديا بسيطا بعد عزله كما هو الشائع ، والا فكيف فتح ما فتح بعد عزله من القيادة العامة ؟!

(٣) طبقات ابن سعد (٣٩٧/٨) واليعقوبي (١١٨/٢ ـ ١٢٠) . وفي الاستيعاب (٧٩٤/٢) ان عمر ولاه دمشق .

(٤) ابن عساكر ص (٧١٠)والسيرة الحلبية (٢٧٦/٣) .

ولعل هذا السبب تافه بدرجة لا يؤثر في شخصية اعتيادية متزنة، فكيف يؤثر في سلوك شخصية فذة مثل شخصية عمر ؟؟

وهناك من يزعم، أن سبب عزل خالد، هو قتله مالك بن نويرة وتزوجه بامرأته [١]، لأن عمر كان مقتنعاً كل الاقتناع بتقصير خالد في هذه القضية بالذات [٢]، لذلك ألح على ابي بكر الصديق رضي الله عنه بعد علمه بهذا الحادث أن يعزل خالداً [٣] ولكن ابا بكر لم يقتنع بتقصير خالد ولا بصحة رأي عمر في حينه [٤]، فلما توفي ابو بكر، قال عمر: «ما صدقت الله إن كنت أشرت على ابي بكر بأمر، فلم أنفذه» [٥]، فعزله غير مكترث بماضيه المشرّف في خدمة الاسلام ولا في صلة القربى بينه وبين خالد [٦]، إذ كان عمر إذا اقتنع بأمر أمضاه.

وقد يكون هذا السبب سبباً وجيهاً عند عمر لعزل خالد، ولكنه لم يكن السبب الأول والأخير لعزله، بل لم يكن السبب المهم الذي قرر مصير خالد.

لقد كان ابو بكر في حكمه يعطي حرية كاملة لعماله وقادة جيوشه، وكان لا يخفى عليه شيء من عمله [٧]، لذلك كان بإمكان خالد وأمثاله من الذين يحبون تحمل المسؤولية كاملة أن يقرروا قرارات حاسمة ويبتوا بأم الأمور

---

(١) الطبري (٢/٥٠٢).

(٢) الطبري (٢/٥٠٤) واسد الغابة (٢/٩٥).

(٣) الطبري (٢/٥٠٤) وتاريخ ابي الفدا (١/١٥٨).

(٤) الطبري (٢/٥٠٤) وتاريخ ابي الفدا (١/١٥٨) وابن الاثير (٢/١٣٧).

(٥) الاصابة (٢/١٠٠).

(٦) خالد كان ابن خال عمر. راجع اليعقوبي (٢/١١٧) لان ام عمر هي: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة.

(٧) ابن الاثير (٢/٢٠٧).

وأخطرها على مسؤولياتهم ويتمتعوا بمزية الإبداع الذاتي - وأن يعملوا بسهولة مع ابي بكر الذي يفسح لهم المجال واسعاً للعمل ، ولكنهم لا يستطيعون العمل مع عمر الذي يريد أن يعلموه بكل شيء قبل الإقدام على إعطاء قرار ما - خاصة في قضايا القتال والمال - ولا يبتّون في الامور المصيرية قبل أخذ رأيه .

لقد انتظر ابو عبيدة في موضع اليرموك بعد انتهاء المعركة لا يبرحه حتى يأتيه امر عمر [1] ، وانتظر سعد بن ابي وقاص في موضع القادسية بعد انتهاء المعركة لا يبرحه شهرين حتى يأتيه امر عمر [2] ، ولو كان خالد هو القائد العام بعد هاتين المعركتين الحاسمتين ، لاستثمر الفوز فوراً دون انتظار الاوامر ، ولفعل كما فعل بعد انتهائه من امر طليحة ومن معه [3] ، فسار الى مالك بن نويرة على مسؤوليته الشخصية ، مما أدى الى اعتراض الانصار على مسيرته [4] ، ولكنه مضى قدماً الى مالك بن نويرة غير مكترث باعتراض المعترضين !

والظاهر أن نشأة خالد ونسبه الرفيع مع قابلياته العسكرية ، كونت عنده استقلالاً في الرأي ، والحق أن طبيعة الحركات العسكرية حينذاك : بُعد المسافة بين العاصمة وساحة القتال ، وعدم تيسّر وسائل مواصلات سريعة ، وتبدل مواقف المعركة بسرعة ، تجعل من الضروري أن يكون القائد مستقلاً في رأيه له الحرية الكاملة للبت في الأمور العسكرية دون مراجعة احد ، وإلا ضاعت عليه فرص كثيرة من دون مبرر .

قال عمر لأبي بكر : « أكتب الى خالد لا يعطي شيئاً إلا بأمرك » ،

---

(١) الطبري (٥٩٩/٢) .
(٢) ابن الاثير (١٩٦/٢) .
(٣) الطبري (٥٠١/٢) وابن الاثير (١٣٦/٢) .
(٤) الطبري (٥٠١/٢) وابن الاثير (١٣٦/٢) .

فكتب إليه بذلك ، فأجابه خالد : « إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشأنك وعملك » ، فأشار عليه عمر بعزله ، فقال ابو بكر : « فمن يجزي عني جزاء خالد ؟! [١] » ، إذ كان خالد إذا صار إليه المـــال قسّمه في اهل الغنائم ولم يرفع الى ابي بكر حسابا [٢] .

لقد سمع عمر راجزاً يذكر خالداً بعد موته ، فقال : «رحم الله خالد»، فقالوا : لماذا عزلته ؟؟ فقال : « إني ما عتبت على خالد إلا في تقدمه ومـا كان يصنع في المال [٣] » .

لقد كانت فتوحات خالد ملء السمع والبصر ، لذلك افتتن الناس بـــه وأصبحوا يثقون به ثقة لا حدود لها ويفرحون بالقتال تحت رايته [٤]،فخاف عمر أن يوكل النـــاس اليه ، فعزله ليعلموا أن الله ينصر دينه بخالد وبغيره ، وكتب الى الأمصار : « إني لم أعزل خالداً عن سخط ولا عن خيانة، ولكن الناس فخموه وفتنوا به ، فخفت أن يوكلوا اليه ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وأن لا يكونوا بعرض فتنه [٥] » .

وقال عمر بن الخطاب مرة ، وقد كان قد عزل خالداً والمثنى بن حارثة الشيباني : « إني لم أعزلهما عن ريبة ، ولكن الناس عظموهما ، فخشيت أن يوكلوا اليهما » .

وقال عمر : « والله لأنزعن خالداً حتى يعلم أن الله ينصر دينه [٦]» .

---

(١) الاصابة (٢/٩٩) .
(٢) الاصابة (٢/٩٩) .
(٣) الاصابة (٢/١٠٠) ، ويقصد عمر : (الا في تقدمه) اي : مبالغة خالد في تحمل المسؤولية دون الالتفات الى مرجعه الاعلى .
(٤) الطبري (٢/٥٩١) .
(٥) ابن الاثير (٢/١٩١) .
(٦) ابن الاثير (٢/٢٠٧ ـ ٢٠٨) والاستيعاب (٢/٣٩٤) . قال : « واللـــه لانزعن خالدا حتى يعلم ان الله ينصر دينه » .

لقد كان عمر يدعو خالداً الى أن يعمل – وذلك بعد عزله – فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما شاء ، فيأبى عمر ذلك [1] ، وكيف يرضى خالد أن يعمل بإمرة عمر المباشرة ، إذا كان يعرف سلفاً أنه سيكون مقيّداً في تصرفاته ، وأنه سيحاسب حساباً عسيراً عن كل عمل يعمله بدون امر عمر وموافقته ، وخالد لا يستطيع إلا أن يقرر وينبت بالأمور دون انتظار رأي احد ؛ وما دام خالد يعمل للمصلحة العامة لا لمصلحته الشخصية او لمصلحة شخص آخر ، وما دام يجاهد من اجل الاسلام لا من اجل عمر ، فلا فرق عنده بتاتاً ان يجاهد ويعمل رئيساً او مرؤوساً .

ولكن عزل خالد ترك أثراً سيئاً في نفوس الناس ، فقد خطب عمر مرة واعتذر عن عزل خالد ، فقال احد بني المغيرة [2] : « عزلت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ ، ووضعت لواء رفعه رسول الله ﷺ ، فقال عمر : إنك قريب القرابة ، حديث السن مغضباً لابن عمك [3] » ومع ذلك لم يترك عزله في نفسه هو أثراً سيئاً في علاقته الشخصية بعمر ، لأنهما كانا يعملان للمصلحة العامة لا لنفسيهما ، ولو أن اساليبهما في العمل كانت مختلفة . لذلك اوصى خالد لعمر عندما حضرته الوفاة [4] ، كما حزن عمر لموت خالد وقال عندما حضرته الوفاة : « إنه لو ادرك خالداً لولاّه الخلافة من بعده [5] » .

أما ابو عبيدة فلم يخبر خالداً بعزله إكراماً له وإجلالاً [6] – إستناداً الى رواية : أن أبا عبيدة علم بعزل خالد قبل ان يعلم خالد بذلك – ؛ ولما علم

---

(١) الاصابة (٢/١٠٠) .

(٢) هو ابن عمر بن حفص بن المغيرة . راجع الاصابة (٢/٩٨) . وهم بنو مخزوم الاقربون من خالد ، لان المغيرة هو جد خالد ، فهو خالد بن الوليد بن المغيرة .

(٣) الاصابة (٢/٩٨) .

(٤) الاصابة (٢/١٠٠) وطبقات ابن سعد (٧/٣٩٨) .

(٥) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٢٤) .

(٦) ابن الاثير (٢/٢٠٧) .

خالد بعزله واستعمال ابي عبيدة مكانه قـــال للناس عن ابي عبيدة : « بعث عليكم امين هذه الأمة »، وقال ابو عبيدة للناس عن خالد : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشيرة [1] » .

تلك دروس قيّمة من السلف الصالح :قائد كان له في حرب الروم والفرس أثر شديد ، يعزله الخليفة ، فلا يحقد أحدهما على الآخر حقداً مستداما ، ولا يحقد هذا القائد على خلفه ، ولا يحقد خلفه عليه ، بـــل لا يزداد خلفه إلا تقديراً وإعزازاً لسلفه المعزول ، ثم يتقارظ كل هؤلاء الثنـاء العاطر بحق : يثني احدهم على اخويه بمـا يستحقه ، ويبدي إعجابه بهما ، وكأن شيئاً من امور الدنيا لم يحدث بينهم !!

تلك هي بعض آثار العقيدة الاسلامية التي وجدت أرضاً خصبة في نفوس العرب ، فتغلغلت في أعماقهم ، وآتت أكلها ضعفين [2] .

---

(١) الاصابة (٢/٩٩) واسد الغابة (٣/٨٥) والاستيعاب (٢/٧٩٤) .
(٢) الاصابة (٢/٩٨) واسد الغابة (٧ـ٩) .

الإنسان

« كنت أرى لك عقلاً

رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير »

(محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

كان خالد أحد أشراف قريش في الجاهلية [1] وأحد أشراف المسلمين بعد إسلامه ، وكان راجح العقل [2] ذكياً ألمياً متزناً .

اسلم قبل فتح مكه [3] ، وحسن إسلامه واصبح موضع ثقــة الرسول ﷺ [4] ، يكلّفه بما يكلف به المؤمنين الصادقين كهدم آلهة المشركين [5] ، ويبعثه داعياً الى الله [6] ، وقــد قال عنه : « نعم اخو العشيرة خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله » [7] .

وكان خطيباً مفوهاً فصيحاً [8] ، وكان كاتباً قارئاً [9] وشاعراً بليغاً .

قال في هدم العزى [10] :

يا عز كفرانك لا سبحانك ... إني رأيت الله قــد أهانك

---

(١) الاصابة (٢/٩٨) واسد الغابة (٢/٩٣) والاستيعاب (٢/٤٢٧).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٥) .
(٣) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٤) والاصابة (٢/٩٨).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٥) .
(٥) الغابة (٢/٩٤) والاستيعاب (٢/٤٢٨) .
(٦) فتح الباري بشرح البخاري (٨/٤٥) وطبقات ابن سعد (٢/١٤٧).
(٧) الاصابة (٢/٩٩) واسد الغابة (٢/٩٤).
(٨) انظر مثلا خطابه الذي القاه على رجاله من اهل العراق عندما اختــرق بهم الصحراء في الطبري (٢/١٥٦).
(٩) السيرة الحلبية (٣/٣٦٤) .
(١٠) اسد الغابة (٢/٩٤) والاستيعاب (٢/٤٢٨) وعن معرفته القــراءة والكتابة .

وقال يصف اندحار اهل (الرضاب [1]) :

طلبنــا بالرضــاب بني زهير وبالأكناف أكنــاف الجبــال
فـلم تزل الرضاب لهم مقامــاً ولم يؤنسهم عند الرمــال
فـإن تثقف أسنتنا زهـيراً لِكفّ شريدهم أخرى الليــالي

وقال يصف معركة مرج الروم [2] :

نحن قتلنــا تؤذرا وشــوذرا وقبله مــا قد قتلنا حيدرا
نحن أزرنا الغيضة الأكيدرا

هذه النماذج القليلة من شعره ، تدل على تمتعه بقابلية شعرية ، سخرها هي الاخرى لإشباع هوايته المفضلة : قيادة الرجال في الحرب !... تلك الهواية التي كرس لها خالد كل حياته ، فكادت تشغله عن كل شيء غيرها .

وكان مضيافاً كريماً جداً ، فقد قصده الأشعث بن قيس [3] ، فأجازه بعشرة آلاف ، فسمع بذلك عمر ، فكتب الى ابي عبيدة بن الجراح : « أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته ، حتى يعلمكم من اين أجاز الأشعث : أمن ماله أم من مال أصابها ؛ فإن زعم أنه فرّقه من إصابة أصابها،

---

(١) راجع معجم البلدان (٥٩/٤) .
(٢) الطبري (٩٦/٣) .
(٣) الاشعث بن قيس الكندي : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة في وفد كندة ، وكانوا ستين راكبا فاسلم ، وبعد اسلامه خطب فروة اختابي بكر الصديق ، فاجيب الى ذلك . وعاد الى اليمن ، وارتد عن الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فسير ابو بكر الجنود الى اليمن ، فاخذوا الاشعث اسيرا واحضر بين يدي ابي بكر فقال له : « استبقني لحربك وزوجني باختك » فاطلقه ابو بكر وزوجه باخته وهي ام محمد بن الاشعث . شهد اليرموك ففقئت عينه ، ثم سار الى العراق ،فشهد القادسية والمدائن وجلولاء ، ونهاوند وسكن الكوفة . استعمله عثمان بن عفان . على اذربيجان ، وشهد صفين مع علي بن ابي طالب ، وكان ممن الزم عليا بالتحكيم ، وشهد الحكمين بدومة الجندل وتوفي سنة اثنتين واربعين بالكوفة وله من العمر ثلاث وستون سنة . راجع طبقات ابن سعد (٢٢/٦) والاصابة (٥٠/١) واسد الغابة (٩٧/١) والاستيعاب (١٣٣/١).

فقد أقرّ بخيانته ، وإن زعم أنه من ماله ، فقــد أسرف ، وأعزله على كل حال وأضمم إليك عمله » ، فكتب أبو عبيدة الى خالد ، فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر ، فقام صاحب البريد فسأل خالداً : من أين أجاز الأشعث ؟ فلم يجبه وأبو عبيــدة ساكت لا يقول شيئاً ! فقام بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ ، فقال : « إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا » ، ونزع عمامته ، فلم يمنعه خالد سمعاً وطاعة ، ووضع قلنسوتــه ، ثم أقامه فعقله بعمامته ، وقال : « من أين أجزت الأشعث ؟ أمن مالك أجزت أم من إصابة أصبتها ؟ » فقال : « بل من مالي » ، فأطلقه وأعاد قلنسوته ، ثم عمّمه بيده وقال : « نسمع ونطيع لولاتنا ، ونفخّم ونخدم موالينا » .

ثم كتب عمر الى خالد بالإقبـــال اليه ، فقال له عمر : من أين لك هذا الثراء ؟! » ، فقال خالد : « من الأنفال والسهمان ، ما زاد على ستين ألفــاً فلك [1] » .

فلما مات خالد قال عمر : « يرحم الله أبا سليمان ! لقد كنا نظن بــه أموراً ما كانت ! » إذ لم يترك إلا فرسه وسلاحه وغلامه [2] وقد حبس فرسه وسلاحه في سبيل الله [3] ، وكان باستطاعته أن يجمع الأموال الطائلة من فتوحاته الكثيرة ولكنه أنفقها كلها فمات فقيراً .

وكان عزيز النفس يغضب لكرامته ، فيه حدّة [4] ، وكانت قسوته على الذين يستحقونها من المقاتلين فقط [5] ، أما غير المقاتلين فلا خوف عليهم منه [6] .

---

(١) ابن الاثير (٢٠٧/٢) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣٩٨/٧) .
(٣) الاصابة (١٠٠/٢) .
(٤) اسد الغابة (٩٤/٢) والاستيعاب (٤٣٠/٢) .
(٥) الطبري (٥٦١/٢) وابن الاثير (١٤٩/٢) .
(٦) الطبري (٥٦٧/٢) والخراج لابي يوسف ص (١٧١) فقد ضمن للضعفاء وغير المقاتلين حقوقا لا مثيل لها حتى في العصر الحديث ، عصر حقوق الانسان كما يطلقون عليه .

روي عن النبي ﷺ ثمانية عشر حديثاً [1] ، وكان من أصحاب الفتيا من صحابة رسول الله ﷺ [2]، مع أن الجهاد شغله عن تعلّم كثير من القرآن [3] والتفقه في الدين .

لقد كان خالد طويلاً ضخماً بعيد ما بين المنكبين واسع الهيكل عريض اللحية في وجهه أثر جدري [4] ، وكان أشبه الناس خلقاً بعمر [5] وكان مزواجاً [6] ، وقد توفي في (حمص) سنة إحدي وعشرين للهجرة [7] . (٦٤١ م) وقبره بها [8] وكان له بضع وأربعون سنة ، فمولده حوالي سنة خمس وعشرين قبل الهجرة (٥٩٧ م) أو اثنتي عشرة قبل البعثة [9] وأوصى الى عمر بن الخطاب [10] .

وقال عند موته . « ما كان في الأرض من ليلة أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد ، في سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد [11] » .

---

(١) انظر اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ـ ص (٢٨٣) وقد ذكر في ص (٢٨٩) من نفس المصدر انه روى خمسة احاديث ،وانظر ما رواه الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده (٤ /٨٨) .

(٢) اصحاب الفتيا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا ـ ملحق بجوامع السيرة ـص (٣٢١) .

(٣) الاصابة (٢/٩٩) .

(٤) فتوح الشام للواقدي (١/١٥).

(٥) الاغاني (١٥/٢٦) .

(٦) الطبري (٢ / ٥٠٢) و (٢ / ٥١٩) وابن الاثير (٢ / ١٣٧) .

(٧) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٧) والاصابة (٢/١٠٠) واسد الغابة (٢/٩٦). والاستيعاب (٢/٤٣٠) وتاريخ ابي الفدا (١/١٦٤).

(٨) رحلة ابن جبير ص (٢٠٩) ومعجم البلدان (٣/٣٤٠) وفيه ايضا روايه ان خالدا مات بالمدينة .

(٩) ذكر ذلك القسطلاني ـ نقلا عن مقال بعنوان (خالد بن الوليد) للمرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ـ مجلة الرسالة العدد (٤٢) السنة الثانية ص (٦٧١) الصادر في ٩ محرم الحرام (١٣٥٣ هـ) المصادف ٢٣ نيسان (١٩٣٤ م) .

(١٠) الاصابة (٢/٩٩) .

(١١) طبقات ابن سعد (٧/٢٩٧) والاصابة (٢/١٠٠) واسد الغابة (٢/٩٦).

ثم قال : « شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء [1] .

لقد ترك موت خالد أثراً في النفوس من الحزن والأسى ، فاجتمعت نسوة من نساء بني المغيرة في دار يبكين خالداً ؛ فقال عمر : « وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة [2] » . وقيل لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها [3] على قبره .

وقال فيه عمر عندما بلغه موته : « قد ثلم في الاسلام ثلمة لا ترتق » وقال أيضاً فيه : « كان والله سداداً لنحور العدو ، ميمون النقيبة [4] » . ولما أحس عمر بالموت قال : « لو أدركت خالد بن الوليد لوليته ، فإذا قدمت على ربي فسألني : مَنْ ولّيت على أمة محمد ؟ قلت : إي ربي ، سمعت عبدك ونبيك يقول: خالد سيف من سيوف الله،سلّه الله على المشركين [5] » .

والمعروف للنسابين الثقاة منذ القرن الثاني الهجري أن عقب خالد بن الوليد رضي الله عنه قد انقرضوا جميعاً ولم يبق منهم أحد . قال المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري [6] : « وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد ، وورثهم أيوب بن سلمة [7] دارهم بالمدينة [8] » ، وأعاد هذا

---

(١) اسد الغابة (٢/٩٥) والاستيعاب (٢/٤٣٠) .
(٢) النقع : رفع الصوت ، وقيل اراد شق الجيوب . واللقلقة : الجلبة ، كأنه حكاية الاصوات اذا كثرت ، واللقلق : اللسان .
(٣) وضعت لمتها : أي حلقت راسها . انظر اسد الغابة (٢/٩٦) والاستيعاب (٢/٤٣٠) والاصابة (٢/١٠٠) والاغاني (١٥/٢٦) .
(٤) ابن عساكر ص (٧١٤) .
(٥) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٢٤) .
(٦) ولد سنة ١٥٦ هـ وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .
(٧) هو ايوب بن سلمه بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة . انظر جمهرة انساب العرب (١٣٩) .
(٨) نسب قريش (٣٢٨)

القول بحروفه الزبير بن بكار [1] في كتابه المخطوط : (جمهرة نسب قريش وأخبارها) [2] .

وقال ابن حزم الأندلسي [3] : « وكثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلاً ، وكانوا كلهم بالشام ، ثم انقرضوا كلهم في طاعون وقع ، فلم يبق لأحدهم عقب » [4] .

---

(١) ولد سنة ١٧٢ هـ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ .

(٢) في الفقرة رقم ١٩٧٦ من كتاب جمهرة نسب قريش واخبارها مخطوطة .

(٣) ولد سنة ٣٨٤هـ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ .

(٤) جمهرة انساب العرب (١٣٨).

صفات القائد القديم والحديث

صفات القائد بين القديم والجديد

صفات القائد هي حصيلة تجارب الأمم والشعوب من تاريخها العسكري سجلها عسكريون مختصون أو مؤرخون أو علماء ، لتكون نبراسا للذين يدرسون سير قادة الجيوش ، وللذين يحبون أن يتعلموا من تجارب غيرهم ، وللذين بيدهم الحكم والسلطة ليختاروا على هديها قادة جيوشهم .

وهذه الصفات هي صفات مثالية ، قد لا تتوفر كلها في قائد واحد ، لأنها مستنبطة من سير عدد عديد من القادة الأفذاذ ، ومن الصعب أن تتوفر في قائد معين إلا نادراً .

وقد عالجت صفات القائد كثير من الكتب القديمة : تاريخية وفقهية وعسكرية ، وكثير من الكتب الحديثة خاصة كتب التدريب العسكري وكتب تاريخ الحرب وكتب سير قادة الجيوش ومذكرات القادة .

ومن دراسة المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي تطرقت الى صفات القائد يتضح أن تلك الصفات متشابهة الى حد بعيد من حيث أصولها ، وقد تختلف بين كاتب وآخر وبين عصر وآخر وبين أمة وأخرى في الفروع .

سأحاول ذكر ما ورد في التراث العربي الاسلامي أولاً ، وفي الكتب الأجنبية الحديثة ثانياً ، بإيجاز شديد عن : صفات القائد ، لاستخلاص أم

تلك الصفات ، ثم مقارنتها بصفات خالد بن الوليد والفاروق القائد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لكي أبرز ما ينطبق منها عليه قائداً ، ولكي أجد محله الصحيح بين القادة ، ولكي أدل على صفات القائد الحق لعل فيها فائدة للعرب والمسلمين حكاماً ومحكومين في هذه الظروف الحرجة التي تجتازها الأمة العربية والإسلامية، فقد يطلع عليها من بيدهم اختيار القادة فيختارونهم على هديها ، وبذلك يتيسر أول عوامل النصر على إسرائيل .

في التراث العربي الاسلامي

١ - إن مصادر التراث العربي الاسلامي التي تتحدث عن صفات القادة أكثر من أن تحصى ، لذلك سأقتصر على ذكر مختصر ما ورد عنها في ثلاثة كتب فقط بين مطبوع ومخطوط .

وهذه الكتب التي اخترتها هي : (مختصر سياسة الحروب) للهرثمي صاحب المأمون ، (والسياسة الشرعية) للماوردي ، و (الأدلة الرسمية في التعابي الحربية) لمحمد بن منكلي .

٢ - جاء في كتاب (مختصر سياسة الحروب [١] للهرثمي الذي عاش الى ما بعد سنة (٢٤٣ هـ) في باب (في أن نظام الأمم تقوى الله والعمل بطاعته) قوله : « فينبغي لصاحب الحرب ، أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله ، وكثرة ذكره ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والفزع اليه ، ومساءلته التأييد والنصر والسلامة والظفر ، وأن يعلم أن ذلك إنما هو من الله عز وجل ثناؤه لمن شاء ، من خلقه كيف شاء لا بالأرب [٢] منه والحيلة والاقتدار والكثرة ، وأن يبرأ اليه جل وعز من الحول والقوة في كل

---

(١) تحقيق عبد الرؤوف عون - مراجعة محمد مصطفى زيادة (الدكتور) - القاهرة .

(٢) الارب : العقل . والرجل الاريب : العاقل .

أمر ونهي ووقت وحال ، وألا يدع الإستخارة لله في كل ما يعمل به ، وأن يترك البغي والحقد وينوي العفو ، ويترك الانتقام عند الظفر إلا بما كان فيه لله رضى ، وأن يستعمل العدل وحسن السيرة والتفقد للصغير والكبير بما فيه مصلحة رعيته ، وأن يعتمد في كل ما يعمل به في حربه طلب ما عند ربه عز وجل ، ليجتمع له خيرا : الدنيا والآخرة » [١] .

وجاء في باب : « حسن سياسة الرئيس أصحابه » قوله : « الغرض الذي يجري اليه السائس الكامل في سياسة أصحابه ثلاث خصال : المحبة ، والهيبة منهم له ، والمحبة من بعضهم لبعض . وقد يحتاج في اجتماع هذه الى آلات كثيرة وأعمال لطيفة . تفقد من أمور أصحابك جميع ما يعود نفعه عليهم ، استزد محسنهم بالتكرمة ، وقدم قبل الإساءة إلى مسيئهم بالمعذرة ، واستعتب مقصرهم بحسن الأدب استعتاب مستصلح لهم غير مغتنم للزلة ولا معترض للعثرة ، ولا مستريح الى كشف غامض العورة ، فانه لا يصلح الرعية إلا بعض تغابي الراعي عن فلتات زللها ... فوّض الى قوادك وولاة جندك أمور أصحابهم ، ورضهم لهم من غير أن تأذن لأحد في بسط يده في أخذ مال أو عقوبة ، إلا عقوبة أدب في صغائر الأمور ، فأما غير ذلك فلا يلينه غيرك أو صاحب أحداثك [٢] بأمرك » [٣] .

وجاء في باب : (في ذكر فضائل الرئيس وأصحابه) قوله : « أفضل الرؤساء أيمنهم نقيبة [٤] ، وأكملهم عقلا ، وأطولهم تجربة ، وأبعدهم

---

(١) مختصر سياسة الحروب (١٥) .

(٢) صاحب الاحداث : الشخص المكلف بالتحقيق فيها ، والحكم على اصحابها . ويطلق على صاحب الاحداث : المحاكم العسكرية .

(٣) مختصر سياسة الحروب (١٦) .

(٤) ميمون النقيبة : مبارك السجية والطبيعة ، او مبارك النفس .

صوتاً [١] ، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواضعها ، ومواضع الفرص والحيـل والمكايـدة ، وأحسنهم تعبئة لأصحابه في أحوال التعبئة ، وتسييرهم أوان المسير ، وإنزالهم أوان النزول ، وإدخـال الأمن عليهم والخوف على عدوهم مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو ، وأن يكون حسن السيرة عفيفاً صارماً حذراً متيقظاً شجاعاً سخياً » [٢] .

وجاء في باب : « في معرفة الرئيس مقادير أصحابه في الحرب » قوله : « كان أهل المعرفة يحبون أن يعرف الرئيس مقادير أصحابه وجنده رجلاً رجلاً بخاصته في الشجاعـــة والجبن مع سائر أحواله ، ليضع كل رجل منهم في موضعه » [٣] .

٣ – وجاء في كتاب : (الأحكام السلطانية) لأبي الحسن علي بن محمـد ابن حبيب البصري البغدادي الماوردي المتوفى سنـــة (٤٥٠ هـ) في باب : (تقليد الإمارة على الجهاد) ، أن القائد هو الذي يعرف كيف يسيّر جنده بحيث لا يجهدهم دون مسوّغ ، ويفتش رجاله وعدتهم ليتأكد من قدرتهم على تحمل أعباء الحرب ، وأن ينظم قواته تنظيماً سليماً ، وأن يحارب حربـــاً إنسانيـــة لا عدوان فيها إلا على الظالمين ، وأن يكون قادراً على اختيار المعسكر المناسب لرجاله عالماً بالقضايا التعبوية ، لا تخفى عليه خافية من أخبار خصمه وأن يرفـــع معنويات قواته ، وأن يستشير ذوي الرأي ولا يستبد دونهم بالرأي وأن يلتزم هو ومن معه بتعاليم الدين الحنيف .

٤ – وجاء في كتاب : (الأدلة الرسمية في التعابي الحربية) وهو كتاب مخطوط كتبه محمد بن منكلي نقيب الجيش في سلطنة الأشراف ، شعبان

---

(١) الصوت : الذكر الحسن .

(٢) انظر التفاصيل في كتاب : مختصر سياسة الحروب (١٧ ـ ١٨) .

(٣) سياسة الحروب (٥٣) .

(٧٦٤ هـ – ٧٧٨ هـ) ، وقد ألف هذا الكتاب سنة (٧٧٠ هـ) ووردت فيه بعض التفاصيل عن : صفات القائد لعل أهمها : تقوى الله ، ومعرفة رجاله فرداً فرداً ، متمسكاً بالضبط المتين ، يستشير ذوي الرأي. ذو تجربة في الحرب ، شجاع عالم في القضايا التعبوية ، حريص على رفع معنويات قواته وعلى أمنها ، قادر على إعداد جيشه مادياً ومعنوياً للحرب ...

من المصادر العسكرية الأجنبية الحديثة

لعل آخر كتاب صدر عن : (القيادة) هو كتاب المشير مونتكومري البريطاني ، وإسم هـذا الكتاب هو : (السبيل الى القيادة) الذي صدر سنة ١٩٦٥ .

وسأعدد صفات القائد كا وردت في هذا الكتاب بإيجاز شديد .

في نظر مونتكومري أن القائد الحق هو الذي يجعل الناس يتبعونه ، وهو يحتاج الى الشجاعة وقوة الإرادة ، وأن يكون محترماً يعتمد على حكمته الشخصية ، قادراً على أن يوحي بآرائه الى الذين يقودهم وعلى استثارة الحماسة في قلوبهم ، وأن يكون موضع ثقة رجاله واعتمادهم ، قادراً على مخاطبتهم بلغة يفهمونها لاكتساب قلوبهم وأفكارهم ، ذا كفاية عسكرية عالية ، دارساً للطبيعة البشرية ، يتعلم فن القيادة ويمارسها ، متفائلاً لا ييأس ، يتحلى بالعزم ، يحرص على معنويات قواته ، مسيطراً على نفسه ، يحسن اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، يعرف واجباته ويتقن عمله ، متتبعاً لما يستجد من العلوم العسكرية ، مخلصاً لمهنته ، ناكراً لذاته ، قادراً على إعطاء القرارات السليمة ، ذا حظ عظيم ، عالماً لمبادىء الحرب هادئاً ، متمسكاً بالضبط المتين ، مستعداً للمجازفة عند الحاجة ، قادراً على إعداد رجاله للحرب وقيادتهم عند نشوبها ، ملتزماً الى أبعد الحدود بالدين .

وقد أطنب مونتكومري في تأكيد علاقة العقيدة بالقيادة ، وسأنقل

بعض ما جاء في كتابه عن هذه الناحية ، لأنها تتفق تماماً مع ما جاء في تراثنا العربي والاسلامي عن أهمية العقيدة للقائد ، ولأن قسماً من الضباط وغير الضباط يظنون خطأ بأن القائد يجب ألا يكون متديناً ، وهذا الخطأ الفاحش أدى فيما أدى اليه – الى كوارث عسكرية لعل اندحار العرب في الأراضي المقدسة .

يتساءل مونتكومري : « هل من علاقة للدين بالقيادة ؟ » ، ويجيب على تساؤله : « إن القائد لا بد من أن يكون متمسكاً بمثل عليا وبالفضائل الدينية » .

ويجمل الفضائل الدينية – كما يراها مونتكومري بنص كلماته حرفياً :

(أ) الهدى :

« وهي عادة إرجاع جميع الامور الى الارشاد الإلهي ، وإلى هذه الفضيلة تستند الحكمة والانصاف وحسن التصرف » .

(ب) العدالة :

« وهي إعطاء كل فرد حقه : حق الله ، وحق الانسان نفسه . والى هذه الفضيلة تستند الواجبات الدينية والطاعة والشكران ، وكذلك النزاهة والاستقامة وحسن النية نحو الآخرين » .

(ج) الانضباط :

« وهو السيطرة على النفس لغرض تطوير الطبيعة البشرية الى أرفع المستويات للأغراض الاجتماعية والشخصية أيضاً ، والى هاتين الفضيلتين يستند الطهر والتواضع والصبر » .

(د) الجلادة :

« وهي الروح التي تقاوم وتتحمل وتتغلب على محن الحياة وإغراءاتها ،

وإلى هذه الفضيلة تستند الشجاعة الأدبية والمثابرة وضبط النفس » .

ثم يتساءل مونتكومري : « من هم أعظم القادة في كل الأزمان ؟ إنهم ولا شك مؤسسو الديانات العظمى : « المسيح ومحمد وبوذا » .
وهو يرى أن صفتين بارزتين في هؤلاء القادة الثلاثة هما : قوة التركيز ، والمقدرة على اتخاذ القرار .

ويقول مونتكومري : « هل كانت الحياة الخاصة لهؤلاء القادة الثلاثة إحدى الأسباب لنفوذهم ونجاحهم ؟ وهل يجب أن تكون حياة القائد الخاصة فوق الشبهات ؟

« في رأيي الخاص في هذه القضية بعينها بل وجميع القضايا الأخرى ، أن العامل الأكبر هو إخلاص المرء ونفوذه وكونه (قدوة) خاصة فيما يتعلق بالفضائل الدينية ..

« إنني لا أدري كيف يستطيع أمرؤ أن يكون قائداً ، إن لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات . فان لم تكن حياته الشخصية فوق الشبهات ، فلا يحترمه الذين يقودهم ، وسيسحبون ثقتهم منه ، وإذا ما حدث ذلك فستفقد قيادته تأثيرها .

« إنني أعتقد أن (الاستقامة) في القضايا المعنوية الكبرى وفي الفضائل الدينية أمر ضروري للقائد » .

ثم يقول مونتكومري: «يجب أن يكون القائد مستقيماً حق الاستقامة».
ثم يقول : « إني أعتقد أنه يجب أن يكون لدى القائدِ (يقين) باطني مبني على العقل ، لكنه يعلو مع ذلك فوق العقل » .

وشاء مونتكومري أن يختم كتابه بخاتمة هي في الحق (تهويمة صوفية) بكل ما في هذه الكلمة من معان ، فهي عبارة عن (رؤيا) لاقى فيها والده

المتوفى فيما يراه النائم ، فحدثه والده حديثاً قال فيه : « يا بني ! لا أود أن أبقى طويلاً ، وأود أن أقول لك : يتحدث الناس كثيراً في الدنيا كلها عن الحرية ، ولكن هناك حرية إيجابيـة واحدة هي : حرية الاختيار بين الخير والشر ، وأن أفضل تعريف لهذه الكلمة التي قلما فهمها الناس هي : إن الحرية التامة هي في خدمة الرب » .

ويستطرد مونتكومري الأب فيقول : « عندما أعاين عالمكم اليوم ينتابني القلق أحياناً على الجيل الجديد ... إن لديهم مغريات لم نحصل عليهـا أنا وأنت ، ويبـدو أنهم ينضجون مبكراً ، ولكن ذلك يجري في عالم غير مأمون ، وهم يميلون الى أن يجعلوا للأمور المادية قيمة كبيرة ، وأن يهملوا القيم الروحية .. على الشباب أن يتسلح جيـداً بالشعور الروحي ، إذا أراد الا ينحرف أو أراد ألا يجرفه التيار » .

ولقد ردّدَ مونتكومري في كتابه هذا مرات عديدة،أهمية الدين للقائد، وعزا نجاحه قائداً منتصراً مرات كثيرة الى تمسكه بأهداب الدين [1] .

ووصف المشير ويفـل وهو من أشهر قادة بريطانيا في الحرب العالمية الثانية ـ القائد بقوله : « يجب أن يكون القائد عفيفاً وقوراً، يتحمل المشاق من الأعمال ، متوسط العمر فصيحاً ، ورب عائلة وأن ينتمي الى بيت مجد له شهرة، وأن يكون مؤدباً ودوداً، سهل الاقتراب منه، رزين الطبع » [2] .

---

(١) قلت لنفسي بعد فراغي من قراءة كتاب مونتكومري : (السبيل الى القيادة): ترى · لو الح قائد عربي الحاج بل الحاف مونتكومري في كتابه على أهمية الدين للقائد ، ثم ختم كتابه بمثل هذه التهويمة الصوفية ، فماذا كان يقول عنه العرب ؟؟··

(٢) كان ويفل مثقفا ثقافة عالية وكاتبا مجيدا ، وكان مفكرا كبيرا ذا عقل نير وبعد نظر · وقد القى محاضرات في جامعة كمبردج بانكلترا في موضوع : (القيادة وفن القيادة) عام ١٩٣٩ ، وتوفي عام ١٩٤٧ بالسرطان · انظر ما جاء عنه في كتاب : (السبيل الى القيادة) ص (٥٦ـ٦١) ·

وجاء في كتاب : (الخدمة السفرية) [١] وهو من أهم الكتب العسكرية الفنية في بريطانيا والمعمول به في معظم الدول الغربية وفي قسم من الدول العربية أيضاً عن : صفات القائد ، ما نصه [٢] : « ينحصر أهم واجب للقائد في إصدار القرارات . ولكي تكون قراراته صحيحة ، لا تكفيه الشجاعة الشخصية ، ولا الإرادة القوية الثابتة . ولا تحمل المسؤولية بلا تردد ، بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفاً وقوفاً تاماً على مبادىء الحرب وقادراً على إبداء الحكم السريع الواضح ، وذا مخيّلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز ولا تثبط عزيمته كارثة الخيبة ، وأن يكون سابراً غور الطبع البشري.

« ويتمكن القائد من المحافظة على معنويات قوته وتنفيذ أوامره بالثقة والولاء اللذين يبعثهما في نفوس رجاله بقدر ما يتمكن من ذلك بواسطة الضبط.

« فالشخصية القوية ، ومعرفة الطبع البشري ، وأصالة الرأي الموزون والتفاهم مع المرؤوسين ، عوامل أدبية جوهرية في تنشئة الكفاية العسكرية ، فعلى القائد أن يغتنم كل فرصة سانحة للاتصال بمرءوسيه القادة وقطعه العسكرية ، للوقوف على صفاتهم وما فيهم من جدارة » [٣] .

٢ - وللأمريكيين آراء في صفات القائد ، وهي على العموم تشابه آراء البريطانيين في (الأصول) وتختلف عنها في (الفروع) ومن آرائهم : « الاستقامة في حياة القائد العامة والخاصة ، تؤدي الى ثقة رجاله به وتسري فيهم خصاله الرفيعة .

« والصدق ثقة ، والصادق موثوق به ، والثقة المتبادلة بين القائد والمقود ضرورية إلى أبعد الحدود في الخدمة العسكرية » [٤] .

---

(١) يطلق الضباط الاجانب على هذا الكتاب اسم : (انجيل العسكرية).

(٢) نقلا عن الترجمة العربية لهذا الكتاب - وزارة الدفاع العراقية - بغداد .

(٣) انظر التفاصيل في مصادر التدريب العسكري البريطاني : كتاب نظامات الخدمة السفرية . وكتاب ادارة الحرب ، وكتاب الفرقة في المعركة وكتاب فوج مشاة في المعركة ... الخ .

(٤) من كتاب : اصول المدفعية للجيش الاميركي .

٣ – ومن أقوال نابليون في صفات القائد : « إن أول ما يجب أن يتوفر في القائـــد رأس هادئة ، وبذلك تظهر له الأشياء على حقيقتها وفي مظهرها الصحيح .. ويجب ألا يتأثر بالأخبار الحسنة أو السيئة » . وقال: «لا يستطيع القائد أن يتخلص من مسؤولية أخطائه بالرجوع الى الأوامر التي تلقاها من الملك او الوزير ، عندما يكون هــذا الفرد الذي أصدر تلك الأوامر على مسافة من ميدان العمليات وعندما لا يكون على علم بطبيعة الأحوال التي تواجه القائد » ، وقال : « إنما يتبع القائد تجاربه الخاصة ومواهبه ، فإن تطورات فن القتال والعلوم الهندسية وفنون المدفعية يمكن أن تدرس من الكتب ، ولكن القيادة تجيء من التجارب ومن دراسة معارك كبار القادة» . وقال : « من الصعب ، بل من النادر ، أن تجد كل الصفات اللازمة لقائـــد عظيم مجتمعة كلها في رجل واحد ، إن أكثر ما هو مرغوب فيه ، وما يميز هذا الرجل النادر ، هو الموازنة بين الذكاء والمقدرة والشجاعة »[١] .

٤ – ويشير المشير رومل في مذكراته[٢] إلى بعض صفات القائد، فيؤكد على صفة (تحمل المسؤولية [٣])، وأن يكون قادراً على تقدير الموقف وإصدار القرارات الصحيحة [٤] ، ويقول : « وثبت لي أثناء التحرك إلى (المخيلي) أنني لم أطلب الكثير ، لأنه ظهر لي أن القادة الذين استغلوا قدراتهم تمكنوا من تنفيذ كل ما طلبته منهم ، وظهر في بعض الأحيان أن طاقات القائـــد وقدراته (النفسية) أهم من استعداده (العقلي) ومعلوماته العسكرية ، وهو أمر غير مفهوم جيداً للمفكرين العسكريين بالرغم من أنــه أمر مفروغ منه بالنسبة للرجل العملي . في هذه العملية توفرت لي الفرصة لتدعيم علاقاتي مع الجنود ، فنتج عن ذلك أن حققوا كل ما طلبته منهم على الدوام »[٥] .

---

(١) انظر كتاب : (القائد كلاويز فيتز (٧١/٧٤) .
(٢) The Rommil Papers
(٣) مذكرات رومل (٢/٣٤) .
(٤) مذكرات رومل (٢/٤٥) .
(٥) مذكرات رومل (٢/٤٧ ـ ٤٨) .

ويؤكد رومل على أن القائد يجب أن يقود رجاله من (الأمـام) لا من (الخلف) ، فيقول : «يجب على القائد أن يدرك أن مكانه ليس في (الخلف) مع هيئة أركانه ، وإنما في (الأمام) مع قواتـــه ؛ فالجنود لا يشعرون بالصلة بينهم وبين قائـــد يجلس في (الخلف) بمقر قيادته ، والذي يرغبون فيه هو الاتصال به « فعلا » . ومن السخف القول : إن واجب قائد الكتيبة وحده هو المحافظة على الروح المعنوية لرجاله ، واتضح أنه كلما ارتفعت الرتبة كلما زاد أثر المثل المعطى ، وخاصة في لحظـات الذعر والارهاق او الانحلال او عندما يلزم الأمر مجهوداً غير عادي ، فالمثل الذي يضربه القائد بوجوده تحت نفس الظروف يفعل المعجزات ، خاصة إذا كان القائد على قـدر من الذكاء وكان قادراً على خلق أسطورة حول شخصيته »[1]

وليس سراً أن من أهم أسباب انتصارات رومل ، هو أنـــه كان يقود رجاله دوماً من (الأمام) .

ويؤكد رومل على أهمية الإرادة القوية والتجربة العملية للقائد ، فيقول : « كان اللواء كافاليرو[2] من الضباط الذين يتميزون بالثقافة والعـلم الواسع ، ولكنه كان ضعيف الإرادة مثـــل كل ضباط المكاتب[3] ولكن تنظيم الإمدادات وقيادة الرجال وأي شيء بناء يتطلب أكثر من الثقافة ، فهذه الأشياء تتطلب طاقة وقوة دافعة وإرادة قوية لخدمة الأهداف بغض النظر عن المصالح الشخصية . وأغلب العسكريين النظريين ينظرون الى الحرب على أنهـــا مسألة ثقافية بحتة ، ولا يطلبون الطاقة والقوة إلا من هؤلاء الذين

---

(١) مذكرات رومل (٤١٦/٣) .

(٢) قائد ايطالي عمل في شمال افريقية اثناء الحرب العالمية الثانية .

(٣) يقصد : الضباط النظريين ، الذين يؤثرون العمل في المكاتب والمقرات علـى العمل في القطعات العسكرية العاملة .

يسمونهم أحياناً بشيء من الاحتقار « (ضباط الوحدات) »[1] ، ولكن لا يطلبون ذلك من أنفسهم أبداً، فهم يباهون بمؤهلاتهم العلمية التي منحها لهم آخرون من نفس صنفهم ، وينظرون إلى أنفسهم بأنهم مصدر لكل خير ، وإلى (ضباط الوحدات) بأنهم مصدر لكل شر »[2] .

ومن الواضح أن القائد يجب أن يتحلى بالعلوم العسكرية النظرية وبالتجربة العملية في قيادة الوحدات العاملة في آن واحد، فمثل هذا القائد أفضل بالطبع من الضباط العمليين فقط الذين تنقصهم العلوم العسكرية النظرية ، ومن الضباط النظريين فقط الذين تنقصهم التجربة العملية في قيادة الوحدات العاملة .

ويجمل رومل عصارة تجاربه عن صفات القائـــد ، فيذكر : أن الثقافة والعلم ضروريان للقائد نظراً لكثرة المبتكرات العلمية التطبيقية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ في كيان الجيوش الحديثة، وأن يكون القائد ذا عقلية راجحة وشخصية قوية ، وأن يتمتع بالمرونة العقلية ، يتحمل المسؤولية ، وأن يكون مستقل الرأي يتمتع بمزية التفكير الناقد البناء ، له طاقة جسمية وروح المبادأة وأن يهتم بالمعنويات وبالصلات الشخصية بينه وبين رجاله دون أن يتنازل عن ذرة من سلطاته عليهم ، وأن يغرس الثقة بقيادته في رجاله بمثاله الشخصي ، وأن يعرف القائـــد عدوه معرفة دقيقة مفصلة ، وأن يكون قادراً على تدريب قطعاته العسكرية[3] .

وفي كتاب : (المشير فون رونشتد – القائد الانسان) ، يذكر المؤلف

---

(١) تعبير يطلق عادة للسخرية عند وصف القادة الميدانيين الذين لا يمتلكون اية مؤهلات علمية عالية في العسكرية ، مثل شهادة كلية الاركان والكلية العسكرية وكليـــة الضباط الاقدمين بل نشأوا من الجندية وتدرجوا في الرتب العسكرية ، حتى وصلوا الى المناصب القيادية .

(٢) مذكرات رومل (٤/٦٠٦) .

(٣) انظر التفاصيل في مذكرات رومل (٦/٨٥٥ – ٨٦١) .

بأن صفات القائد هي : الطبع الموهوب ، وسرعة الخاطر ، والحزم ،والمقدرة على الانتقال من مهمة الى أخرى بكفاية وسرعة ، والعلم المكتسب ،والتجربة العملية الطويلة ،والتفرغ للواجبات العسكرية دون توزيع طاقاته على واجبات أخرى ، وتحمل المسؤولية ، والشخصية القوية ، والشهامة ، والصراحة والوضوح ، ومعرفة الطبيعة البشرية ، والمقدرة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، وإصدار القرارت الصحيحة ، والتحلي بالحاسة السوقية (الاستراتيجية) السليمة ، وبعد النظر ، وتوقع ما يحدث في المستقبل ، والتمسك بحرب الفروسية ، والشجاعة والإقدام ، والاهتمام بالقضايا الإدارية ، والعمل على رفع المعنويات ، والثقة المتبادلة والمحبة بينه وبين مرؤوسيه ، والقابلية البدنية والماضي الجيد [1] .

ويصف المؤلف في كتابه المشير رونشتد بأنه ملتزم بالفضيلة والدين ، وأن أصدقائه المفضلين لديه هم رجال الدين : يحترمهم ، ويصغي الى آرائهم ويسعد بلقائهم وصحبتهم حتى في أحرج الظروف الحربية .

٥ – وجاء في كتاب (الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية) [2] : « إن عناصر قيادة القوات المسلحة يجب أن تكون قادرة لا على دراسة ومراعاة الموقف والإمكانات فقط وإنما أيضاً قادرة على تغييرها لصالحها ، وقادرة على التنبؤ المبني على أساس علمي بتطور الحوادث خلال الفترة المقبلة ، واتخاذ القرارات السليمة في الوقت المناسب ، وتنفيذها فعلاً » [3] .

---

(١) المشيرفون رونشتد – اللواء كونثر بلومنتريت – الطبعة العربية المترجمة عن الطبعة الانكليزية .

(٢) الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفياتية – تاليف مجموعة من قادة السوفيات – ترجمة محمد عبد الحليم ابو غزالة – مترجم عن اللغة الروسية طبعة سنة ١٩٦٨ – القاهرة .

(٣) الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفياتية (٤٩٥) .

وجاء فيه : « والنقد الذي يمكن أن يوجه إلى وجهات النظر المثالية والموضوعية من الناحية العلمية ، لا يقلل من الدور الحقيقي للزعماء بما فيهم القادة العسكريون .

« والماركسية اللينينية - في تقدير دور الشعب بصفته الواضع للتاريخ ، لا تنفي قيمة الفرد ، وإنما تضع أساساً علمياً لفهم حقيقة عمل الزعيم . وفي كل نظام اجتماعي حيث يحتل العمل الجماعي مكان الصدارة ، تعتبر السلطة المرؤوسة ضرورية .

« ولا توجد في تاريخ الانسانية أمثلة وصلت فيها الجماهير الى المجد دون زعامة قادرة على تنظيم وتوجيه حركتها . ولا توجد أمثلة تمكن فيها جيش ما دون نظام محدد وقيادة واعية خبيرة من أن يقف في وجه جيش له قيادة عسكرية على خبرة ودراية .

« ولكن دور القائد وأعماله لا يمكن أن تعتبر عاملاً مطلقاً ، فدوره لا يمكن فصله عن دور جماهير الشعب ، كما أن أفراد القوات المسلحة لا يعارضون سلطته وإنما يعمل في تناسق تام معهم .

« وبعكس ما حاول المفكرون (الآيديولوجيون) البورجوازيون إثباته ، نجد أن تاريخ الحروب الماضية قد أثبت أن القائد يمكنه قيادة جيشه بنجاح في حالة واحدة فقط ، هي أن تكون أهداف الحرب وأعمال القائد وأفكاره واضحة المعالم ومفهومة من جانب الشعب » [١] .

وجاء في هذا الكتاب : « إن الحرب الحديثة بأهدافها الحاسمة واتساع نطاقها والنشاط الذي تتصف به أعمالها تتطلب خصائص معينة في القادة . فعلى القائد العسكري في الوقت الحاضر أن يتصف لا بالمعرفة الفنية بطرق إدارة الصراع المسلح فحسب ، وإنما أيضاً بالفهم العميق لقوانين التطور

---

(١) الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفياتية (٥٣٤ ـ ٥٣٥) .

الاجتماعي والقوانين القياسية للحرب الحديثة ، والقدرة على قيـــادة القوات حسب هذه القوانين .. » [1] .

وجاء في كتاب : (نظام قتال المدرعات) : « تفرض القيادة على القائد واجبات جمة أهمها :

– المحافظه على الروح المعنوية العالية وعلى استعداد القوات الدائم للقتال.

– اتخاذ القرار تبعاً للموقف ، وإعطاء المهمات للقوات في الوقت المناسب.

– تنظيم تدابير أمن القوات وتنفيذه تعبوياً وفنياً .

– مراقبة تنفيذ الأوامر وتفقد أعمال القوات » [2] .

ويضيف كتاب : (نظام القتال للقوات المسلحة) : (الحزم في القيادة : ويتجلى في إخراج القرار المتخذ إلى حيّز الوجود وبعث الحياة فيه وتنفيذه من القادة المرؤوسين بدقة وبدون تردد . وعند ذاك فقط يمكن فرض القرار المتخذ على العدو والاحتفاظ بالمبادأة والحصول على النصر في المركة . غير أن الحزم في القيادة لا يعني تمسك القائد بالقرار المتخذ بشكل أعمى وعـدم السماح بأي تغيير كان ، بل يمكن أن تعدل القرارات المتخذة سابقاً والمهمات الموضوعة للقوات المرؤوسة سابقاً ، وذلك حسب الموقف الناتج أثناء مجرى الأعمال القتالية .

« ومرونة القيادة : تنحصر باستعداد جميع القادة لاتخاذ قرارت ووضع مهمات قتالية جديدة للقوات أثناء سير المعركة ، وذلك حال حدوث تبدل جوهري سريع في الموقف » [3] .

---

(١) الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفياتية (٥٣٥ ـ ٥٣٦) .

(٢) نظام قتال المدرعات (٢١) ، وهذا الكتاب من الكتب العسكرية الفنيـــة لتدريب القوات المسلحة في الاتحاد السوفياتي .

(٣) نظام قتال القوات المسلحة (٣١) ، وهذا الكتاب من الكتب العسكرية الفنية لتدريب القوات المسلحة السوفياتية .

ويضيف كتاب : (نظام قتال المشاة) : « القابلية على قيادة الوحدات المرؤوسة واستخدامها بشكل صحيح ، والمقدرة على تدريب الوحدات وإعدادها لتنفيذ المهمات المكلفة بها ورفع المهارة العملية باستمرار ، والإخلاص في تنفيذ المهمة باستخدام جميع الوسائط المتوفرة دون أن يثنيه عن عزمه تفوق العدو عليه بالقوى والوسائط ، ومعرفة أسلحة الوحدات ومعداتها واستخدامها بمهارة يكون القائد مثالاً في النشاط والشجاعة والتصميم لمرؤوسيه وكذلك في ضبط النفس وقوة التحمل والتنظيم خاصة في اللحظات الحرجة ، ومعرفته باستمرار حالة الوحدات واهتمامه بتأمين كل ما يلزم للمعركة في حينه ، والاهتمام بتقديم المساعدة للجرحى والمرضى ، والتنويه بأعمال المرؤوسين خاصة تلك التي تتصف بالشجاعة والذكاء والبداهة »[1] .

ومن الواضح أن كتاب : (الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية) قد ركز على الناحية السياسية وجعلها في المقام الاول بالنسبة للقيادة ، فهو كتاب (موجّه) أسوة بما يصدر في الاتحاد السوفياتي من مؤلفات .

أما الكتب الثلاثة الأخرى : نظام قتال المدرعات ، ونظام القتال للقوات المسلحة ، ونظام قتال المشاة ، فقد ركزت على الناحية العسكرية الفنية وجعلتها في المقام الأول بالنسبة للقيادة ، فهي كتب (موجِّهة) ، لأن هدفها التدريب العسكري الفني للقوات المسلحة السوفياتية وليس إشاعة الثقافة العسكرية العامة بين المدنيين .

وشتان بين الكتب (الموجِّهة) والكتب (الموجَّهة) .

---

(١) نظام قتال المشاة (٢٤) ، وهذا الكتاب من الكتب العسكرية الفنية لتدريب القوات المسلحة السوفياتية ايضا .

استخلاص صفات القائد

١ - تعمدت إيراد صفات القائد في التراث الاسلامي العربي وفي المصادر الأجنبية الحديثة، لمقارنة ما جاء في التراث العسكري التليد والفن العسكري الجديد .

وبعيداً عن الانفعالات العاطفية ، يستطيع الباحث أن يستنتج ان ما جاء في التراث العربي الاسلامي عن صفات القائد ، لا يقل دقة وشمولاً عما جاء عنها في المصادر الحديثة إن لم يكن أكثر دقة وشمولاً .

ومن المؤسف حقاً أن يستهين العرب والمسلمون بتراثهم العسكري العريق نتيجة للاستعمار الفكري البغيض .

إن التراث العربي الاسلامي في الناحية العسكرية يملأ مكتبات أوروبة ومتاحفها كما تزخر مكتبات المخطوطات في البلاد العربية بهذا التراث . وحسبنا أن نذكر فهرست ابن النديم الذي عدّد فيه : (الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك لجميع الأمم) ، لنرى أي تراث عسكري أصيل كان للعرب والمسلمين منذ أقدم العصور .

وإذا كان الزمن قد أبقى هذا العدد الضخم من المخطوطات العسكرية العربية ، فكم هو عدد المخطوطات التي عفى عليها الزمن ؟

ومن مقارنة ما جاء في (الفهرست) لابن النديم عن الكتب العسكرية العربية التي وصلت إليه او علم بها ، بالكتب العسكرية العربية المعروفة في الوقت الحاضر ، يتبين لنا بأن كثيراً من التراث العسكري العربي لا يزال مفقوداً [1] .

ولكن ما بقي من المخطوطات العسكرية العربية يدل على أن العرب قد

---

(١) انظر التفاصيل في الفهرست ـ ابن النديم ـ (٣٤١ ـ ٣١٥) بيروت ١٩٦٤ .

بلغوا شأواً بعيداً في العلوم العسكرية ، وأنهم لم يقتصروا على الفلسفة والعلوم العقلية والنقلية والشعر والأدب، بل كان لهم في العلوم العسكرية باع طويل.

والمؤلفات العسكرية العربية في دقتها وروعتها تعطي الجواب المقنع للسائلين : كيف بلغ العرب المسلمون ما بلغوا في إعداد قواتهم للحرب ؟ وكيف استطاعوا أن ينتصروا على أعدائهم قروناً طويلة في الحرب ؟

وللحقيقة أذكر أن ما جاء في كتاب : (السياسة الشرعية) للماوردي المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) عن صفات القائد ، هي أدق وأشمل مما جاء في كتاب (السبيل الى القيادة) للمشير مونتكومري الذي لا يزال على قيد الحياة في سنة (١٣٨٩ هـ) !!!

ولكن ، يا ليت قومي يعلمون .

٢ – والذين قرأوا تلك اللمحات المختصرة من : صفات القائد في المصادر السوفياتية ، يجدون أن هذه الصفات لا تختلف في روحها عن صفات القائد في المصادر الاجنبية الأخرى ، خلافاً لما يعتقده قسم من العسكريين والمدنيين بأن هناك بوناً شاسعاً بين صفات القائد في المعسكر الشرقي وبين تلك الصفات في المعسكر الغربي .

والواقع أن الاختلاف لا يعدو التعابير اللفظية فقط ، أما في الجوهر فلا اختلاف يذكر أو يستحق الذكر .

إن المعسكر الشرقي استناداً على المذهب الماركسي اللينيني ، يرى أن الشعب هو صانع النصر .

والواقع أن الشعب في كل أمة وليس في الكتلة الشرقية فقط هو صانع النصر ، ولكن للقائد تأثيراً عظيماً في إحراز النصر ، سواء صرح بذلك العسكريون الشرقيون أو لم يصرحوا بذلك .

وإلا فما هو سبب تبديل ستالين للقادة العسكريين في الحرب العالمية الثانية بصورة مستمرة إذا كان القادة لا أثر لهم في الجيش وفي إحراز النصر ؟

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد بعث خالد بن الوليد لفتح العراق من جنوبه ، وبعث عياض بن غنم لفتح العراق من وسطه [١] ، وأمرهما أن يستبقا الى (الحيرة) فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه [٢] .

وكان جنود خالد بن الوليد من الصحابة ، وكان جنود عياض بن غنم من الصحابة أيضاً ومعنى ذلك أن جنود القائدين متساوون في العقيدة والكفاية .

وسار عياض الى « دومة الجندل [٣] » ليخضع أهلها المتمردين ، ثم يسير منها شرقاً الى هدفه « الحيرة » ؛ ولكنه لم يستطع استعادة فتح « دومة الجندل » ، فكتب الى خالد بعد أن عجز عن فتحها يستمده ، وكان خالد حينذاك قد فرغ من فتح « عين التمر [٤] » بعد أن فتح جنوب العراق كله بما فيه « الحيرة » .

وعجل خالد بكتابة الى عياض : « من خالد ، إلى عياض . إياك أريد» .

« لبّث قليلا تأتك الحلائب [٥] يحملن آساداً عليها القاشب

كتائب تتبعها كتائب »

وخرج خالد على تعبية يسرع السير جهده ، فلما بلغ أهل «دومة الجندل»

---

(١) الطبري (٢/٥٥٣) وابن الاثير (٢/١٤٥) ، وكان ذلك سنة اثنتي عشرة الهجرية .

(٢) الطبري (٢/٥٥٤) .

(٣) دومة الجندل : حصن على سبع مراحل من دمشق ، تقع بين دمشق والمدينة المنورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٠٦) .

(٤) عين التمر : بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة بالقرب منها موضع يقال له : (شفاثا) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٥٣) .

(٥) الحلائب : جمع حلبة . والحلائب : خيل تجمع للسباق من كل اوب .

مسير خالد إليهم يهتوا . ثم اختلف زعماؤهم فيما يصنعون، وكان عليها رئيسان: أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة فقال أكيدر: «أنا أعلم الناس بخالد! لا أحد أيمن طائراً منه، ولا يرى قوم وجه خالد قلّوا أو كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم» ... فأبوا !!

ونزل خالد منطقة قريبة من «دومة الجندل»، فخرجت إليه بعض قوات الحصن، فهزمهم خالد بسرعة وأخذ الجودي أحد رؤساء «دومة الجندل» أخذاً .

وأطاف خالد بباب الحصن، فأمر به فاقتلع، ثم اقتحم الحصن وفتحه[1].

كيف بقي عياض مدة طويلة من الزمن عاجزاً عن فتح هذا الحصن، ولماذا استطاع خالد فتحه بسرعة خاطفة ؟

إن قيادة خالد غير قيادة عياض، وهذا دليل ملموس على أثر القائد الشخصي في إحراز النصر .

وهناك اختلاف ظاهري بين صفات القائد في المعسكر الغربي وصفاته في المعسكر الشرقي، هو أن من صفات القائد في المعسكر الأول: «العقيدة» او «التدين»، ولا ذكر لهذه الصفة في المعسكر الثاني .

إن المعسكر الاشتراكي استبدل عقيدة السماء بعقيدة الأرض، فإذا كان مونتكومري مثلاً يشدد على أهمية تمسك القائد بالدين، فإن فورشيلوف يشدد على تمسك القائد بالعقيدة الماركسية اللينينية .

على كل، فلا بد للقائد من التمسك بعقيدة، لأن القائد بدون عقيدة ما كالجسد بدون روح .

ومع ذلك فقد تساهل السوفيات مع العسكريين في الناحية الدينية أيام الحرب

---

(١) الطبري (٥٧٨/٢ - ٥٨٠) وابن الاثير (١٥٢/٢) .

العالميه الثانية ، بعد أن وجدوا أثر التدين في الصمود والقتال .

٣ - إن نتيجة هذه الدراسة هي :

(ا) ان (المبادىء) في صفات القائد واحدة في التراث الاسلامي العربي وفي المصادر الأجنبية الحديثة شرقية وغربية .

والفرق في (التفاصيل) وفي أسلوب العرض فقط .

(ب) يمكن إيجاز هذه الصفات استناداً إلى مـــا جاء في التراث العربي الاسلامي وفي المصادر الاجنبية الحديثة بما يأتي :

العقيدة – الشورى – الحصول على المعلومـــات – الحرص الشديد – الفطنة وبعد النظر – الشجاعة – القابلية البدنية – تحمل المسؤولية – معرفة مبادىء الحرب – القابلية السّوقية (الاستراتيجية) الحرب الانسانية – الثقة المتبادلة – المحبة المتبادلة – الشخصية النافذة – الماضي الناصع المجيـد .

وبالطبع لا تتوفر كل هذه الصفات في قائد واحد – كما قـــال نابليون – لأنها بجموعة من سير عدد عديد من القادة العظام .

وسنرى أن هذه الصفات كلها – على الرغم من قول نابليون – متوفرة في قيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه .

فهل توفرت كل هذه الصفات حقاً في قيادة خالد بن الوليد ؟

وما مدى توفرها فيه ؟

ولماذا كان خالد ولا يزال وسيبقى مثالاً حياً للقيادة الحية .

ولماذا حاز على إعجاب قادة الفكر العسكري الأجنبي قبل قـادة الفكر العسكري العربي به .

ولماذا تدرس أعماله في الكليات العسكرية – خاصة في ألمانيا – نمـاذج لتطبيق فن الحرب في الحروب السيارة به .

ولماذا قال مولتكة أعظم قادة الألمان في العصور الحديثة متفاخراً : « إن أستاذي في القيادة هو خالد بن الوليد ؟ » .

القائد

« وما ليلة يُهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب ،
أو أُبشَّر فيها بغلام ، أحب إليّ من ليلة
شديدة الجليد ، في سرية من المهاجرين ،
أُصبِّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد »

(خالد بن الوليد)



أثر قيادته

١ ــ في الجاهلية

انتصر المسلمون على المشركين في الصفحة الأولى من معركة « أحـــد » ، ولكن قيادة خالد لفرسان المشركين وانتباهه الشديد إلى حركات المسلمين جعله يشعر بانسحاب رماة المسلمين من مواضعهم؛ فانتهز هذه الفرصة السانحة، والتفّ بخيالته على صفوف المسلمين من الخلف في وقت لا يتوقعونه ، إذ كانت صفوفهم فيه مبعثرة لجمـــع الغنائم ؛ فأدى ذلك إلى هزيمة المسلمين وانتصار المشركين انتصاراً تعبوياً بفضل قيادة خالد .

وفي غزوة « الخندق » ، أدام خالد زخم الهجوم في يوم من أيام تلـــك الغزوة على المسلمين حتى حلول الظلام ، وكان هجومه هذا بدرجة من الشدة والخطورة بحيث أشغل النبي ﷺ وأصحابه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء !

وفي غزوة « الحُدَيْبِيَّة » أراد خالد أن ينشب القتــال ، وأراد أيضاً أن يباغت المسلمين أثنــــاء صلاتهم ، ولكن الرسول ﷺ فوّت عليه هذه الفرصة ، وذلك بالانحراف عن الطريق المؤديـة الى الاصطدام بخيالة خالد ، وبتشديد الحراسة وإقامة صلاة الخوف .

لقد ظهرت بوادر قيادة خالد الفذّة في تلك المعارك على الرغم من شبابـه

المبكّر – إذ كان عمره في غزوة « أحد » حوالي ثمان وعشرين سنة ، وكان عمره في غزوة «الخندق» حوالي ثلاثين سنة ، وكان عمره في غزوة «الحديبية» إحدى وثلاثين سنة [1] – : بادرة قيامه بالاستطلاع الشخصي وانتباهه الشديد لحركات عدوه وسكناته ، وذلك لمعرفة نقاط ضعفه وانتهاز الفرصة للقضاء عليه ، وبادرة تشبعه بروح « التعرّض » ومحاولة إدامة زخم الهجوم بشدة وعنف واستمرار ، وبادرة تشبّعه بروح « المباغتة » لضرب عدوه في وقت ومن مكان لا يتوقعها ، وبمعنى آخر ، ظهرت في قيادة خالد بادرتان مهمّتان : بادرة تشبعه بروح « المباغتة » ، وبادرة تشبعه بروح « التعرض » وهما مبدآن من أهم مبادىء الحرب .

فلماذا – إذاً – لم تؤثر قيادة خالد تأثيراً حاسماً في المسلمين ؟؟!

لقد اصطدمت قيادة خالد الفذّة وهو يقود رجالاً تنقصهم العقيدة الراسخة والضبط المتين ، بقيادة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وهو يقود رجالاً تغمر قلوبهم عقيدة راسخة ويشيع في نفوسهم ضبط متين ؛ أي أن خالداً بقيادته الممتازة وبجنود غير ممتازين اصطدم بقيادة ممتازة هي قيادة النبي ﷺ وبجنود ممتازين هم المسلمون ، لذلك أثرت قيادة خالد تأثيراً تعبوياً فقط في المسلمين ، بينما كان المتوقع لمثل قيادته النادرة أن تؤثر تأثيراً سوقياً فيهم فأيقن بفطرته العسكرية وبعقليته الراجحة ، بأن مكانه قائداً لامعاً ليس هنا بين صفوف المشركين ، بل هناك بين صفوف المسلمين ، فكان ذلك من أسباب إسلامه .

لقد فكر خالد وأدار في ذهنه، وتساءل: من أين لمحمد ذلك النصر المبين؟

---

(١) ولد خالد قبل الهجرة بخمس وعشرين سنة ، وقد وقعت غزوة (أحد) في السنة – الثالثة للهجرة ، وغزوة (الخندق) في السنة الخامسة للهجرة وغزوة (الحديبية) في السنة السادسة للهجرة . راجع الملحق (جـ) من كتاب الرسول القائد .

من أين تلك المهابة التي ترد عنه الأعين والأيدي من قريب ؟

من أين له ذلك العون الذي يدركه ، وقد أحاطت به الهزيمة من كل فج ، فإذا هو ناصل منها ، وإذا هو الطارد الظافر وقد خيّل إليهم أنه الطريـد المخذول ؟

ومن أين له وللمسلمين ذلـك الأدب وذلك الخشوع ؟ ومن أين للنبي بينهم ذلك السلطان الصادع والصوت المسموع ؟

لقد كان إسلام خالد ضرباً من التسليم [1] ، إذ وجد بالاضافة الى كل ذلـــك ، أن قتال المشركين للمسلمين ليس مصاولة بين رجال ورجال ، بل مبارزة بين إرادة البشر وإرادة الله !

٢ ــ مع النبي

وجد خالد بعد إسلامه مكانه الصحيح بين جنود المسلمين ، إذ كان لقاؤه بهم لقاء القائد الممتاز بالجنود الممتازين .

ولكن كفاية خالد العسكرية وحدها لم تكن كافية لتوليه منصب القيادة بعد إسلامه مباشرة على رجال عقيديّين من الطراز الأول، كما أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام كان لا يولي القيادة إلا لمن تتوفر فيه كفايـــة القيادة وكفاية العقيدة أيضاً ، وقد كانت مزايا قيادة خالد معروفة ، ولكنه تأخر في إسلامه عن السابقين الأولين من صحابة رسول الله ﷺ .

ابتدأ خالد بجهاده بين صفوف المسلمين جندياً بسيطاً في معركة « مؤتة »، ولكن ما كادت رحى هذه المعركة تدور على المسلمين ويستشهد قادتهم الثلاثة

---

(١) عبقرية خالد ــ للعقاد ــ ص (٤٨) طبعة دار الهلال .

بالتعاقب ، إلا وأمّر المسلمون عليهم خالداً ليقودهم إلى شاطىء السلامة في معركة انسحابية تعاني زخم قوات تتفوق فواقاً ساحقاً على قوات المسلمين 1 .

لقد ذهب خالد الى معركة « مؤتة » جندياً بسيطاً ، ولكنه عاد منها إلى المدينة قائداً منتخباً أمّره رجاله وأمرته كفايته ، ومن يومها أصبح قائداً من قـادة المسلمين ، قدّمته كفايتـه الممتازة ورسوخ عقيدته أيضا على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

وكان أحد أربعة قادة كانوا على رأس قوات المسلمين في غزوة فتح مكة ، ولكنه كان القائـــد الوحيد الذي لاقى مقاومة من قريش عند دخوله مكة المكرّمة ، وسرعان ما قضى على تلك المقاومة وألجأ دعاتها الى الفرار .

وكما قاتل خالد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام في يوم فتح مكة ، قاتل تحت لوائه أيضاً يوم حنين قائـــداً لمقدمة المسلمين ، تلك المقدمـــة التي لم تقم بواجبها يومذاك ، وكاد إهمالها أن يؤدي الى اندحار المسلمين .

لقد تولى خالد القيادة في أعقاب غزوة « مؤتة » تلك المعركة التي كان لقيادتـــه التي تولاها في أحرج الأوقات أثر عظيم في إنقاذ جيش المسلمين من الفناء ، فقاتل خالد بعد « مؤتة » قائداً مرؤوساً تارة وقائداً مستقلاً تارة ، وداعياً الى الله تارة أخرى .

وعلى الرغم من أن نجاحه في قيادته ودعوته للاسلام ، مما كان له نتائج باهرة ملموسة في توطيد أركان الدعوة الاسلاميـة وفي إعلاء كلمة الله ، وعلى الرغم من بروز سمات مزايا قيادته الأصيلة في عهد النبي ﷺ ، إلا أن قيادته في تلك الفترة لم تخل من هنات ، كان سببها تسرّع خالد في اتخـاذ قراراته وفي تنفيذها ، ذلـــك التسرّع الذي كاد يؤدي إلى نتائج خطرة للغاية لولا حكمـة وسداد قيادة الرسول القائد ، فقد كاد يؤدي اندفاع مقدمة المسلمين يوم « حنين » إلى وقوع المسلمين في تهلكة لولا ثبات الرسول ﷺ ومحاولتـه

المستحيل في سبيل صد تيار فرار المسلمين وفي سبيل محاولته إعادة تجميع قواتهم وإعادة الهجوم المقابل على المشركين بعد كل ذلك !! كما تسرع خالد في قتله بعض بني جذيمة ، فودى النبي ﷺ لهم الدماء وعوضهم عما أصيب لهم من الأموال – تداركاً لخطأ خالد في تسرعه هذا !

لقد نجح خالد في عهد النبي ﷺ قائداً وداعياً ، ولكن نجاحه هذا كانت تشوبه بعض الشوائب من جراء اندفاعه الشديد تلافاها الرسول ﷺ بشجاعته وحكمته ، تلك الشجاعة والحكمة التي بدّلت الاندحار يوم « حنين » إلى نصر ، وغيّرت من احتمال تفرّق الصفوف والقلوب في بني جذيمة خاصة إلى جمع الصفوف والقلوب في المسلمين عامة !

٢ – في حروب الردّة

وقفت المدينة المنورة ومكة المكرمة وجيرتها وحدها في وجه البادية العربية بأسرها، ومن وراء البادية دولتان كبيرتان هما الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومية تناصران البادية للقضاء على الدين الجديد .

لقد قام خالد وحده بأوفر قسط من حروب الردة ، فله في قتالهم الأثر المظيم [١] ، فقد قمع أخطر الفتن في الجزيرة العربية من أقصاها الى أقصاها : قمع فتنة بني أسد وحلفائهم ، وخطرها أنها كانت أقرب الفتن إلى المدينة ومكة . وقمع فتنة بني حنيفة ، وخطرها أنها كانت فتنة القبيلة الأقوى والعديد الأكثر بين العرب قاطبة ، فكان نصيب خالد من وقاية الاسلام في أرضه أوفى نصيب .

وعلى الرغم من نجاحه الباهر في حروب الردّة إلا أن قيادته في تلك

---

(١) اسد الغابة (٢/٩٤) .

الفترة أيضاً ، كانت لا تزال تعاني من تسرعه الشديد في الأمور ، ولعل من نتائج هذا التسرّع إقدامه على قتل مالك بن نويرة وأصحابه ، مما جعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه يتلافى ذلك ، فودى مالكاً من بيت المال ! ولعل من نتائج هذا التسرّع أيضاً إقدامه على الزواج من زوج مالك بعد معركة « البُطاح » ، ومن بنت مجاعة بعد معركة « اليمامة » ، مما جعل أبا بكر يعنفه تعنيفاً شديداً[1]، لأن العرب كانت تكره الزواج في ميادين القتال[2]؛ ولكن ما قيمة كل ذلك ، إذا قيس بما أسداه خالد في حروب الردة من خدمات للاسلام والمسلمين ؟؟

٤ ـ في العراق

أقام خالد في العراق سنة وشهرين فقط من المحرم سنة اثنتي عشرة الهجرية إلى صفر سنة ثلاث عشرة الهجرية ،قاتل خلالها القوات الفارسية وحلفاءها في خمس عشرة معركة ، لم ينهزم ولم يخطىء ولم يخفق قط في واحدة منها ، ذلك لأنه كان ينجز استحضارات القتال كافة قبل المعركة ولا يسير بجيشه إلا على تعبية كاملة ليقاتل عدوه حيث لقيه في شجاعة ويقظة وخبرة وسرعة واستعداد .

لقد خرج خالد وعياض بن غنم لفتح العراق من المجاهين مختلفين فسار خالد من نصر إلى نصر ، ولبث عياض يدور في حلقة مفرغة عند أول

---

(١) في الطبري (٥١٩/٢) : ان خالدا قال لمجاعة : « زوجني ابنتك » ، فقال له مجاعة : « مهلا ! انك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك » فقال خالد : « ايها الرجل زوجني ! » فزوجه ، فبلغ ذلك ابا بكر فكتب اليه كتاباً يقطر الدم منه : « لعمري يا ابن ام خالد ! انك لفارغ ، تنكح النساء وبفناء بيتك دم الف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد ».

(٢) الطبري (٥٠٣/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢) .

موضع معادٍ لاقى فيه مقاومة معادية – حتى أدركه خالد بالمعونة ، فقضى على مقاومة العدو بسرعة خاطفة ، وفتح دومة الجندل ؛ وهذا دليل على أثر خالد الشخصي في فتح العراق .

وعلى الرغم من انحسار مد الفتح الاسلامي بعد خالد عن أكثر أرض العراق ، إذ انسحب المثنى بن حارثة الشيباني تحت ضغط ضخامة تحشد القوات الفارسية إلى « ذي قار »[1] ، تاركاً ما فتحه المسلمون من أرض العراق[2] ، إلا أن نتائج فتوح خالد والمثنى في العراق بقيت ظاهرة للعيان .

من تلك النتائج ، رفع معنويات الجيش الاسلامي وثقته بأن في مقدوره التغلب على جيوش الفرس ، وكانوا من قبلُ يعتقدون أن مجرد التفكير في ذلك من المستحيلات .

وإذا كانت معنويات العرب المسلمين قد ارتفعت ، فإن معنويات عدوّهم في العراق قد هوت إلى الحضيض ، وبذلك أصبحت الأمة العربية المسلمة مهابة الجانب من الفرس وحلفائهم ، فقد كان الفرس في السابق يعتقدون أن العرب لا يحسنون غير حرب الغارات وحرب العصابات ، تحت عوامل اقتصادية بحتة ، وأنهم سرعان ما يعودون إلى باديتهم بعد الحصول على شيء من الغنائم والأسلاب ؛ ولكن الفرس بعد معارك المثنى وخالد تيقّنوا أن العرب جاءوا فاتحين لا غزاة ، وأنهم أصبحوا دولة عظمى في مصاف الدول العظمى في تلك الأيام .

هذه النتائج المعنوية أهم من النتائج المادية .

أما نتائج فتوح خالد المادية ، فهي حصول المسلمين على خبرة عملية في

---

(١) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٧) .
(٢) الطبري (٢/٦٥٩) .



التدريب على قتـــال القوات النظامية بأساليب متطوّرة وعدم بقائهم على أساليبهم البدوية القديمة في القتال ، كما كان للغنائم الكثيرة التي غنمها الجيش الاسلامي أثر في رفع مستوى المعيشة داخل الجزيرة العربية ويسّر المال لتدعيم الجيوش الاسلامية بالرجال والسلاح والعتاد .

إن معارك خالد والمثنى في العراق ، فتحت قلوب أهله على مصراعيهـــا للفتح الاسلامي ، بينا فتحت معركة «القادسية» الحاسمة أبواب العراق وقلوب أهله للفاتحين .

لقد كانت قيادة خالد في هذه الفترة قيادة عبقرية حقاً ، ومـــا أصدق عمرو بن العاص عندما قام في وصفها قائلاً عن خالد. « له أناة القطاة ووثوب الاسد [1] » : وقد كان لخالد وثوب الأسد من قبل ، فجمع في أيام فتح العراق أناة القطاة ووثوب الأسد ، وبذلك جمع مزيّتَيْن من أبرز مزايـا القيادة العبقرية .

٥ ـــ في أرض الشام

إذا كانت معارك خالد في العراق ، قد فتحت قلوب أهله فقط ؛ فقـد فتحت معارك خالد في أرض الشام وعلى رأسها معركة « اليرموك » الحاسمة ، قلوب أهل الشام وأبواب أرض الشام للمسلمين الفاتحين .

ولعـــلّ أثر خالد الشخصي في أرض الشام أكثر وضوحاً من أثره في العراق ، إذ أنه وصل الشام في أعقاب نكسة جيش خالد بن سعيـــد [2] ،

---

(١) اليعقوبي (١٠٨/٢) .

(٢) خالد بن سعيد بن العاص بن امية القرشي الاموي : اسلم قديما ، يقال انه أسلم بعد ابي بكر ، فعلم ابوه باسلامه فارسل في طلبه ، فلما اتوا به سبه ابوه وبكتـــه ←

ومضايقة المسلمين في اليرموك بعدد الروم الزاخر [1] ، فلما وصل خالد من العراق الى اليرموك فرح المسلمون بقدمه[2]، وتغلبوا على قوات الروم المتفوقة على قواتهم تفوقاً ساحقاً بالعَدد والعُدَد .

إن نتائج فتوح خالد في أرض الشام لا تزال باقية حتى اليوم؛ وبالإضافة إلى ذلك ، فقد ترك خالد في أرض الشام آثاراً مشابهة لما تركه في العراق : رفعُ معنويات العرب المسلمين وسحق معنويات الروم ، وتدريب جيوش المسلمين على فنون القتال ضد جيوش نظامية كثيفة ، ورفع المستوى المعاشي للعرب المسلمين داخل الجزيرة العربية من جراء الغنائم التي حصلوا عليها ، وتلك آثار كافية لتخليد عدد كبير من القادة ، فكيف وهي من صنع رجل واحد هو خالد بن الوليد ؟

لقد بلغت قيادة خالد في أرض الشام حد الروعة والذروة ، فكان خالد هناك بحق : قائد القادة ومطمح الانظار ومعقد الآمال سواء كان قائداً عاماً أو قائداً مرؤوساً أو جندياً بسيطاً أو قابعاً في داره بين عشيرته وأهله .

←

وضربه بعصا في يده حتى كسرها على راسه وطرده من بيته ومنعه القوت ومنع اخوته من كلامه ، فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يلزمه ويعيش معه . هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر مع جعفر بن ابي طالب . وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وفتح مكة وحنينا والطائف وتبوك ، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم عاملا على صدقات اليمن وقيل على صدقات مذحج وصنعاء ، وتاخر خالد عن بيعة ابي بكر وقال لبني هاشم : « انكم لطوال الشجر طيبو الثمر ، ونحن تبع لكم » . فلما بايع بنو هاشم ابا بكر بايعه خالد ايضا . استعمله ابو بكر على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم الى أرض الشام فقتل بمرج الصفر في خلافة ابي بكر ، وقيل بل كان قتله في واقعة (اجنادين) بالشام قبل وفاة ابي بكر باربع وعشرين ليلة. راجع طبقات ابن سعد (٤/٩٤) والاصابة (٢/٩١) واسد الغابة (٢/٨٣) والاستيعاب (٢/٤٢٠) وانظر قصة اندحار جيشه امام الروم في الطبري (٢/٥٧٥) وابن الاثير (٢/١٥٤) .

(١) الطبري (٢/٥٥٢) .

(٢) الطبري (٢/٥٩١) .



ذلك هو مقام الذروة الذي بلغه خالد بجدّه وجهاده .. المقام الذي أصبح فيه فوق المناصب والرتب وفوق الأهواء والنزعات .. لقد أصبح أمـــة في رجل ، لأنه أصبح يحمل مجد أمة وبطولة جيل !

لقد أصبح لا يمثل نفسه فحسب ، بل يمثل مجداً وفكرة : مجد عبقرية العرب في القيادة ، وفكرة الفتح الاسلامي ، وما أعظم وأروع عبقريـــة القيادة العربيـة في الحروب ، وما أشرف وأنصع فكرة الفتح الاسلامي في التاريخ !!

مزاياه العسكرية

١ ــ عسكري ممتاز

كان خالد يهوى مهنة الجندية ويفضلهـــا على كل مهنة أخرى ، وكان عسكريـاً بالفطرة من أخمص قدمه إلى قمة رأسه ، وما أصدقه حين وصف هواه بالجندية بقوله : « ما ليلة يُهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب ، أو أبشر فيهـا بغلام ، أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد [١] » .

لقد نصّ خالد بكلمته هذه على : سرية من المهاجرين ، ذلك لأنهم كانوا أقـــدم المسلمين إسلاماً فهم أرسخ المسلمين عقيدة وأشدهم ضبطاً وطاعة ؛ لذلك آثرهم خالد بالذكر على غيرهم ؛ فهو يصف بقولته هذه هواه العميق بالجندية من ناحية ، ورغبته الملحّة في قيادة جنود ذوي عقيـــدة راسخة من ناحية أخرى ، إذ أن القائـــد الممتاز بدون جنود ممتازين مضيعة للجهود في أكثر الأحيان .

لقد كان خالد عسكريـــاً ممتازاً بكل معنى الكلمة ، وهب للعسكرية كل حياته وأعز ما يملك من روح ومال وجهد ووقت ، لذلك أصبح جندياً ممتازاً وقائداً ممتازاً في وقت واحد ، فحقـّق بطبعه الموهوب الذي فطره الله عليه ،

---

(١) الاصابة (٢/٩٩) .

وبعلمه المكتسب وخبرته الطويلة في حياته ، إنجازات عسكرية ، كانت ولا تزال وستبقى في أوج الأمثلة الرائعة الخالدة لما يمكن أن يحققه أعاظم قادة التاريخ في كل زمان ومكان .

وقد يكرّس العسكري كل حياته لخدمة واجبه العسكري بكل أمانة وإخلاص فيحصل على معلومات ثمينة وخبرة طويلة ، ولكنه لن يكون عسكرياً ممتازاً إلا إذا خلق بطبيعته يهوى الأعمال العسكرية ويندمج بمتطلباتها كلياً بشوق ولهفة .

لقد جمع خالد الطبع الموهوب والعلم المكتسب ، فجمع بذلك كل عوامل تكوين العسكري الممتاز ، فما هي مزاياه جندياً ممتازاً وقائداً ممتازاً ؟؟

٢ - مزايا الجندي الممتاز

مزايا الجندي الممتاز :

تتلخص مزايا الجندي الممتاز بما يلي :

عقيدة راسخة - ضبط متين - عقلية متزنه - شجاعة شخصية - تدريب جيّد - قابلية بدنية - معنويات عالية [1] .

فهل يتحلى خالد بهذه المزايا المعنوية والمادية للجندي الممتاز ؟؟

---

(١) راجع المجلد الرابع - التعبية : فوج المشاة في المعركة ص (٢١) طبعة الجيش العراقي سنة ١٩٥٥ - وهو كتاب رسمي خاص بالجيش .

٣ ـ تفصيل مزايا الجندي الممتاز

(أ) عقيدة راسخة :

وجد خالد قومه يعبدون الأوثان في الجاهلية فاقتدى بآثارهم في عبادتها، فلما بعث الله رسوله هادياً ومبشراً ونذيراً ، قاتله خالد دفاعاً عن قومه قريش وعن عقائدها ، ولكنه أعلن إسلامه بعد أن ظهر له الحق واضحاً جلياً ، فكان إسلامه ضرباً من التسليم : تسليم القائد في معركة نفسية بدأت منذ غزوة الحديبية ، يوم أراد أن يغير على المسلمين ، وقد وصف خالد ذلك، فقال : « هممنا أن نُغير عليه ، ثم لم يُعزم لنا ، وكان فيه خيره - يقصد الرسول ﷺ - فاطّلع على ما في أنفسنا من الهجوم به ، فصلى بأصحابه صلاة الخوف ، فوقع في ذلك مني موقعاً ، وقلت : الرجل ممنوع »[١] ، وانتهت هذه المعركة النفسية بتسليمه نهائياً يوم أعلن إسلامه .

وبعثه الرسول ﷺ بعد ذلك غازياً وهادياً ؛ وعلى الرغم من أهمية توليه قيادة المسلمين في عهد النبي ﷺ في إثبات رسوخ عقيدته، إلا أن إثبات ذلك يبدو أكثر وضوحاً في توليته هدم (العُزى) و(وُد) وإرساله داعياً إلى بعض قبائل اليمن ؛ إذ لا يمكن أن يقوم بمثل هذه الواجبات غير ذوي العقائد الراسخة .

وعند فتح (الحيرة) وجد خالد عند أحد قادتها ، وهو عمرو بن عبد المسيح سماً ناقعاً، فلمّا سأله خالد عنه، أجابه عمرو: «خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت ، وقد أتيت على أجلي ، والموت أحب إليّ من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي » . فقال خالد : « إنها لن تموت نفس حتى

---

(١) السيرة الحلبية (٣/ ١٤) .

تأتي على أجلها ، ثم قال : « بسم الله خير الأسماء ، رب الأرض ورب السماء الذي ليس يضرُّ مع اسمه داء ، الرحمن الرحيم » ، ثم ابتلع السم ، فقال عمرو : « والله يا معشر العرب ! لتملكنّ ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن [1] » .

ولما قال بنو تميم وعلى رأسهم عاصم بن عمرو التميمي والأقرع بن حابس التميمي بعد انتصار خالد في دومة الجندل - عن أسارى بني كلب : « قد أمّناهم » قال لهم خالد : « مالي ولكم ! أتحفظون أمر الجاهلية وتضيّعون أمر الاسلام [2] ! » ، فهو لا يكترث بحليف أو قريب أو نسيب إلى جانب سلامة وأمن تعاليم الدين الحنيف .

ولما تردّد رجاله خوفاً من عبور الصحراء من طريق صعب غير مطروق ، قال لهم : « إن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له [3] » ، فهو يثق بالله ثقة لا حدود لها ويؤمن به إيماناً راسخاً .

وكانت ثقته بنصر الله ثقة لا حدود لها أيضاً ، وهو الذي قال لأهل (قنسرين) : إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم أو لأنزلكم الله الينا[4]».

وفي يوم اليرموك فقد خالد قلنسوته ، فقال: «اطلبوها» فلم يجدوها ، فلم يزل حتى وجدوها ، فإذا هي خلقة ، فسئل عن ذلك ، فقال: « اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه ،فابتدر الناس شعره،فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا تبيّن لي النصر » ، وقال في آخره : « فما وُجّهت في وجه إلا فتح لي [5] » .

---

(1) الطبري (٢/٥٦٧) .

(2) الطبري (٢/٥٧٩) وابن الاثير (٢/١٥٢) .

(3) الطبري (٢/٦٠٣) وابن الاثير (٢/١٥٦) .

(4) الطبري (٣/٩٨)

(5) الاصابة (٢/٩٩) .

ذلك مبلغ عقيدته بالله وبرسوله ، تلك العقيدة الراسخة التي دفعته أن يطلب الموت في مظانه فلم يقدّر له [1] ، وبذل ماله في سبيل الله ، فمات فقيراً معدماً وحبس فرسه وسلاحه في سبيل الله [2] .

لقد جاهد خالد بنفسه وماله في سبيل الله .

(ب) ضبط متين :

كان خالد يتمتع بضبط مثـالي متين لا يزال مضرب الأمثال حتى اليوم ، فقد رأيت كيف نزع بـلال الحبشي عمامة خالد فلم يمنعه سمعاً وطاعة ، ثم أقامه وعقله بعمامته - كل ذلك جرى وخالد في اوج مجده وانتصاراته ! ثم رأيت كيف عزله عمر بن الخطاب دون أن يترك هـذا العزل في نفسه أثراً سيئاً ، بل استمر في الجهاد - لا فرق عنده أن يكون قائداً عاماً أو قائداً مرؤوساً أو رجلاً من المسلمين [3] .

ولما قاسمه أبو عبيدة بن الجراح بأمر عمر بن الخطاب أمواله قال خالد : « ما أنا بالذي يعصي أمير المؤمنين » [4] ... ! وهـذا ضبط مثالي يندر وجوده حتى في نفوس رجال أعرق الجيوش في العالم قديماً وحديثاً .

أمـا إقدام خالد على مخالفة أوامر الخليفة في بعض الأحيان ، فذلك لا يعني الإخلال بالضبط بل يعني تحمل المسؤولية الكاملة ضمن نطاق إمكان مخالفة الاوامر في بعض الظروف عندما لا يكون المرجع الذي أصدر الأمر حاضراً .

إن الاخلال بالضبط سبّة على الجندي ، وتحمّل المسؤولية مفخرة له ، ولا

---

(١) الاصابة (٢/١٠٠) .
(٢) اسد الغابة (٢/٩٦) والاصابة (٢/١٠٠) .
(٣) ابن الاثير (٢/٢٠٧) .
(٤) الطبري (٢/٦٢٥) .

تزال تعاليم الجيوش حتى اليوم تنص بصراحة على إمكان مخالفة الاوامر– مع تحمل نتائج المخالفة – في حالة وجود القائد الذي أصدر الامر بعيداً ، بحيث لا يمكن مشاورته لتبديـــل أوامره وعند الاقتناع من أنه لو كان حاضراً لخالفها هو بنفسه رضوخاً للموقف الراهن الذي لم يطلّع على تفاصيله ، وقد أوضح ذلك خالد للأنصار عند معارضتهم لمسيره الى مالك بن نويرة بعد فراغه في أمر طليحة فقال لهم : « أنا الامير وإليّ تنتهي الاخبار ! ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصة ، فكنت إن أعلمتـــه فاتتني ، لم أعلمه حتى أنتهزها . وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد الينا فيه ، لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ، ثم نعمل به [1] » .

إن مـا ذكره خالد بصدد مخالفة الاوامر عند الضرورة ، يطابق أحدث تعاليم الجيوش الحديثة حول ذلك

(جـ) عقلية متزنة :

كان خالد معروفاً بين قريش بعقليته المتزنة ، لذلـك صارت اليه الأعنة والقبّة من بين كل رجال بني مخزوم في الجاهلية على الرغم من شبابه المبكر حين تولى هذين المنصبين الخطيرين .

وقد شهد له النبي ﷺ بالعقل الراجح ، فقال عنه : « قـــد كنت أرى لـــك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير [2] » ، وقال عنه : « مـا مثل خالد من جهل الاسلام [3] » ، وحسبه شهادة رسول الله ﷺ برجاحة عقـــله .

والذي يدرس رسائله الى قادة الفرس والروم ، ومناقشاته المنطقية لهم ،

---

(١) الطبري (٥٠١/٢) وابن الاثير (١٣٦/٢) .
(٢) طبقات ابن سعد (٢٥٢/٤) و (٣٩٤/٧) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣٩٤/٧) .

وأوامره التي أصدرها لرجاله وأعماله الحربيـــة والسلمية وتصرفاته ، يلمس بوضوح عقلية خالد المبدعة الخلاقة، ويكفي أن نعرف إنجازاته الخالدة لنطمئن إلى أن مثلها أو قسماً قليلاً منها ، لا يمكن تحقيقه إلا بتفكير متزن جبار .

(د) شجاعة شخصية :

لعلّ الحديث عن شجاعـة خالد يعتبر حديثاً معاداً لا لزوم له ، ويكفي أن نتذكر أنه كان دائماً في الأمـام أثناء القتال قريباً من مواطن الخطر : في مسير الاقتراب كثيراً ما يقود المقدّمة ، وفي الهجوم يبادر إلى المبارزة وإلى مهاجمة قائد العدو والقضاء عليه ، وفي الانسحاب يقود المؤخرة ثم يبقى مـع الساقة ، ثم لا ينسحب إلا بعد انسحاب رجال الساقة وبعد أن يتأكد من أن جيشه كلّه أصبح بأمان .

وكمثال فقط ، فإنه بارز يوم (الولجة) رجلاً من أهل فارس يعدل ألف رجل فقتله ! فلما فرغ منه اتكأ عليه ودعا بغذائه [١] .

إن آثار شجاعة خالد الشخصية ، ملموسة بوضوح في كل معاركه التي خاضها ، وملموسة أيضاً في بدنه الذي ليس فيه موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية [٢] .

لقـــد كان خالد مثالاً شخصياً رائعاً في الشجاعة والإقدام لرجاله في كل معاركه ، لذلك كان رجاله الذين يقاتلون تحت رايته يحتذون حـــذوه ، فيصنع ويصنعون في ميدان القتال خوارق معجزات في ميدان الشجاعة والإقـــدام .

(هـ) تدريب جيد :

أتاح لخالد ثراء والده العريض ونشأته في بيت له القبّة والأعنة ، أن

---

(١) الطبري (٢/٥٦٠) .

(٢) اسد الغابة (٢/٩٥) .

يتفرغ منذ نعومة أظفاره للتدريب على مختلف الأسلحة وعلى الفروسية لا لكي يجيد استعمالها فحسب ، بل لكي يبزّ أقرانه في تدريبه عليها .

ولم تكن الشجاعة وحدها – خاصة في قتال المبارزة – كافية لقهر الخصم، بل أن الشجاعة الشخصية والتدريب الجيد على استعمال السيف والرمح والرمي بالنبال والمهارة في امتطاء الخيل ، هما العنصران الأساسيان للنصر .

إن المهارة في استخدام الأسلحة هي نتيجة حتمية للتدريب الجيد عليها ، وهذا يجعلك تقتل عدوك قبل أن يقتلك ، وكانت هذه القاعدة صحيحة في الحرب القديمة ولا تزال صحيحة حتى اليوم .

لقد كان خالد قائد فرسان قريش في الجاهلية ، ومعنى ذلك أنه كان من أبرز فرسانها شجاعة وتدريباً ، لأن الوراثة وحدها على اعتبار انه مخزومي غير كافية لتولي هذا المنصب الخطير ، خاصة وأن بني مخزوم كثيرون ، مع أن فرسان قريش كانوا في طليعة فرسان العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام أيضاً . وكان تدريب خالد على استعمال السيف والرمح ورمي النبال مضرب الأمثال بين رجال قريش في الجاهلية ، فأصبح مضرب الأمثال بين العرب كلهم بعد الإسلام .

ولكنّ التدريب على الأسلحة وعلى الفروسية ، لا تكفي للجندي الممتاز ، بل يحتاج إلى التدريب على تحمل أقسى الظروف المعاشية، فيأكل عند الحاجة أخشن الطعام ، ويلبس أخشن اللباس، ويصوم عن الطعام عند عدم تيسّره، ويصبر على الجوع والعطش ، ويكتفي بالمتيسّر من الطعام والشراب . كما يحتاج إلى التدريب على تحمل أقسى الظروف الجوية ، فينام في العراء يفترش الثرى صابراً على البرد والجليد والمطر شتاءً وعلى الحر الشديد صيفاً . إلى غير ذلك من صنوف التدريب العنيف .

لقد كان خالد غنياً – بل من الأغنياء المعدودين في قريش ، وكان بإمكانه

أن يعيش مترفاً في بحبوحة من العيش الرغيد ، ولكن روحه العسكرية أبت عليه إلا أن يتناول كل طعام يقدم إليه حتى في أوقات السلم وفي المدينة المنورة بين أهله وماله ، فقد ذكر خالد « أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة أم المؤمنين [١] ، فأتي بضَبٍّ [٢] محنوذ [٣] ، فأهوى إليه رسول الله ﷺ يريد أن يأكل منه ، فقالوا : يا رسول الله ، هو ضب ! فرفع رسول الله ﷺ يده ، فقلت : أحرام هو ؟ قال : لا ، ولكنه لم يكن بأرض قومي ، فأجدني أعافه ! قال خالد : فاحترزته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر [٤] » .

وقد اجتاز الصحراء بين العراق وأرض الشام من أصعب مسالكها وأشدها خطراً ، متحملاً الجهد والعطش ؛ وتحمّل التقلبات الجوية في الصحراء في العراق والشام في مختلف ظروف السنة وفي مختلف ظروف القتال... كل ذلك يدل على أنه كان مدرباً تدريباً ممتازاً ليس على استعمال السلاح وركوب الخيل ، بل على شظف العيش وقسوة الجو في مختلف الظروف والأحوال .

(و) قابليته البدنية :

ترتكز القابلية البدنية على عوامل أساسية كثيرة ، أهمها : طبيعة بنية المرء - هل ولد قوي البنية أم ضعيفها - وعلى تدريبه الرياضي ، وعلى عدم إصابته بأمراض مقعدة في حياته ، وعلى عمره شاباً أم كهلاً أم شيخاً

---

(١) ميمونة بنت الحارث الهلالية : زوج النبي صلى الله عليه وسلم وخالة خالدبن الوليد ، لانها اخت لبابة الصغرى بنت الحارث ام خالد . فيها نزل قوله تعالى : « وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي » ، راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (١٢٢/٨) والاصابة (١٩١/٨) والاستيعاب (١٩٤١/٤) .

(٢) الضب : حيوان من جنس الزواحف من رتبة العظاء ، غليظ الجسم خشنه ، له ذنب عريض حرش اعقد ، يكثر في اقطار البلاد العربية ، يشبه الورل ، وهو قبيح المنظر و الشكل صغير الرأس قصير العنق ، اسمه العلمي : (Uromastix) يقتات على العشب غالبا ، ويحرص العرب البدو على صيده واكله .

(٣) محنوذ : مشوي بدسه بالنار أو في حجارة محماة بالنار .

(٤) أسد الغابة (٩٥/٢) .

لقد ولد خالد متكامل الخلقة قوياً، فقد عرفنا من أوصافه البدنية، أنه كان طويلا ضخماً بعيد ما بين المنكبين واسع الهيكل ، وكل هذه الأوصاف تدل على متانة بنية بدنه .

وقد عرفنا أيضاً ، أنه كان متفرغاً للتدريب ، مما يقوي قابليته البدنية على تحمل المشاق العسكرية ؛ كما أننا لا نعرف أنه أصيب بأمراض تقعده عن العمل أو تضعف قابليته البدنية ؛ وكان في ريعان شبابه حين تولى قيادة فرسان المشركين في الجاهلية ، وفي شبابه حين تولى قيادة المسلمين في ايام النبي ﷺ وعهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ؛ ولما مات كان في أوج قوته ، إذا كان له من العمر بضع وأربعون سنة كما اسلفنا .

كل ذلك يدل بوضوح على تمتع خالد بقسط وافر من القابلية البدنية في كل حياته العسكرية ، مما جعله قوياً جداً بحيث يحتضن خصمه عند البراز فيقضي عليه [1] ، ويغلب من يخرج لمبارزته من الأبطال [2] ، ويتحمل المشاق العسكرية بسهولة ويسر ، وكمثال على تحمله المشاق العسكرية ، قطعه الطريق من (الفراض) إلى مكة المكرمة للحج : (فسار طريقاً من طرق أهل الجزيرة ، لم يُر طريق أعجب منه ولا أشد على صعوبته منه ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة ، فما توافى إلى الحيرة آخرهم ، حتى وافاهم مع صاحب الساقة [3] .

طريق صعبة في الصحراء قطعها بسرعة خاطفة ... ذلك دليل قاطع على قابليته البدنية الفائقة التي أعانته على تحمل المشاق العسكرية .

(ز) معنويات عالية :

كان خالد كتلة ضخمة من المعنويات العالية ، لا يحل في مكان إلا رفع

---

(١) الطبري (٢/٥٧٧) و (٢/٥٥٦) وابن الاثير (٢/١٤٨) و (٢/١٥١) .
(٢) الطبري (٢/٥٦١) وابن الاثير / ٢/١٤٩).
(٣) الطبري (٢/٥٥٤).

معنويات رجاله وحطّم معنويات خصومه .

ولا يتمتع المرء بالمعنويات العالية جزافاً ، بل هناك عوامل كثيرة لتمتّعه بهـا ، من هذه العوامل : العقيدة الراسخة ، والضبط المتين ، والشجاعة الشخصية ، والقابلية البدنية والتدريب الجيد ، والماضي المجيد .

وقد رأيت أن خالداً يتمتّع بكل هذه المقومات ، أما ماضيه المجيـد فحدّث عن البحر ولا حرج .

فليس غريباً - إذاً - أن يكون خالد كتلة ضخمة من المعنويات العالية كما أسلفنا ، ولكن الغريب ألاّ يكون كذلك .

أطلق الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام على خالد لقب : سيف الله ، ولما انهارت معنويات المسلمين بعد هزيمة عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة في اليمامة ، بعث أبو بكر خالداً إليها ، فانتصر .

وفي العراق كتب خالد إلى هرمز قائـد الفرس قبل أن يخوض المعركة الأولى : « أما بعـد : فاسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية ، وإلا فلا تلومنّ إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبّون الموت كـما تحبّون الحياة »[1] .

وكتب خالد إلى عياض بن غنم بعد أن مكث طويلاً في دومة الجندل دون جدوى : « اياك أريد[2] » ، فلما بلغ أهل دومة الجندل دنوّ خالد اختلفوا فقال أكيدر بن عبـد الملك أبرز رؤساء دومة : « أنا أعلم الناس بخالد ! لا أحد أيمن طائراً منه ولا أحدّ في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلّوا أو كثروا الا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القوم[3] .

---

(١) الطبري (٢/٥٥٤) .
(٢) الطبري (٢/٥٧٨) .
(٣) الطبري (٥٧٨) .

ولما تردى موقف المسلمين في الشام، هتف أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أعماق قلبه: «خالد لها [1]»، فأنسى الروم بخالد وساوس الشيطان[2]، ففرح المسلمون بقدومه [3] واطمأنوا.

وفي ابتداء معركة اليرموك، خرج (جورجة) أحد قادة الروم، ونادى: «ليخرج خالد»، فخرج اليه خالد، فسأله جورجة: «هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء، فأعطاكه، فلا تسله على قوم الا هزمتهم [4]».

وفي اليرموك بالذات هتف أحد المسلمين: «ما أكثر الروم وأقل المسلمين!!»، فأجابه خالد فوراً: «ما أقل الروم وأكثر المسلمين! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان [5]».

لقد كان خالد يعتمد على إثارة نوازع الإيمان في نفوس رجاله، فيتعهد جيشه بالعظات وبقراءة سورة الجهاد قبل القتال وفي أثنائه وبعده، ويعين مسؤولا عن قراءة سورة الجهاد عند اللقاء، كما فعل في (اليرموك) مثلا [6].

وكان من جملة الأسباب التي سوغ بها عمر عزل خالد: أن الناس قد فتنوا به [7].

إن خالد بن الوليد، مثل رائع للمعنويات العالية: ينصر بها المسلمين ويخذل بها أعداءه ... فقد اجتازت شهرته الحدود، وأصبح معروفاً عنه أنه لا يغلب أبداً، وبذلك انتصر على أعدائه بالرعب من مسيرة شهر، بل من مسيرة أشهر في تلك الأيام.

---

(١) الطبري (٢/٥٩١).
(٢) الطبري (٢/٦٠٢)
(٣) الطبري (٢/٥٩١).
(٤) الطبري (٢/٥٩٥).
(٥) الطبري (٢/٥٩٤).
(٦) الطبري (٢/٥٩٤) وابن الاثير (٢/١٥٨).
(٧) ابن الاثير (٢/٢٠٧).

٤ ـ مزايا القائد الممتاز

مجمل مزايا القائد الممتاز :

تتلخص مزايا القائد الممتاز بما يلي :

عقيدة راسخة ـ ضبط متين ـ عقلية متزنة ـ شجاعة شخصية ـ تدريب جيد ـ قابلية بدنية ـ معنويات عالية .

وبالإضافة إلى هذه المزايا التي سبق ذكرها في مزايا الجندي الممتاز ، لابد أن تتوفر في القائد الممتاز المزايا الأخرى التالية :

إعطاء القرارات السريعة الصحيحة ـ الإرادة القوية الثابتة ـ تحمل المسؤولية بلا تردد ـ نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والإندحار ـ سبق النظر ـ معرفة نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ـ ثقة قطعاته به وثقته بقطعاته ـ المحبة المتبادلة بينة وبين قواته ـ شخصية قوية نافذة ـ ماض ناصع مجيد ـ معرفة بمبادىء الحرب [1] .

فهل يتحلى خالد بمزايا القائد الممتاز بالإضافة الى مزايا الجندي[2] الممتاز؟.

٥ ـ تفصيل المزايا

(أ) قرار سريع صحيح :

لا بد للقائد من إعطاء قرارات سريعة صحيحة في آن واحد ، يعالج بها المواقف الطارئة المتبدلة بسرعة في الحرب ، إذا أن القرارات البطيئة قد

---

(١) مقتبسة من الكتب العسكرية الرسمية ومن محاضرات كلية الاركان ومدرسة الاقدمين في انكلترا .

(٢) انظر التفاصيل في هذا الكتاب (١٦٧ - ١٨٩) .

لا تكون ذات فائدة، لأن وقتها يكون قد فات، كما أن القرارات الخاطئة تضر ولا تفيد، أي أنها تكون في مصلحة العدو.

إن القرارات السريعة الصحيحة تستند على عاملين مهمين: القابلية العقلية للقائد، والحصول على المعلومات عن العدو وعن أرض المعركة.

لقد مر بنا ذكر مزية خالد العقلية، فعرفنا أنه يتمتع بعقلية متزنة خلاقة. أما الحصول على المعلومات، فقد كان خالد حريصاً غاية الحرص على استطلاع حالة العدو المادية والمعنوية، فكان لا تخفى عليه خافية من حركاته وسكناته، لأنه كان دائماً بتماس شديد بالعدو لوجوده دائماً أمام رجاله، ولأنه كان (لا ينام ولا ينيم ولا يبيت إلا على تعبية ولا يخفى عليه من أمر عدوه شيء) [1].

لقد كان يحصل على المعلومات عن عدوه بدوريات القتال ودوريات الاستطلاع وبالعيون وباستنطاق الأسرى وبالاستطلاع الشخصي، وباستشارة ذوي الرأي والخبرة من رجاله ورجال عدوه الذين يقعون في قبضته، وكانت كل معاركه مثالاً يحتذى به في الحصول على المعلومات، وحسبنا أن نتذكر، كيف عرف أن المدافعين عن أسوار دمشق قد تركوا مواضعهم، فانتهز هذه الفرصة السانحة وقرر مهاجمتهم فوراً، ففتح هذه المدينة بعد حصار طويل.

لقد كان خالد منتبهاً كل الانتباه لكل حركة من حركات عدوه، ولم يتهاون لحظة واحدة عن جميع المعلومات؛ كما أنه كان غير متردد، يتحمل المسئولية ولا ينتظر وصول الأوامر إليه بما يؤدي إلى ضياع الوقت عبثاً؛ فلا عجب إذا كانت قراراته صحيحة سريعة جازمة حاسمة، وكانت نتائجها باهرة جداً.

---

(١) الطبري (٢/٦٢٦) وابن الاثير (٢/١٦٤).

(ب) ارادة قوية ثابتة :

كان لخالد ارادة فولاذية لا تزعزعها الخطوب والأحداث .

لقد كان إقدامه على محاربة جيوش الامبراطورية الفارسية بحد ذاتـــه مجازفة خارقة تدل على إراداته القوية الثابتة ، وحسبنا أن نتذكر أن عدد رجاله في أول معركة خاضهـــا ضد الفرس وهي معركة (ذات السلاسل) في منطقه البصرة ثمـــانية عشر ألفاً فقط [1] ، يقاتلون أضعاف أضعافهم من الفرس .

وفي اليرموك كان عدد قوات المسلمين ستة وأربعين ألفاً [2] ، بينما كان الروم في مائتين وأربعين ألف مقاتل [3]

لقد كان التفوق العددي وفي التسليح وفي تيسر القضايا الإدارية دائمـاً إلى جانب الفرس في العراق والى جانب الروم في أرض الشام ، وكان هـــذا التفوق فواقاً ساحقاً في كل معركة خاضها خالد ، ومع ذلك انتصر خالد ، وكان لإرادته القوية الثابتة أثر بالغ في انتصاراته الباهرة .

لقد كان يفكر و يقدّر الموقف ويقرر خطة مناسبة، ثم ينفذ خطته بعـد أن يقتنع بصحتها دون أن يلتفت إلى الوراء .

لقد كان من أولئك القادة الذين يصممون أولاً ، وينفذون ثانياً ، مـــا صمموه من خطط مبنية على أسس سليمة استطلاعاً وتفكيراً وتقديراً وإرادة على التنفيذ.

---

(١) الطبري (٢/٥٥٤) وابن الاثير (٢/١٤٧) .

(٢) الطبري (٢/٥٩٢) وابن الاثير (٢/١٥٧) وهذا العدد هو اعلى تقديـــر لعدد قوات المسلمين .

(٣)ابن الاثير (٢/١٥٧) ، وقد يكون في ذلك بعض المبالغة ، ولكن من المؤكد ان الروم وحلفاءهم من العرب غير المسلمين (الغساسنة) كانوا اضعاف عدد المسلمين .

(ج) تحمل المسؤولية :

من أبرز مزايا خالد ، أنه كان يتحمل المسؤولية إلى أبعد الحدود : فإذا اقتنع بشيءٍ أصدر قراره الحاسم للبت في الأمر دون انتظار وصول الأوامر والتوجيهات والوصايا من مرجعه الأعلى .

لقـــد كان خالد قائداً (مبتدعاً) : يرى الموقف بعينه ، ويفكر فيه بعقله، ولا يدّخر وسعا في تكوين قرار يناسب ذلك الموقف ويتفق والمصلحة العامة ... وحينذاك يقدم على تنفيذ قراره بعزمٍ وإصرار .

والقائد المبتدع ينجح نجاحاً يناسب كفايته إذا كان مرجعه الأعلى لا يميل إلى السيطرة المركزية بل يعطي كامل الحرية لمرؤوسيه ، كما نجح خالد في عمله مع أبي بكر الصديق مثلا ، ولكن القائد المبتدع لا يستطيع العمل بتاتاً إذا كان مرجعه الأعلى مركز السيطرة مثـــل عمر بن الخطاب ، ولعل أسباب تقدم خالد عند أبي بكر هي نفس أسباب عزله عند عمر .

من أمثلة تحمله المسؤولية ، سيره حين فرغ من بني أسد إلى مـــالك بن نويرة في « البُطاح » ، فتمسك الأنصار بحرفية أوامر الخليفة ، ولكن خالداً أصر على المسير [1] .

وفي أعقاب يوم « اليمامة » بعد إبرام الصلح بين خالد وبني حنيفة ، ورد كتاب أبي بكر إلى خالد أن يقتل كل محتلم ، ولكن خالداً وفي بعهده ولم يغدر [2] ، متحملا بذلك المسؤولية على عاتقه واثقاً من أن أبا بكر الصديق كان يعمل نفس عمله لو كان في نفس موقفه .

ولعله أغرق كثيراً من تحمل المسؤوليه عندما ترك جيشه في العراق بعـد

---

(١) الطبري (٥٠١/٢) وابن الاثير (١٣٦/٢) .
(٢) الطبري (٥١٨/٢) وابن الاثير (١٤٠/٢) .

انتصاره على الروم وحلفائهم في معركة « الفراض » ، ليؤدي فريضة الحج دون أن يأخذ موافقة أبي بكر ، لذلك عاتبه أبو بكر على هـذه المخالفة الصريحة [1] ، ولكنّ عذر خالد ، هو أنـه ذهب للحج سراً ، في وقت لا خطر فيه على قواته ، وأظهر أنه مع ساقة جيشه في طريقها من « الفراض » إلى « الحيرة » ، وفعلاً وصل خالد « الحيرة » بعد عودته من الحج مع صاحب الساقة [2] ، ولم يتأخر لحظة واحدة عن موعد وصول الساقة إلى « الحيرة »، لذلك لم يترك غيابه عن جيشه أثراً سيئاً في الموقف العسكري .

ولم يكن خالد يتحمل المسؤولية كاملة في أمور القتال فحسب ، بل كان يتحملها في أمور المال أيضاً ، فلما كتب إليه أبو بكر بذلك ، أجابه خالد: « إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشأنك وعملك » [3] ولما تولى عمر ، كتب إلى خالد: ألا تعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمري، فكتب إليه خالد ما كتب إلى أبي بكر فقال عمر : « مـا صدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر فلم أنفذه ! ثم كان يدعوه إلى العمل فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما يشاء [4]»، فيأبى عمـر .

ان تحمـل خالد المسؤولية الكاملة حال بينه وبين الاشتغال بإمرة عمر المباشرة ، ولكنه اشتغل بإمرة أبي عبيدة بن الجراح الذي كان كأبي بكر يعطي لمرؤوسيه الحرية الكاملة ، وبذلك فضّل خالد أن يعمل قائداً مرؤوساً وله ملء الحرية في تحمل مسؤوليته كاملة، على أن يعمل قائداً عاماً ولا حرية له في تحمل المسؤولية !! .

---

(١) الطبري (٢/ ٥٨٤) وابن الاثير (٢/١٥٣).

(٢) الطبري (٢/٥٨٣) وهو اعتياديا كما هو دابه يسير دائما مع الساقة عند العودة وفي المقدمة عند التقدم .

(٣) الاصابة (٢/٩٩) .

(٤) الاصابة (٢/١٠٠).

« د » نفسية لا تتبدل :

كثير من الذين يظهرون بمظهر العزم والقوة في أوقات الرخاء والدعة ، ينهارون انهياراً عجيباً في أوقات الشدة والعسر ، فهم جبابرة عتاة عند النصر ضعفاء مساكين عند الاندحار ، فهؤلاء يمتلكون نفسيات تتبدل بين الانهيار في حالة الهزيمة والطغيان في حالة الفوز .

إن نفسية خالد لا تتبدل في حالتي الإندحار والنصر، إذ كان مسيطراً على أعصابه سيطرة تامة في أشد المواقف حرجاً من جهة وفي أكثر الأوقات تفاؤلاً من جهة أخرى .

لم يكن سهلاً موقف خالد عند اندحار مقدمة المسلمين التي كان يقودها يوم (حنين) [1] ، ولكنه ضبط أعصابه ، فماد وعاد رجاله إلى القتال بعد صمود النبي ﷺ بوجه تيار المشركين الجارف ، فكان النصر النهائي للمسلمين.

ولم يكن سهلاً موقفه في أعقاب معركة (مُؤتـة) [2] بعد مقتل قادة المسلمين واستشهاد كثير من رجاله ، ولكنه قاد المسلمين إلى ساحة النجاة ليعود بهم ثانية إلى ساحات النصر في اليرموك .

لقد سيطر على أعصابه حين استقدمه أبو بكر الصديق الى المدينة المنورة ليحاسبه عن قضية مقتل مالك بن نويرة ، وحين استفزه عمر بن الخطاب بكلمات قاسية عند دخوله المسجد لمواجهته أبي بكر،أمسك خالد ولم يعترض، فلما تجاوز عنه أبو بكر آن له أن يرد على عمر ، ولكن عمر في هذه المرة أمسك ولم يقل شيئا [3] .

---

(١) طبقات ابن سعد (١٥٠/٢) والاغاني (٢٥/١٥) .

(٢) سيرة ابن هشام (٤٣٥/٣) وجوامع السيرة ص (٢٢٢) وطبقات ابن سعد (٢٥٣/٤) .

(٣) الطبري (٥٠٤/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢) .

وقد سيطر على أعصابه حين قدم صاحب البريد ليخبره بموت أبي بكر وعزله عن القيادة العامة وتولية أبي عبيدة بن الجراح مكانه ، وكان ذلك في أحرج أوقات معركة (اليرموك) الحاسمة [1] ، إذ قاد المعركة حتى نهايتها الموفقة وكأن شيئاً لم يحدث ! .

لم تتبدل نفسيته في حالة الاندحار ، ولم تتبدل نفسيته في حالة النصر ، وبقيت نفسيته لا تتبدل بعد عزله، إذ كان يعتبر نفسه دائماً أصغر من جندي وأكبر من قائد ، فهي هي نفسه لا تتبدل في السراء وفي الضراء ولا تبدلها المناصب والرتب ، لأنها أقوى من الأحداث والملمات وأرفع من المناصب والرتب .

(هـ) سبق النظر :

كان خالد يفكر في الاحتمالات القريبة والبعيدة التي يمكن أن ينفذها العدو ، ويدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات التي يمكن أن يصادفها قبل القتال وفي أثنائه وبعده، ويعد سلفاً الخطط المناسبة لكل ما يتوقعه من أعمال عدوه ، حتى يمكن وضع تلك الخطط – عند الحاجة – في موضع التنفيذ دون تردد ولا ارتباك .

كان خالد لا يسير إلا في تعبية ولا يبيت إلا على تعبية ، لأنه كان يدخل في حسابه دائماً احتمال مصادمة العدو لقواته في أي وقت ، وعند ذاك تكون قطعاته على استعداد لخوض المعركة ، من غير أن تخشى مباغتة العدو لها ومن غير أن تضيع الوقت سدى .

وصلت قوات خالد (أُلَّيْس) ، فوجدت القوات الفارسية تتناول طعامها ، فعاجلت الفرس بالقتال وانتصرت عليهم ، وكان الفضل في

---

(١) الطبري (٢/٥٩٥).

انتصار المسلمين سبق نظر خالد في مسيره دائما على تعبية ، فهـو دائماً حاضر للقتال .

وفي معركة (الفراض) قال قائد الروم لخالد : « إما أن تعبروا إلينا ، وإما أن نعبر اليكم ». فقال خالد : « اعبروا » [1]... ذلك لأنه سبق النظر وقدر ما يحتمل أن يؤدي اليه عبوره من محاذير ، ولم يفسح المجال « للعاطفة » أن تتدخل في القضايا العسكرية – تلك القضايا التي يؤدي الأعمال في تقدير نتائجها إلى الاندحار وإلى إزهاق الأرواح دون جدوى .

لقد كان خالد يتمتع بمزية سبق النظر بشكل مدهش حقاً ، وما أصدق عمرو بن العاص حين وصفه بقوله : « له أناة القطاة ووثوب الأسد ! » [2].

(و) معرفة النفسيات والقابليات :

كان خالد يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، لأنـه كان يقضي بينهم أكثر أوقاته ويعيش معهم أكثر ممـا يعيش مع عائلته ، ولأنه جربهم في المعارك وعرف كل فرد منهم على حقيقته بالأعمال لا بالأقوال .

لقد كان يتمنى ان يقاتل مع سرية من المهاجرين [3] ، لأنه يعرف أنهم يقاتلون حريصين على الشهادة حرص غيرهم على الحياة ، وكان يريد أن يستأثر بصحابة رسول الله ﷺ على المثنى بن حارثة الشيباني حين جاءه كتاب أبي بكر بالخروج من العراق إلى أرض الشام لولا إصرار المثنى على إنفاذ أمر أبي بكر بقسمة قوات المسلمين بالتساوي بينهما [4]،ذلك لأن خالداً عرف بتجربته أن الصحابة كانوا يقاتلون عن عقيدة وإيمان راسخين ، وأن أمثالهم من ذوي

---

(١) الطبري (٢/٥٨٢) وابن الاثير (٢/١٥٣).

(٢) اليعقوبي (٢/١٠٨) .

(٣) الاصابة (٢/٩٩) .

(٤) الطبري (٢/٦٠٥).

العقائد في الحروب هم السند القوي الأمين في الحرب لكل قائد حريص على إحراز النصر المبين .

وفي معركة اليرموك ، اختار خالد مائة من أبطال المسلمين [1] ، ليكونوا الفدائيين أو القوة الضاربة الأولى التي تصادم الروم ، ولم يكن اختيارهم إلا عن معرفة تامة بنفسياتهم وقابلياتهم .

وفي معركة فتح (دمشق) اختار خالد جماعة من المغاوير من بين رجاله ، وألقى على عواتقهم مهمة تسلق سور المدينة والقضاء على حراس أبوابها وفتح تلك الأبواب للمسلمين [2] ، ولم يكن من السهل تكليف أي رجل بمثل هـذا الواجب البطولي ، بدون معرفة دقيقة لقابلياته في القتال .

لقد كان خالد يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم عن خبرة عملية طويلة ، كما كان رجاله يعرفون نفسيته وقابلياته عـن خبرة مماثلة أيضاً ، إذ ليس كالشدائد محك لاختبار الرجال .

(ز) الثقة المتبادلة :

كان خالد موضع ثقـة النبي ﷺ وأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة بن الجراح ، وهؤلاء هم الذين عمـل خالد بإمرتهم بعد إسلامه . ولعل هناك مَن يظنّ أن خالداً لم يكن موضع ثقة عمر ، ولكن الحقيقة هي أن عمر كان لا يشك أبداً في كفاية قيادة خالد ، ولكنه عزله لمبالغة الناس بالثقة به ، ومبالغة خالد بالثقة بنفسه ، وحسبنا أن نتذكر قولة عمر في خالد حين بلغته أعمال خالد في (قنسرين) : « أمَّر خالد نفسه ! يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم بالرجال مني » .

وكان خالد من جانبه يبادل مرجعه الأعلى ثقة بثقة ، فقـد كان يثق

---

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ١٢٠) .

(٢) الطبري (٢/ ٦٢٧) وابن الاثير (٢/ ١٦٥) .

بالرسول ﷺ رسولا وقائداً ثقـــة لا مزيد عليها ، وكان يثق بأبي بكر الصديق ويثق بعمر الفاروق . قال خالد لأبي الدرداء عن عمر : « والله يا أبا الدرداء لئن مات عمر لترَيَنّ أموراً تنكرها [١] » . ولما حضرت خالداً الوفاة جعل وصيته وتركته وإنفاذ عهده إلى عمر [٢] وكان خالد يقول عن أبي عبيدة: « بعث عليكم أمين هذه الأمة [٣] » .

وكان خالد يثق بنفسه ويثق برجاله ثقة لا حدود لها ، وقد بلغ من ثقته بنفسه وبرجاله أنه نزل على غير مـــاء في معركة (كاظمة) ثم أمر مناديه فنادى : « جالدوهم على الماء ، فلعمري ليصيرنّ الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين » [٤] .

لقد اصطلح الناس عليه في أعقاب معركة (مؤتة [٥]) وكان بينهم بعض كبار المهاجرين والأنصار ؛ ولما عزم على التفويز برجاله عبر الصحراء القاحلة الخالية من الماء والتي لم يقطعها قائد قبل خالد بقوات جسيمة [٦] ، قالوا له : « أنت رجل قد جمع الله لك الخير [٧] ، فشأنك [٨] » .

وليس من السهل أن يثق الرجال بقائدهم ، وليس من السهل أن يستحوذ القائد على ثقـــة رجاله به . فالرجال يريدون من قائدهم : أن يدافع عنهم ويحميهم من الأخطار، وألا يستأثر بالراحة والدعة والمال دونهم ، وألا يوقعهم في المهالك دون مسوغ، وأن يتحمل المسؤولية كاملة ولا يتملص منها ويلقيها على عواتق الآخرين ، وأن يكون شجاعاً مقداماً في الحرب ، رؤوفاً رحيماً

---

(١) الطبري (٩٨/٣)وابن الاثير (١٩١/٢) .
(٢) ابن عساكر ص (٧١٢) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣٩٧/٧) والاصابة (١٠٠/٢) واسد الغابة (٩٦/٢) .
(٤) الاصابة (٩٩/٢) .
(٥) الطبري (٥٥٥/٢) .
(٦) سيرة ابن هشام (٤٢٥/٣) واليعقوبي (٤٩/٢) .
(٧) ولم يقطعها قائد بعده بقوات جسيمة .
(٨) الطبري (٦٠٣/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

لقد وجد رجال خالد في قائدهم كل هذه المزايا وأكثر ، فلا عجب أن يولوه ثقتهم حتى يخاف عمر أن يفتتن به الناس [1]، وأن يفرحوا بالقتال تحت رايته [2] ، وهم أشد ما يكونون اطمئناناً وأمناً .

وليس من السهل أن يثق القائد برجاله ، فالقائد يريد من رجاله أن يطيعوه وينفّذوا أوامره برحابة صدر ، وأن يجتازوا العقبات والأخطار بلا تردد ولا خوف ، وأن يبذلوا كل جهودهم لتحقيق النصر ، وأن يُقدموا بشجاعة وتضحية وعزم لنيل الظفر .

لقد وجد خالد في رجاله كل هذه المزايا وأكثر ، فلا عجب أن يبادلهم ثقة بثقة ، فيصفهم في كتابه إلى (هرمز) قائد كسرى بقوله « .. فقد جئتك بقوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة [3] » .

لقد كان خالد يبادل مرجعه الأعلى ثقة بثقة ، يثقون به ويثق بهم ، كما كان يثق بنفسه ويثق برجاله ويثق رجاله بـه .

لقد كان موضع ثقة الجميع لأنه كان أهلاً للثقة .

(ح) المحبة المتبادلة :

هناك فرق ظاهر بين الثقة والمحبة ، فقد تثق بكفاية إنسان وقابليته على إنجاز واجب ما ، ولكنك لا تحبّه .

وقد تحبّ إنساناً ما ولكنك لا تثق بكفايته أو لا تثق به من كافة النواحي .

فإذا اجتمعت الثقة والمحبة في إنسان ، فكان موضع ثقة الناس ومحبّتهم ،

---

(١) ابن الاثير (٢٠٧/٢) .
(٢) الطبري (٥٩١/٢) .
(٣) الطبري (٥٥٥/٢) .

فإن نجاح هذا الإنسان في الأعمال العامة ومنها الأعمال العسكرية مضمون إلى حد بعيد .

لقد كانت المحبة متبادلة بين خالد ورجاله ، وقد ظهرت هذه المحبة في معارك خالد. ويكفي أن نتذكر كيف بادر القعقاع بن عمر والتميمي وجماعته إلي إنقاذ خالد من غدر (هرمز) وجماعته في معركة (ذات السلاسل) [1]، وكيف كان أصحاب خالد يسارعون إلي تنفيذ أوامره بكل حرص وإقدام .

كما ظهر حب الناس لخالد وتقديرهم له بعد موته حيث لم تبق له سلطة ولا نفوذ شخصي ليخشاه الناس ويرجوه ؛ فرثاه عمر بقوله : « قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق [2] » ، كما رثاه كثير من الصحابة وكثير من الشعراء .

أما حبّ خالد لرجاله، فيكفي أن نذكر أنه كان يستأثر دونهم بالمخاطر، ويؤثرهم بالخير والأمان ، ويحب لهم ما يحبّه لنفسه ؛ ولكنّ حبّه لهم كان حب القائد لرجاله فحسب : إذ لا نعرف أنه بكى لمصرع شهيد ولا التاع لمقتل مجاهد ، لأن البكاء واللوعة لا يجديان شيئاً ! .

لقد كان حبه لرجاله يزداد كلما ازداد إقدامهم وبلاؤهم فالشجاع المقدام ، هو الذي يحظى بحب خالد ورعايته ولو كان أبعد الأبعدين عنه قرابة ونسبا؛ والجبان الرعديد لا مكان له في قلب خالد ولو كان أقرب الأقربين إليه قرابة ونسباً لذلك اختص خالد ببعض الرجال الذين صاحبوه في حروب أهل الردة ورافقوه إلى العراق ، وقاتلوا معه في الشام ، فلما عادوا إلى العراق ، نسوا الفخر إلا فخرهم بأيامهم مع خالد [3] .

لقد كان خالد يحرص كل الحرص على بقائهم إلى جانبه ما استطاع إلى

---

(۱) الطبري (٢/٥٥٥) .

(٢) ابن عساكر ص (٧١٤) .

(٣) الطبري (٢/٥٨٤) حول فخر اهل الايام من اهل الكوفة بايامهم مع خالد وعدم ذكر غيرها من الايام احتقارا لها واستصغارا لشانها .

ذلك سبيلا ، وأكثر هؤلاء أصبحوا معارفه وأحبابه في ساحات القتال ، فكانت محبتهم المتبادلة محبة رفقاء السلاح في الضراء لا محبة رفقاء اللهو في السراء.

لقد كانت علاقة خالد برجاله علاقة حياة أو موت لا علاقة قصعة وثريد!!.

(ط) الشخصية القوية النافذة :

لم تكن شخصية خالد قوية نافذة فحسب ، بل كانت شخصية مستحوذة كاسحة أيضاً .

لقد ذهب خالد من المدينة إلى (مؤتة) جندياً بسيطاً ، ولكنه عاد إلى المدينة قائداً منتخباً ؛ وليس من شك في أن قوة شخصية خالد كانت من عوامل تسليمه مقاليد قيادة جيش المسلمين في (مؤتة) .

ولما كتب عمر إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيل خالداً ويعقله بعمامته ويعزله عن عمله ، لم يستطع أبو عبيدة أن ينفذ أمر عمر في خالد بنفسه فجلس على المنبر ساكتاً لا يقول شيئاً ، مع أن أبا عبيدة يومها كان قائداً عاما في الشام وكان خالد وغير خالد في أرض الشام بإمرته ، وما كان إقدام بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ على تنفيذ أمر الخليفة دون غيره ، إلا لأنه كان موضع ثقة الناس واحترامهم وإجلالهم لموضعه من النبي ﷺ ولماضيه المجيد في خدمة الإسلام .

وبقي خالد متحيراً بعد هذا الحادث ، لا يدري أمعزول هو أم غير معزول ، ولا يُعلمه أبو عبيدة بعزله تكرمة وتفخمة ، فكتب عمر الفاروق إلى خالد بالإقبال إليه ، فلما قدم على عمر شكاه وقال له : « قد شكوتك إلى المسلمين ، فبالله إنك في أمري لغير مجمل [1] » ، فقال له عمر : « يا خالد !

---

(١) ابن الاثير (٢/٢٠٧) وفي البلاذري (ص ١٢٢) : « ان ولاية ابي عبيدة الشام اتته والناس محاصرون في دمشق ، فكتمها خالدا اياما لان خالدا كان امير الناس في الحرب ... »

والله إنك عليّ لكريم ، وإنك إليّ لحبيب »[1] .

فأي شخصية نافذة قوية ، تلك التي يقدرها أبو عبيدة بن الجراح كل هذا التقدير ويحترمها كل هذا الاحترام .

وأية شخصية مستحوذة كاسحة تلك التي يقول صاحبها لمثل عمر القوي المهاب : « قد شكوتك إلى المسلمين .. !! » فلا يجد عمر الذي لم يترك له الحق صديقا ، كما يقول هو عن نفسه ، أمامه إلا أن يسترضيه بأسلوب هيّن ليّن رقيق .

تلك هي شخصية سيف الله خالد بن الوليد .

(ي) الماضي المجيد :

عرفنا نسب خالد ، وعرفنا أنه من أشرف بطون قريش وابن عظيم مكة المكرّمة ، وأمه أخت ميمونة أم المؤمنين ؛ فماضيه من هذه الناحية مشرّف جداً .

وقد ترعرع في بيت كريم ، له تقاليده الكريمة في تربية أولاده على الصدق والاستقامة والرجولة ، فنشأ بعيداً عن الفحشاء والمنكر والبغي ، متفرغا لإشباع هوايته المفضلة في التدريب العسكري وممارسة قيادة الفرسان؛ فتولى الأعنة والقبة وهو لا يزال في عنفوان شبابه متقدما على الكثيرين من بني مخزوم : من إخوته وبني عمومته ، وكثير منهم أكبر سناً من خالد - وللسنّ عند العرب قيمة كبيرة في تولي المناصب المهمة - وذلك لحسن سيرته وسمعته بين الناس بالإضافة إلى كفايته العسكرية .

ولو لم يكن ماضيه قبل الاسلام مشرفا ، لما خصه النبي ﷺ بالسؤال عنه

---

(١) ابن الاثير (٢/٢٠٧) .

حين كان النبي ﷺ بمكة أيام عمرة القضاء، فقال : « أين خالد ! .. ما مثل خالد من جهل الإسلام . الخ [١] » ، فلما أسلم أصبحت مكانته مرموقة بين المسلمين وعند الرسول صلوات الله وتسليمه عليه : « ما كان رسول الله ﷺ يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحزبه [٢] » ، كما ذكر خالد عن نفسه، وكما نلمسه فعلاً في التاريخ .

ذلك يدل بوضوح على أن ماضيه كان ناصعاً مجيداً في أيامه الأولى قبل الإسلام وفي أيامه الأولى بعد الاسلام .

وابتدأ خالد يضيف إلى هذا الماضي النظيف لبنة بعد لبنة من الشرف الرفيع في انتصاراته العسكرية ، فأصبح ماضيه يعلو بحاضره ولا يزال يعلو كل يوم ، حتى بلغ درجة من الرفعة والسمو يضطر معها الذي يريد أن يرى قمتها - إذا كان حديد البصر - أن يضع يديه على غطاء رأسه من شدة علو قمة ذلك البناء .

يكفي أن نذكر بعض ماضيه العسكري فقط ، فقد شهد في الجاهلية ثلاث معارك ضد المسلمين ، وشهد في عهد النبي ﷺ اثنتي عشرة معركة ،وشهد في حروب أهل الردّة ثلاث معارك هي أهم وأخطر وأكبر معارك أهل الردّة ، وقاتل الفرس وحلفاءهم في خمس عشرة معركة ، وخاض في طريقه من العراق الى أرض الشام غمار أربع معارك ، وقاد سبع معارك في أرض الشام ، فكان عدد ما شهده من معارك في حياته العسكرية أربعة وأربعين مشهداً ، كانت نتائجها باهرة جداً في تاريخ الاسلام وفي تاريخ العرب المسلمين.

فأي قائد قديم أو حديث شهد هذا العدد الضخم من المعارك،في فترة قصيرة جداً من عمر الزمن وعمر الرجال ، دون أن يُهزم له لواء أو تنكص

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/٢٥٢) و (٧/٣٩٤) .

له راية ؟ وأي قائد قديم أو حديث بقيت آثار فتوحاته من اليمن جنوباً الى أرض العراق والشام شمالاً كل هذه القرون الطوال ؟ .

ذلك هو ماضي خالد ، يزداد بحاضره كل يوم علواً : لقد جمع المجد من أطرافه ، مجد المنبت الطيب ، ومجد النشأة الكريمة ، ومجد التاريخ ، فـلا عجب أن يكون من أكبر مفاخر أصحاب الأيام ، هو قولهم : قاتلنا تحت لواء خالد ؛ ليعرف الناس أنهم أبلوا في خدمة الاسلام وفي خدمـة الفتح الإسلامي أعظم البلاء .

(ك) معرفة مبادىء الحرب وتطبيقها [1]

أولاً – اختيار المقصد وادامته [2] :

كان خالد يختار مقصده بعـد تفكير عميق ، ويعمل جاهداً في سبيل تنفيذه ، ولا يفكر أبداً في التحول عنه قبل الحصول عليه .

كان مقصده في غزوة (أحد) تحطيم رماة المسلمين الذين يحمون ظهور المسلمين ، ليستطيع بعد تحطيمهم ضرب مؤخرة المسلمين وتطويقهم وإفناء قواتهم من بعـد ذلك . لذلك راقب بيقظة بالغة حركات وسكنات هؤلاء

---

(١) مبادىء الحرب : هي الجوهر التي ينشيء في القائد (السجية) الصحيحة في تصرفاته في الحرب ، وهي العنصر التي يتكون منها مسلك القائد في اعماله بصورة طبيعية وغير متكلفة ·

وكان خالد يعرف هذه المبادىء بالفطرة السليمة التي تدل على استعداده الفطري الممتاز للقيادة · وقد طبق خالد هذه المبادىء في معاركه كلها ، مما كان له اثر حاسم في انتصاراته ·

(٢) اختيار المقصد وادامته : في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصـد وتعريفه بوضوح · ان المقصد النهائي هو تحطيم ارادة العدو على القتال ، ويجب ان توجه كل صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الاعلى ، ولكن لكل مـن هذه الصفحات مقصد محدود يجب ان يعرف بوضوح ·

الرماة ، فلما انسحب بعضهم خلافاً لأوامر الرسول ﷺ التي نصت على ضرورة ثباتهم في مواضعهم حتى انتهاء المعركة ، انتهز خالد هذه الفرصة السانحة ، فحقق مقصده في القضاء على الرماة وضرب المسلمين من الخلف ، مما هدد المسلمين في (أحد) بالفناء لولا عبقرية قيادة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وكان مقصده في كل معاركه أن يقضي على قائد عدوه ، حتى يبقى رجال ذلك القائد قطيعاً بدون راع ، فيفرون أو يستسلمون .

لقد استطاع خالد فعلاً في أكثر معاركه أن يقضي على قائد القوات المعادية له : إما بالمبارزة أو بإدامة زخم الهجوم على مقره حتى يقتل أو يضطر إلى الفرار .

وفي معركة اليرموك الحاسمة ، كان مقصد خالد ، أن يحرم مشاة الروم من إسناد فرسانهم ، لذلك هجم بالقلب متوخياً فصل خيل الروم عن مشاتهم ، ثم أفسح المجال لخيل الروم للخروج من مكانها الذي تقاتل فيه بعد التضييق بشدة عليها ، فخرجت تلك الخيل تشتد في الصحراء . في ذلك الوقت بقي المشاة وحدهم فسهل على خالد القضاء عليهم .

تلك أمثلة قليلة عن اختيار المقصد وإدامته ، ولعل مقصد خالد في كل معركة خاضها كان ظاهراً بوضوح للعيان ، لذلك كان النصر حليف خالد في كل حروبه .

ثانياً — التعرض [1] :

كانت معارك خالد كلّها تعرّضية ، إذ لم يتخذ في كل حياته العسكرية خطّة دفاعية واحدة ولم يخض معركة دفاعية واحدة ، فكان بحق قائداً تعرّضياً مشبعاً بروح التعرّض .

---

(1) التعرض : هو الهجوم على العدو لسحقه ولا يتم الحصول على النصر الا بالتعرض وحده .

ومن النادر جداً أن تجد في كل أدوار التاريخ قائداً لم تضطره الظروف في وقت من الأوقات أن يمارس خطة دفاعية ثم يستأنف التعرّض من بعدها ، أما خالد فكان دائماً في تعرض مستمر ، وكان لعبقريتـــه في القيادة أثر حاسم في اتخاذه هذا الموقف دائماً ؛ ولست أشك في أن غير خالد ما كان لِيُقْدِمَ على التعرّض في مثل تفوق العدو بالعدد والعُدد فواقاً ساحقاً على قوات خالد . إذ كان لا بدّ له من أن يتخذ موقف المدافع في كثير من تلك المعارك انتظاراً للإمدادات ؛ ولكن خالداً لم يفكر ابـــداً ، حتى مجرّد تفكير ، في اتّخاذ موقف المدافع .

لقد كان لتعرض خالد أثر في القضاء المبرم على فتنة بني حنيفة في اليمامة ، بعد أن أخفق قائدان من قبله في القضاء عليها ، وبعد أن نكبت بنو حنيفة هذين القائدين [1] ، فارتفعت معنوياتها وزادت قوتها قوة .

وكان لتعرض خالد أثر حاسم في فتح (دُومة الجندل) بعد أن استعصت على عياض بن غنم ، فأشجى أهلها عياضاً وشجوا به [2] مدة طويلة كانت كافية ليفتح خالد خلالها من جنوب البصرة إلى شمال (الـفـلـوجة)[3] من أرض العراق .

وكان لتعرض خالد أثر حاسم في انتصار المسلمين على الروم في (اليرموك) بعد أن كان المسلمون متضايقين هناك [4] .

---

(١) الطبري (٢/٥٠٥) ٠

(٢) الطبري (٢/٥٧٨)٠

(٣) الفلوجة : وكان يطلق عليها مدينة الانبار تقع غرب بغداد على نهر الفرات ٠

(٤) الطبري (٥٩٢) وانظر الطبري (٣/١٥٣) وابن الاثيـــر (٢/٢٩٥) ، فعندما تحشد الروم لاستعادة (حمص) من ايدي المسلمين اقبل خالد من قنسرين الـى ابي عبيدة ، فاستشاره ابو عبيده فاشار بالتعرض عليه واشار غيره بالتحصين ومكاتبة عمر ، فاطاعهم وعصى خالدا ، ثم اشار عليه ثانية بالخروج الى الروم ، فلما فعل ابو عبيدة فتح الله عليه ٠

وكان لتعرض خالد أثر في فتح دمشق إذ لولا يقظة خالد وتحفزه لقاومت تلك المدينة المحاصرة أمداً طويلاً .

لقد كان خالد يحمل طاقات تعرضية ، لا تنضب ، وكان مجرّد وجوده في جيش من جيوش المسلمين يحمل ذلك الجيش متحفزاً أبداً للتعرض ، ولم يكن خالد يحرص كل الحرص على التقدم والمبيت في تعبية كاملة – على الرغم من صعوبة حركة القطعات وهي متخـــذة تشكيلات القتال – إلا ليكون حاضراً باستمرار للتعرض على عدوه في كل وقت وبكل مكان .

ثالثاً – المباغتة [1] :

كان خالد مشبعا بروح (المباغتة) كما كان مشبعـــا بروح (التعرض) وليس في التاريخ قائد برز بين القادة في إنجازاته العسكرية وفي انتصاراته إلا وهو مشبع بروح المباغتة وبروح التعرض ، لأن هذين المبدأين هما أهم مبادىء الحرب كلها وهما أهم أسباب الانتصار في الحروب .

---

(١) المباغتة : المباغتة اقوى العوامل وابعدها اثرا في الحرب ، وتاثيرها المعنوي عظيم جدا ، وتاثيرها من الناحية النفسيةيكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكيـــر القائد الخصم .

وفيما يلي بعض الوسائل التي يمكن الحصول بها على المباغتة :

١ – بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية وبكتمان جسامة القوات الاحتياطية .

٢ – بالتنقل السريع للقطعات من نقطة الى اخرى ، تمهيدا لانزال الضربة علـــى موضع لا يتوقعه العدو .

٣ – باستخدام الارض الشديدة او بعبور الموانع التي تعتبر غير قابلة للعبور .

٤ – باستخدام اسلحة جديدة غير متوقعة او اساليب تعبوية جديدة .

وتتم المباغتة اما بالمكان ، اي من مكان لا يتوقعه العدو ، واما بالزمان اي في زمان لا يتوقعه العدو ، واما بالاسلوب ، اي باسلوب قتال جديد لا يتوقعه العدو ، واما بسلاح جديد مؤثر لا يتوقعه العدو وغير مستعد لمقاومته .

فما هي المباغتة ؟ .

المباغتة هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعداً له ، والكتمان من أهم الوسائل التي تؤدي للمباغتة .

والسرعة في التنقل لإنزال ضربة لا يتوقعها العدو : في زمان لا يتوقعه أو في مكان لا يتوقعه ؛ واستخدام الأرض الصعبة وعبور الأراضي الصعبة ، واستخدام أسلحة جديدة غير متوقعة أو أساليب تعبوية جديـــدة غير متوقعة ، كلها وسائل تؤدي للمباغتة أيضاً .

لقـــد طبق خالد في حروبه كل هذه الوسائل فباغت عدوه في كل معركة خاضها تقريبا بوسيلة أو أكثر من هذه الوسائل ، فكان ذلك من أهم أسباب انتصاراتـــه ، حتى ليمكن اعتبار معاركه نماذج رائعة لتطبيق وسائل المباغتة .

لقد كتم استعداداته للهجوم على رماة المسلمين في (أحد) ، فلما حانت له الفرصة المناسبة اهتبلها بسرعة خاطفة ، فضرب الرماة وضرب المسلمين من الخلف بعد ذلـــك ، وبهذا جعل النصر ينتقل من صفوف المسلمين إلى صفوف المشركين .

وفي غزوه (مؤتة) كتم استعداداته للانسحاب ، وأظهر ساقة المسلمين بمظهر القوة الجسيمة وذلك بنشرها في ساحة كبيرة من الأرض وبما أحدثته من جلبة وأصوات ؛ فلما أنجز انسحاب (القسم الأكبر) من قوات المسلمين وأصبحت في مأمن من مطاردة الروم لها ، سحب الساقة بسرعة خاطفة أيضاً إلى منطقة أمينة ، وبذلك خلّص المسلمين من خطر الفناء .

ولما تحرك نحـــو (طليحة) أظهر أنه اتجه إلى منطقة (طي) لا الى (بزاخة) منطقة (طليحة) ، وبذلك جعل « طيء » تنفصل عن « أسد » قوم « طليحة » وتسرع الى منطقتها ، وبهذا ضعف « طليحة » وسهل على خالد القضاء عليه .

تلك أمثلة قليلة عن كتمان خالد لاستعداداته العسكرية ونياته .

أما سرعة تنقل قطعاتـــه من نقطة الى أخرى ومن مكان الى آخر ، تمهيداً لإنزال الضربة على موضع لا يتوقعه العدو ، فقـــد كانت كل تنقلات خالد في كل معاركه تتسم بالسرعة الفائقة . فقد أقام خالد في العراق - مثلاً - سنة وشهرين فقط ، فتح خلالها من جنوب البصرة إلى « الفراض » على تخوم الشام والعراق وأنقذ خلالها عياضاً في «دومة الجندل» ، ولا يمكن أن يتم كل ذلك في مثـل هذا الوقت القصير تجاه مقاومة جيوش نظامية لامبراطورية عريقة في المجد كالامبراطورية الفارسية ، إلا بسرعة التنقل من مكان إلى مكان .

وهنا لا بدّ لنـــا من أن نذكر كيف قطع الصحراء من (قراقر) إلى « سوى » في ليال ، مما جعل حاميات المدن والمواقع التي صادفته في طريقه بين العراق وأرض الشام تستسلم لقواته بعد قتال طفيف أو بدون قتال ، لأنها لم تكن تتوقع أبداً أن تلاقي قوة جسيمة من المسلمين تظهر عليهم من هذا الاتجاه في هذا الوقت بالذات .

وعبور خالد للصحراء من الطريق الخطر الذي اختاره مباغتة فـذّة في التاريخ العسكري لا أعرف لها مثيلا ، ولست أعتقد أن عبور « هانيبال » للألب [1] وعبور « نابليون » للألب أيضاً ، ولا تفويز نابليون من صحراء سيناء أو قطع الجيش البريطاني لهذه الصحراء في الحرب العالمية الأولى ، يمكن أن تعتبر شيئاً إلى جانب مغامرة خالد في تفويزه ، لأن عبور الجبال أسهل بكثير من عبور الصحراء لتيسر الماء في الجبال وعدم تيسره في الصحراء ، ولأن صحراء سيناء فيها كثير من الآبار والأماكن المأهولة وعدم تيسر ذلك في الصحراء التي قطعها خالد ، فكان نجاح خالد في عبور الصحراء مباغتة كاملة للروم لم يكونوا يتوقعونها بتاتاً .

---

(١) انظر التفاصيل في كتاب : هنيبعل لجورج مصروعة (١/ ٢٩٠ ـ ٣٠١) .

أما استخدام خالد أساليب تعبوية جديـــدة ، فقد اشتهر خالد بأن فكرته التعبوية متطورة باستمرار ، فهو لا يكاد يقاتل بأسلوب تعبوي واحد في معركتين بل هو يبدل أساليبه التعبوية في معاركه ، فيحير عدوه ولا يدع له مجالاً لمعرفة ما يطبقه في المعارك من أساليب .

قاتل خالد المسلمين في معركة « أحد » بأسلوب الكر والفر[١] ، وقاتل يوم « الخندق » بأسلوب الصفوف [٢] ، وقاتل أهل الردة بأسلوب « النظام الخماسي » [٣] ، وقاتل الفرس بأساليب متعددة : بأسلوب النظام الخماسي تارة وبأسلوب وضع الكمائن بالاضافة إلى النظام الخماسي ، وبأسلوب التقدم بأرتال متعددة تجتمع في مكان معين وفي وقت معين لضرب العدو من جميع الجهات وبأسلوب التقدم برتل واحد .. الخ . وقاتل في (اليرموك) بأسلوب الكراديس [٤] بتعبية لم تعهدهـــا العرب من قبل [٥] ، وهكذا كان لخالد

---

(١) اسلوب الكر والفر : هو ان يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو ، فان صمد لهم العدو أو احسوا بالضعف نكصوا . ثم اعادوا تنظيمهم وكروا ، وهكـذا يكـــرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر او الاخفاق . انظر الرسول القائد ص (١٠٤) الطبعـة الثالثة .

٢ ـ القتال باسلوب الصفوف : يكون بترتيب المقاتلين صفين أو اكثر على حسب عددهم وتكون الصفوف الامامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان ، وتكـــون الصفوف المتعاقبة الاخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الاعداء . انظر الرسول القائد ص (١٠٤) الطبعة الثالثة .

(٣) النظام الخماسي : ترتيب القوات لتكون محمية من الجهات الاربعة ، وذلك بترتيب : ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة ، ثم جعل القلب في الوسط . راجع كتـــاب الجندية في الدولة العباسية للمرحوم الرئيس الركن نعمان ثابت ص (٢٣٨) .

(٤) اسلوب الكراديس : مشابه النظام الخماسي غير ان تشكيلات النظـــام الخماسي وهي : (الميمنة والميسرة والمقدمة والساقة والقلب) يتألف كل منها من عدد من الكراديس (الكتائب) . راجع مقال (جيش المسلمين في عهد بني امية) في ص (٦٤٢) من العدد الثاني المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي العراقـــي الصـادرة بتاريـخ (١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م) .

(٥) الطبري (٥١٣/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

في كل يوم وفي كل معركة أسلوب .. وهو أول من قاتل بأسلوب الكراديس في الإسلام[1] ، والحق أن خالداً كان ماهراً جـــداً بتعبية الجيوش وتأمين حمايتها وزجّها في المعركة واستخدام أجزائهـــا المختلفة بتعاون وثيق في المحل اللازم والوقت اللازم ، وبذلك انتصر بفئته القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله .

لقد استخدم خالد أساليب القتال كافة التي يمكن الحصول بها على المباغتة، وبالإضافة إلى ذلك ، فقد كان متيقظاً منتبهاً إلى حركات العدو ونياته وكان حريصاً غاية الحرص على سلامة رجاله ، لذلك استطاع أن يباغت عدوه دائماً ولم يستطع عدوه أن يباغته أبداً .

رابعاً – تحشيد القوة [2] :

كان خالد يُعير مبدأ (تحشيد القوة) اهتمامه الكبير ، لأنه كان يعلم أن عدد القوة وعُدَّدها له أثر كبير في إحراز النصر .

لقد عمل جاهداً على فصل (طيء) عن (اسد) قبل مهاجمته (طُليحة)، وعمل على ضم هذه القبيلة إلى قواته ، فكان لها أثر ملموس في قتال « قيس » حلفاء « طُليحة » [3].

وقد ضم إليه رجال شرحبيل بن حسنة والمدد للنبي قدم من المدينة المنورة قبل أن يقاتل مسيلمة الكذاب في « اليمامة » ، وبذلك أكمل تحشيد قوتـــه قبل البدء بالقتال [4] .

---

(١) ذكر ابن خلدون في مقدمته ص (٢٧٣) ان اول من ابطل الصف وصار الـــى التعبية كراديس هو مروان بن الحكم ٠ وهذا خطأ والصحيح هو ما ذكرناه اعلاه ٠

(٢) تحشيد القوة : هو حشد اعظم قوة ادبية وبدنية ومادية واستخدامها فــــي الزمان والمكان الجازمين ٠

(٣) الطبري ٢/ ٤٨٥) وابن الاثير (٢/ ١٣٣) ٠

(٤) الطبري (٢/ ٥٠٤ ــ ٥٠٥) ٠

وضم إليه رجال المثنى بن حارثة الشيباني ورفقائه من القادة في العراق ، قبل أن ينشب الحرب ضد الفرس في أرض الرافدين [1] .

وكان يحرص كل الحرص أن يجمع أرتاله في مكان معين في وقت معين قبل أن يقوم بالهجوم على العدو ، كما جرى ذلك في معركة « ذات السلاسل » و « المصيخ » و « الثنى » و « الزميل » .

ولم يبدأ بقتال الروم في « اليرموك » إلا بعد أن أكمل تحشيد قوات المسلمين هناك .

ولكنه كان لا يهتم بكثرة عدد رجاله اهتمامه بوجود عدد من المؤمنين الصادقين بين صفوف رجاله ، أي أنه كان يهتم بـ « النوعية » أكثر من اهتمامه بـ « الكمية » ، لذلك حرص أن يستصحب معه صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا في العراق إلى الشام [2] ، وكان يتمنى أن يقاتل مع المهاجرين ويفضلهم على غيرهم من الناس [3] .

إن خالداً طبق مبدأ « التحشد » في كل معاركه ، ولم يدخر وسعاً لتحشيد قوة مادية ومعنوية في كل معركة خاضها .

خامساً – الاقتصاد بالجهود [4] :

راعى خالد مبدأ « الاقتصاد بالجهود » في كل معاركه ، فكانت قواته

---

(١) الطبري (٢/٥٥٤) وابن الاثير (٢/١٤٧) .
(٢) الطبري (٢/٦٠٥) .
(٣) الاصابة (٢/٩٩) .
(٤) الاقتصاد بالمجهود : هو استخدام اصغر قوة للامن او لتحويل انتباه العدو الى محل اخر وصد قوة معادية اكبر منها ، مع بلوغ الغاية المتوخاة .
ان الاقتصاد بالمجهود يدل على الاستخدام للقوة والتصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول المتوازن على التحشد المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين .

أقل بكثير من قوات أعدائه ، وكان يعوّض عن قلة رجاله بأساليبه التعبوية الفذّة وبفنّه العسكري الممتاز .

كان دائماً في الأمام قريباً من مواطن الخطر ، وذلك حتى يرى بعينيه حقيقة الموقف ويعمل فوراً على معالجته ، دون أن يكبد قواته خسائر لا مسوّغ لها .

وكان يستأثر بالخطر دون رجاله ، فيتربص بقائد جيش العدو ليقضي عليه أما إذا أقدم ذلك القائد على الظهور في ميدان البراز ، فخالد حاضر لمبارزته وإنهاء الحساب معه .

لقد كانت شخصية خالد وقيادته العبقرية وشجاعته الشخصية ، هي العوامل الحاسمة للاقتصاد بالجهود ، وعدم تكبيد المسلمين خسائر بالأرواح ، وإكمال ما يعانيه المسلمون من نقص في العدد والمعدات .

لقد كان خالد قوة هائلة تعوّض عن كل نقص وتحمي من كل خطر .

سادساً – الأمن [1] :

طبق خالد مبدأ « الأمن » بشكل رائع يدعو إلى الإعجاب الشديد .

كان خالد لا يتحرك إلا على تعبية ، ومعنى ذلك أنه يخرج مقدمة ومجنبتين ومؤخرة لقوته ، لتكون محمية من جميع الجهات .

وكان لا يبيت إلا على تعبية ، ومعنى ذلك أنه يؤمن حماية قواته من جميع الجهات أيضاً ، ويكثر من الحراسات .

وكان لا ينام ولا ينيم ، أي أنه كان يفتش بنفسه قطاعات الحماية

---

(١) الامن : هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات .

والحراس ، حتى يتأكد من قيامهم بواجباتهم بشكل ممتاز .

وكان لا يخفى عليه شيء من أمر عدوه ، ومعنى ذلك أنه كان يكثر من إرسال العيون والأرصاد ويقوم بنفسه بالاستطلاع الشخصي - كل ذلك ليحصل على المعلومات التفصيلية عن عدوه ويحرمه من الحصول على المعلومات عن قطعاته .

وطبق مبدأ « الكتمان » في كل حركاته ، فحرم العدو من معرفة نياته قبل وقت مناسب ليتخذ لإحباطها التدابير المناسبة .

تلك هي تدابير خالد الوقائية لسلامة رجاله وأمنهم ، لذلك لم ينجح أعداؤه في محاولاتهم لمباغتة قواته ، ونجح هو كثيراً في مباغتة اعدائه .

إن تدابير خالد الأمنيّة من أروع أمثلة التاريخ العسكري للسهر على أمن وسلامة رجاله من مكائد الأعداء .

(سابعاً) المرونة [1] :

كانت لقوات خالد قابلية فائقة على التنقل من مكان إلى آخر بكفاية وسرعة ، يكفي أن نذكر أنها نجحت في اختراق الصحراء من أصعب طرقها بأسرع وقت وبدون خسائر غير اعتيادية .

لقد امتاز خالد بقدرته الفذة على غرس روح قابلية الحركة في رجاله

---

(١) ان المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ (قابلية الحركة) اصبح يسمى الان مبدأ (المرونة) ذلك لان (قابلية الحركة) تدل على الحركة المادية ، وهي صيغة نسبية لا نعبر عنها تعبيرا صحيحا الا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو . ان (المرونة) تعني اكثر من ذلك . انها لا تتضمن قوة الحركة فحسب ، بل قوة العمل السريع . كذلك على القائد ان يكون مرن الفكر ، وعليه ان يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته ، وان تكون خططه بشكل يمكنه من ان يعدل سريعا حركات قواته حين تضطره الظروف غير المتوقعة .

وجعلهم يعملون بسرعة خارقة في مختلف الظروف والأحوال ذلك لأن خالداً كان يمتلك ذكاء لماحاً : يفكر بسرعة ، ويقرر بسرعة ، وينفذ بسرعة .

وكان قائداً مرناً في خططه ، فهو لا ينفك يعد لها بسرعة ودقـــة كلما ألجأته أحوال الموقف المتطور الذي لا يستقر على حال .

لم يكن يدور بخلد قائد المشركين العام في (أحد) أن بإمكانه ضرب المسلمين من الخلف ، ولكن خالداً انتهز فرصة انسحاب رمـــاة المسلمين ، فضرب قوات المسلمين من الخلف وطوقهم بفرسانـه دون أن ينتظر أوامر القائد العام .

وكانت خطته أن يقضي على فتنـــة (طليحة) بأسرع وقت ممكن ، ولكنه توقف عن الحركة ثلاثة أيام لكي تستطيع (طيء) أن تسحب رجالها من إسناد (طليحة) .

ولما عبّأ خالد جيشه للقتال ، قالت (طيء) : نحن نكفيك (قيساً) فإنّ بني (أسد) حلفاؤنا ! – فقال خالد : « قاتلوا أي الطائفتين شئتم[1] » ، فاعترض عدى بن حاتم على قومه (طيء) قائلاً : لو نزل هذا على الذين هم أسرتي الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه : « والله لا امتنع عن جهاد بني (أسد) لحلفهم » فقال له خالد : « إن جهاد الفريقين جهاد لا تخالف رأي أصحابك وأمض بهم الى القوم الذين هم لقتالهم أنشط[2] » .

فـماذا كان يحدث لو أصر خالد على رفض رغبة (طيء) وإنفاذ رغبة عدي بن حاتم بحجة أن أسداً مرتدون لا فرق بينهم وبين قيس ، وأن عدم مقاتلتهم على اعتبارهم حلفاءهم أمر من أمور الجاهلية يبرأ منه الإسلام ؟؟ .

---

(١) الطبري (٤٨٣/٢) وابن الاثير (١٣٢/٢) .
(٢) الطبري (٤٨٢/٢) وابن الاثير (١٣٣/٢) .

وكانت أوامر أبي بكر الصديق لخالد : أن يُقيم في « بزاخة » بعد الفراغ من أمر « طليحة » حتى يكتب إليه بأمره . ولكنّ خالداً قدر أن الانتظار قد يفيد مالك بن نويرة لترصين قواته ومضاعفة استعدادها للقتال ؛ لذلك قرر المسير إلى « مالك » بعد فراغه من « طليحة » مباشرة غير ملتفت لاحتجاج الأنصار [1] ، فلو لم يكن مرناً وبقي مدة من الزمن ينتظر وصول الأوامر والوصايا والتوجيهات ، لكان من المحتمل أن يشتد عضد مالك ويزداد خطره ، فلا يقوى المسلمون على تحطيمه بسهولة وأمان .

وفي أول معركة خاضها خالد في العراق ضد الفرس ، أعد خالد قواته لمهاجمة « الحفير » ، فلما علم بأن الفرس سبقوه إليه ونزلوا به ، مال بالناس الى « كاظمة » [2] ، حتى يحرم الفرس من مزية سبقه إلى ميدان القتال وإكمال استعداداتهم التعبوية قبله هناك .

وفي معركة « دمشق » كان خالد قائداً مرؤوساً ، وكان أبو عبيدة هو القائد العام ، ولكن خالداً عندما علم بأن حماة الأسوار والأبواب من الروم قد تركوا مواضعهم للاشتراك في أفراح البطريق ، انتهز هذه الفرصة الذهبية فاعتلى الأسوار وفتح الأبواب ودخل المدينة [3] .

وقد رأيت كيف كان يبدل أساليب قتاله في معاركه ولا يبقى جامداً على أسلوب واحد في القتال [4] .

تلك هي بعض ملامح خطط خالد المرنة وعقليته المرنة ، وتلك هي بعض مزايا قوات خالد في قابليتها على الحركة بسرعة وكفاية ، فكيف

---

(١) الطبري (٥٠١/٢) وابن الاثير (١٣٦/٢) .
(٢) الطبري (٥٥٥/٢) وابن الاثير (١٤٨/٢) .
(٣) الطبري (٦٢٦/٢ ـ ٦٢٨) وابن الاثير (١٦٤/٢ ـ ١٦٥) .
(٤) انظر ما جاء عن ذلك في فقرة المباغتة الفقرة (ثالثا) ص (٢٣٣) من هذا الكتاب .

لا ينتصر على أعدائه الكثيرين بقواته القليلة نسبياً ؟ . ؟ .

(ثامناً) التعاون [1] :

ما دام خالد يمتلك شخصية قوية نافـذة وإرادة فولاذية ثابتة ، وقابلية قيادية نادرة ، فإن بإمكانه أن يؤمن التعاون بين أسلحة [2] قطعه من جهة وبين تشكيلاتها التعبوية من جهة أخرى بسهولة ويسر ونجاح .

لقد لمسنا كيف أمّن خالد التعاون بين الفرسان الذين كانوا بقيادته وبين المشاة من المشركين في معركة « أحـد » ، كما لمسنا كيف أمّن التعاون بين قواته وبين قبيلة « طيء » ضد « طليحة » الأسدي ، كما رأينـا كيف أمن التعاون بين قواته وقوات شرحبيل بن حسنة ضد مسيلمة الكذاب ، وبين قواته وقوات المثنى بن حارثة الشيباني وأصحابه في العراق ، وبين قواتـه وقوات قادة الشام في « اليرموك » ، وكيف أمن التعاون بين جيشه الذي اقتفى به أثر جيش « توذر » قائد الروم وبين جيش يزيد بن أبي سفيان ، حيث ضرب جيش الروم من الخلف فانهارت مقاومتـه ولم يستطع الوصول إلى هدفه وهو استعادة مدينة « دمشق » .

---

(١) التعاون : هو توحيد جهود كافة الصنوف والقطعات لبلوغ الغرض المنشود .

(٢) كانت اسلحة الجيش المعروفة حينذاك هي :

١ ــ الفرسان .

٢ ــ الرجل او الرجالة وهم المشاة .

٣ ــ المنجنيقون وهم رماة المنجنيق .

٤ ــ النشابون او النشابة وهم الذين يرمون النشاب .

٥ ــ الدبابون ، وهم الذين يستخدمون الدبابات التي تتقدم مع المشاة لاعانتهم على التقدم .

٦ ــ الفعلة وهم الذين نسميهم اليوم بالهندسة .

٧ ــ الاطباء والبيطيرون والمرضون . راجع مقال جيش المسلمين في عهد بنـي امية في مجلة المجمع العراقي ــ العدد الثاني المجلد الرابع (١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م) ص (٦٣٥ ٦٣٧) .

تلك أمثلة قليلة جداً من جهود خالد لجمع وتوحيد جهود الأسلحة والقطع كافة وتأمين التعاون الكامل فيما بينها ، كي تعمل بتوافق واتساق في سبيل هدف مشترك ومصلحة مشتركة ؛ ذلك الهدف هو القضاء على العدو بأسرع وقت وبأقل خسائر ، وتلك المصلحة هي إعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام شرقاً وغرباً .

لقد كان لمقدرة خالد على تأمين التعاون بين مختلف رجاله وأسلحته أثر كبير في إحراز النصر ودحر الأعداء .

(تاسعاً) ادامة المعنويات [1] :

ترتكز المعنويات على دعامتين رئيستين : الثقة المتبادلة والإيمان القوي .

ذلك ما تنص عليه كتب التدريب العسكري في الجيوش الحديثة لأكبر جيوش العالم شرقية وغربية .

لقد كانت معنويات خالد ومعنويات رجاله ترتكز على هاتين الدعامتين ولكن بشكل أكثر رسوخاً وأعظم قوة ، إذ كانت معنوياتهم ترتكز على الثقة المتبادلة الراسخة ، والايمان العظيم .

لقد أسلفنا أن خالداً كان موضع ثقة مرجعه الأعلى ، وكان يبادلهم ثقة بثقة وتقديراً بتقدير . كما أسلفنا أنه كان يثق بنفسه بل يبالغ بهذه الثقة ، ويثق برجاله أعظم الثقة ويقدرهم أعظم التقدير .

كما أسلفنا : أن رجاله يثقون به إلى حد الفتنة ، فليس بعد ثقة رجال خالد به ثقة ولا بعد إعجابهم به إعجاب .

---

(١) المعنويات : اهم عامل من عوامل النجاح في الحرب ، وهي استعداد الجنود العقلي او شعورهم الذي يدفعهم عن طيب خاطر الى الكفاح والتحمل ومجابهة الخطر . وتتوقف المعنويات العالية على ايمان الجنود بالدور الذي يلعبونه وعلى ثقتهم بقائدهم ، فعندما تكون هناك ثقة ويكون هناك ايمان قوى ، فان المعنويات تكون عالية . راجع كتاب تدريب المشاة المجلد الرابع – التعبية – (فوج مشاة في المعركة) ص (٤٤ – ٤٥) المطبوع في مطبعة الجيش العراقي سنة ١٩٥٥ م

أما إيمانهم العظيم ، فهو إيمان المسلمين الأولين من السلف الصالح في الصدر الأول للإسلام .

كانوا يؤمنون جميعاً بالقضاء والقدر إيماناً لا حدود له ، ويؤمنون بأن النفس لن تموت حتى تستوفي أجلها ، ويؤمنون بأن الجهاد في سبيل الله فرض على كل مسلم وأن الصبر في ساحات الوغى واجب محتوم : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» [1] ، ويؤمنون بأنهم يخوضون حربا عادلة لتكون كلمة الله هي العليـــا [2] وحتى ينتشر في الأرض الإسلام والسلام .

ذلـــك هو مبلغ إيمان خالد ، وذلك هو مبلغ إيمان رجاله ، فكيف لا تظهر على أيديهم خوارق الشجاعة ومعجزات الفداء !! .

لقد أدام خالد هــذه المعنويات العالية في نفسه وفي رجاله بصورة خاصة وفي العرب المسلمين بصورة عامة ، وذلك بإثارة الاعتزاز بالمثل العليا للعقيدة الاسلامية ، وبإثارة النخوة بالماضي المجيد لأيام العرب ، وبإثارة الرجولة بمثاله الشخصي في الشجاعة والاقدام .

كان يثير في النفوس شعور الاعتزاز بالاسلام ، فيعين قارئـاً خاصاً يقرأ سورة الجهاد قبل المعركة وفي أثنائها ، فيستمعون قول الله : « يا أيهـا الذين آمنوا ، إذ لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئــذ دبره إلا متحرّفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باءَ بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير [3] » ويستمعون قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم

---

(۱) سورة ال عمران (۱٤٢/٣) .

(٢) الحرب العادلة : هي الحرب التي توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب اخر ولم يشأ رفعه ،ويشترط فيها ان تكون مطابقة للقواعد الانسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، كما يشترط فيها وجوب احترام حياة واملاك الابرياء .

(٣) سورة الانفال (٨ : ١٥ ـ ١٦) .

من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدّو الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، ومـــا تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكّل على الله إنّه هو السميع العليم [1] » ، فمن يفرّ منهم من الزحف، ومن منهم لا يُعدّ كل ما يستطيع من قوة للتغلب على العدو ، ومن منهم لا ينفق بسخاء في سبيـــل المجهود الحربي ، ومن منهم يعتدي على العدو إذا جنح للسلم ؟! .

ويستمعون قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون [2] » ، فمن منهم لا يطيع الأوامر وينفّذها عن طيب خاطر بكل أمانة وحرص ؟ ! .

تلك لمحات من سورة الأنفال ، التي كان يقرؤها القراء قبل المعركة وفي أثنائها لتذكير الناس بفضائل الجهاد ؛ فهل كان خالد يكتفي بذلـك – لو اكتفى لما كان ملوماً – لادامة المعنويات ؟ .

لقد كان يعين قاصاً يقص [3] على الناس أخبار أيام العرب قبل الاسلام: يوم ذي قار وأيام حرب الفجار ، وأخبار أيام العرب بعد الاسلام : غزوات النبي ﷺ وحروب أهـــل الردة وأيام الفتح ، فيثير ذلك شعور النخوة في النفوس ويبعثها على الاقدام البطولي لتكون هي الأخرى قصة مشرّفة تتلى على الناس ويتحدثون عنها فخورين معجبين [4] .

---

(١) سورة الانفال (٨ : ٦٠ – ٦١) .

(٢) سورة الانفال (٨: ٢٠) .

(٣) الطبري (٢/ ٥٩٤) وابن الاثير (٢/ ١٥٨) .

(٤) كان اهل الايام من اهل الكوفة يوعدون معاوية عند بعض الذي يبلغهـــم ويقولون ما شاء معاوية : نحن اصحاب ذات السلاسل ويسمون ما بينها وبين الفراض ما يذكرون ما كان بعد احتقارا لما كان بعد فيما كان قبل ذلك ما ورد في الطبري (٢/ ٥٨٤) وكل هذه المعارك التي يفخر بها اهل الكوفة على معاوية كانت بقيادة خالد بن الوليد . فاذا اقتصر فخر اهل الكوفة على معارك خالد في العراق ، فان اهل الشام الذين قاتلوا تحت لواء خالد لا بد ان يفخروا بايامهم معه فخر اهل الكوفة .

وكان يثير الشجاعة والاقدام في نفوس رجاله ، بمثاله الشخصي ، فيقدم إقدام من لا يهاب الموت ولا يخشاه ، فكيف لا يقتدي رجاله بفعاله ؟! .

وبالاضافة الى كل ذلك ، فقد كان خالد يديم معنويات رجاله بالنصر الذي يسير في ركابه ، وما أصدق قولة خالد : « . . إنما تكثر الجنود بالنصر وتقلّ بالخذلان لا بعدد الرجال [1] » ، لأن الجيش ينتصر بمعنوياته أكثر مما ينتصر بعدده وعدده ، وقد أينا في الحرب العالمية الثانية ، كيف كان ينظر العالم كله إلى الجيش الايطالي على الرغم من ضخامة عدده وكفاية تسليحه وحسن تنظيمه ، ولكن المعنويات كانت تنقصه ، فكانت مواضعه التي يحتلها تعتبر فراغاً عسكرياً .

لقد كان خالد كتلة هائلة من المعنويات ، تنتقل منه المعنويات العالية إلى رجاله بالعدوى فتزداد معنوياتهم قوة ورصانة ، ويحطم بسمعته العالية وإقدامه ورجولته معنويات أعدائه ، فيحسبون للقائه ألف حساب .

(عاشراً) الأمور الادارية :

تحسنت الحالة المعاشية لرجال خالد بعد معركة « اليمامة » وازدادت تحسناً كلما أوغلوا في فتح العراق ، فقد بلغ سهم الفارس في يوم « ذات السلاسل » ألف درهم والراجل ثلث هذا المبلغ [2] وبلغ سهم الفارس في معركة «أمغيشيا» ألفاً وخمسمائة سوى النفل [3] الذي نفله أهل البلاء [4] ..الخ.

ولعل تدابير خالد الإدارية التي اتخذها تمهيداً لعبوره الصحراء بين العراق

---

(١) الطبري (٢/٥٩٤) وابن الاثير (٢/١٥٨) .
(٢) الطبري (٢/٥٥٧) .
(٣) النفل : جمعها انفال ، وهي الغنائم . راجع تفسير الجلالين في تفسير قوله تعالى : « يسالونك عن الانفال » ص (١٤٥) .
(٤) الطبري (٢/٥٦٣) .

والشام قد وصلت شأواً بعيداً في الدقة والروعة ، فقد نقل الماء في بطون الإبل وفوق ظهورها ، كما أمر خالد قائد كل خيل أن يعطش عدداً من الابل يكفي لحرزه من الماء لخيله [1] ، وهيأ دليلاً ماهراً يعرف مسالك الصحراء ، وبهذه التدابير الدقيقة استطاع خالد عبور الصحراء بدون خلل إداري يذكر.

وكان مع جيشه بعض الأطباء من العرب لإعطاء الأدوية السائدة حينذاك للمرضى والمصابين ، كما كانت النساء يقمن بواجب تموين المقاتلين بالماء والطعام والعناية بالمرضى والجرحى ونقلهم من ساحة المعركة إلى موضع أمين .

تلك هي بعض الأمور الإدارية التي أمّنها خالد لرجاله .

أما الأمور الإدارية التي أجراها مع أعدائه ، فقد كانت بدرجة من الروعة والعدل والإنصاف بحيث لا نزال نعجب بها حتى اليوم أشد الإعجاب .

فقد أقر الفلاحين على ما كانوا عليه وجعل لهم الذمة [2] ، وعاملهم معاملة ممتازة ، مما جعلهم يلهجون بالشكر والثناء لعدالة العرب المسلمين .

أما الجزية [3] التي فرضها خالد على المغلوبين فهي من أجل حمايتهم في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعوية مع المسلمين سواء بسواء . يدل على ذلك أن المعاهدات التي عقدها خالد مع سكان العراق مثلاً ، كانت تنصّ على هذه الحماية في العقائد والأموال ، فقد جاء في عهد خالد لصاحب (قس الناطف) : « إني عاهدتكم على الجزية والمنعة ، فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم [4] » . كما نص عهده

---

(١) الطبري (٢/٦٠٣) وابن الاثير (٢/١٥٦) وفتوح الشام للواقدي (١/١٤) والبلاذري ص (١١٨) .

(٢) راجع الطبري (٢/٥٥٦ و ٥٥٨ و ٥٥٩ .. الخ) حيث ورد كثير عن معاملة خالد للفلاحين بالعدل والانصاف .

(٣) الجزية : بالكسر ،خراج الارض ، وما يؤخذ من الذمي . راجع القاموس المحيط للفيروزابادي مادة الجزاء .

(٤) انظر نظام السلم والحرب في الاسلام ـ للدكتور مصطفى السباعي (ص٣٠)

مع أهل الحيرة على المنعة أيضاً وعلى أخذ الجزية من القادرين على دفعها فقط وإعفاء غير القادرين ، [1] بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، فأعلن في كتابه إلى أهل الحيرة التأمين الاجتماعي ضد الشيخوخة والمرض والفقر ، فقال فيه : « جعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام ، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الاسلام ، فليس على المسلمين النفقة على عيالهم [2] !!!».

ولكن ما مقدار الجزية المفروضة على القادر على دفعها ؟ إنها أربعة عشر درهماً على كل رجل لا أكثر [3]، وهي أقل بكثير مما يدفعه المسلم من زكاة ماله .

الحق أن خالداً كان عبقرية إدارية كما كان عبقرية عسكرية ، ولو أن الظروف ساعدته على إظهار قابلياته الادارية ، لاستحوذ على إعجاب الناس وتقديرهم لادارتـه للناس ولأمور المال ، كما استحوذ على إعجاب الناس وتقديرهم لقيادته للرجال .

٦ ـ قائد عبقري

لا أعرف قائداً عبقرياً في تاريخ المسلمين غير الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه ، يمكن أن يفضل على القائد العبقري خالد بن الوليد .

ولست أفضل عبقرية قيادة الرسول القائـد على عبقرية خالد بن الوليد خضوعاً لعاطفتي باعتبار أنـه نبي الاسلام وخاتم النبيين والمرسلين ، ولكني

---

(١) الطبري (٢/٥٦٧) .
(٢) انظر الخراج لابي يوسف ص (١٧٢) .
(٣) البلاذري ص (٢٤٥) مع اختلاف في المقدار في مصادر اخرى .

مقتنع بذلك بعد دراسة مستفيضة لمزايا قيادة النبي المعظم سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال محمد بن عبدالله ﷺ [١] ، ومزايا قيادة خالد هازم الفرس والروم .

لقد اصطرعت عبقريتا هذين القائدين في (أحد) وفي (الخندق) ، وفي غزوة (الحديبية) ، فكانت الغلبة في كل هـذه الغزوات لعبقرية الرسول القائد على عبقرية الصحابي القائد .

لقد كان خالد قائد فرسان المشركين في (أحد) ، وكان التفوق العددي إلى جانب المشركين ، ومع ذلك استطاع المسلمون بقيادة النبي الكريم دحر للمشركين في الصفحة الأولى من المعركة حتى أخذ المسلمون ينتهبون معسكر المشركين ، مما جعل بعض رماة المسلمين يتركون مواضعهم ظناً منهم أن المعركة قـد انتهت لصالح المسلمين ، فانتهز خالد فرصة انسحاب الرماة لضرب المسلمين من الخلف فأصبح المسلمون مطوّقين من كل جانب .

في هـذا الموقف الرهيب بالنسبة للمسلمين ، يبرز اصطراع عبقريتي القائدين العظيمين ، فينجح الرسول القائد في إنقاذ أصحابه من هلاك أكيد ، ويخفق خالد في القضاء على المسلمين ، ولولا مخالفة الرماة لأوامر الرسول ﷺ الصريحة في الثبات حتى النهايـة في مواضعهم ، لاستحال على خالد أن يقوم بضرب المسلمين من الخلف ، ولما كان له في هذه المعركة أثر ملموس .

أما في « الخندق » و « الحديبية » فقد انتصرت عبقرية الرسول القائد على عبقرية خالد ، إذ لم يظهر لخالد فيهما أثر حاسم فى الوقت الذي ظهر للرسول ﷺ أثران حاسمان : في كل معركة منها أثر حاسم .

ولا عجب في ذلك ... لقد كان محمد قائداً ورسولا .

ومع ذلك ، فهناك قائد عربي مسلم هو المثنى بن حارثة الشيباني ، يشابه

---

(١) انظر تفاصيل هذه الدراسة في كتابنا الرسول القائد .

في سماته ومزاياه العسكرية سمات ومزايا خالد ، ولو لم يستشهد المثنى قبل أن يقضي رسالته في الفتح ، لكان له شأن ينافس شأن خالد في الفتوح .

لقد ظهر عشرات القادة من صحابة النبي ﷺ وتلاميذه حملوا رايات الإسلام شرقاً وغرباً ، ولكن لم يفتتن الناس بغير خالد والمثنى[1] ، لأنهما كانا كفرسي رهان في مزاياهما وفي ثمار سيفيهما في الفتح .

لقد جمع خالد مزايا الجندي الممتاز إلى مزايا القائد الممتاز مع أن هذه المزايا هي مزايا مثالية أو نماذج عليا يندر أن يتصف بها قائد واحد ، لأنها مجموعة من مزايا عديدة للقادة العظام من فجر التاريخ حتى اليوم .

وإذا كان لنا أن نوجز مزايا عبقرية قيادة خالد بكلمات ، فهي : ذكاء نادر يجعله حاضر البديهة دائماً ، يصدر قرارات سريعة مرنة ومبتكرة غالباً ، متشبث بجمع المعلومات عن العدو مما يجعل تلك القرارات سريعة صحيحة ، سريع الحركة شجاع مقدام ، له عقيدة راسخة وشخصية قوية وإرادة حديدية وقابلية بدنية فائقة ومعنويات عالية ، يسيطر على أعصابه سيطرة عجيبة ، يثق به رجاله ويحبونه ويبادلهم ثقه بثقة وحباً بحب ، يفقه مبادىء الحرب وله ماض ناصع مجيد .

وكان بالإضافة إلى هذه المزايا ، يختار موضعه في القتال قريباً من مواطن الخطر – دائماً في الامام ، دائماً يبارز أبطال أعدائه ويقضي عليهم ، دائماً يقاتل أكثر من أي فرد من رجاله فيضطر على تبديل سيف بعد سيف ، إذ لا يصمد في يده سيف واحد في معركة واحدة .

لقد خلق خالد ليكون قائداً ، فعاش قائداً ومات قائداً ، فغاب جسده عن الجو ، ولكن بقي حياً في النفوس وبقيت آثاره خالدة في التاريخ ، وانتصاراته كانت ولا تزال وستبقى معجزة من معجزات تاريخ العرب والاسلام الحربي بل تاريخ الحرب لكل الأمم في كل مكان .

---

(١) ابن الاثير (٢٠٧/٢) .

الخاتمة

« كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

(قرآن كريم)

أسلم خالد في أول من صفر سنة ثمان الهجرية (٦٢٩ م) ومات سنة إحدى وعشرين للهجرة (٦٤١ م) ، فخاض خلال اثنتي عشرة سنة فقط إحدى وأربعين معركة في اليمن والحجاز ونجد والعراق وأرض الشام ، وترك آثاراً خالدة في كل هذه البلاد الشاسعة كانت وما تزال باقية منذ نشر الاسلام في ربوعها وضمها الى العالم الاسلامي حتى اليوم .

إنه القائد العربي الوحيد الذي كان له أثر في فتح بقاع شبه الجزيرة العربية كافة ، فهو أول قائد بحق جاهد من أجل وحدتها بصورة عملية .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، البطل المقدام ، القائد الفاتح ، سيف الاسلام خالد بن الوليد .

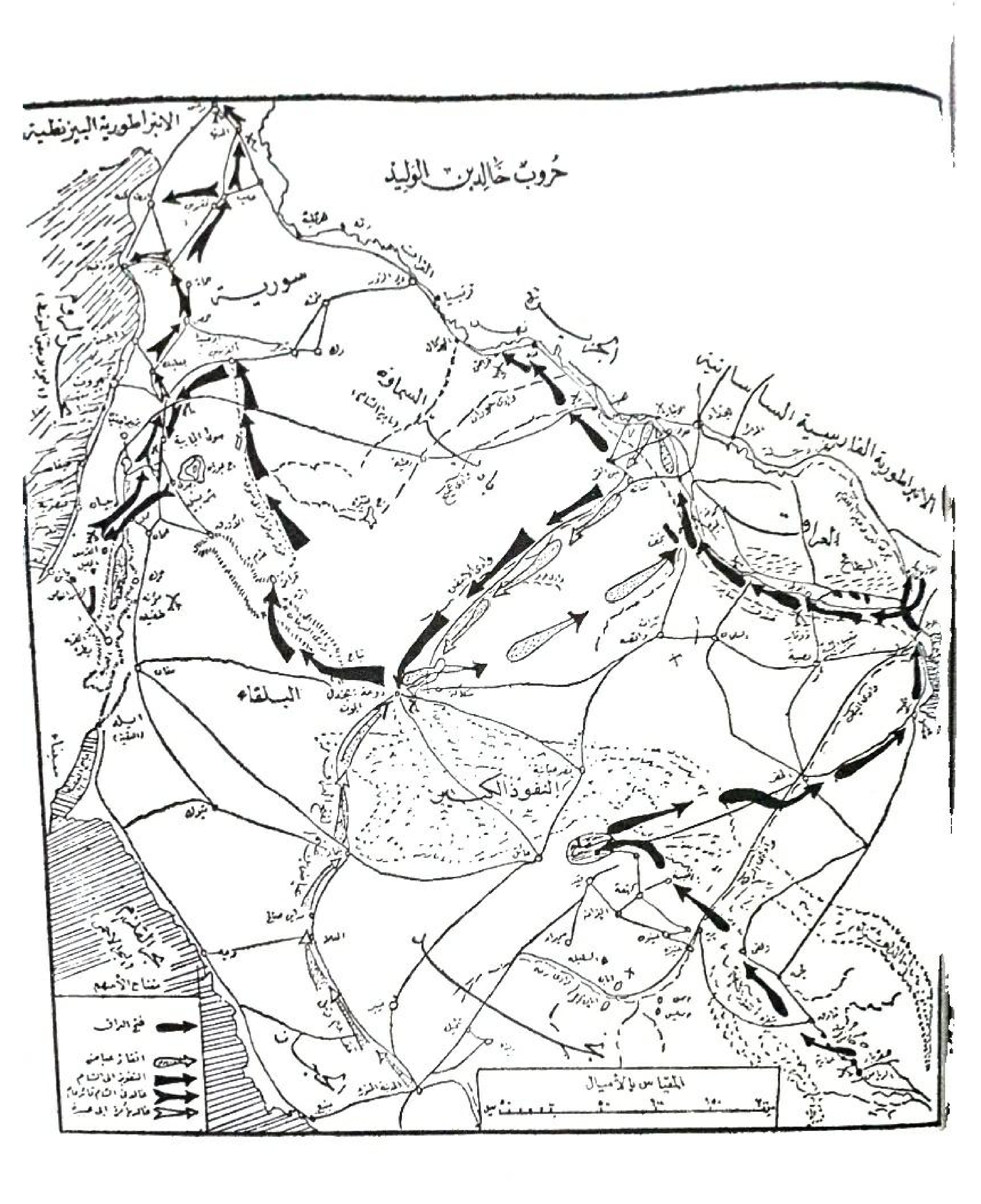
الملحق (٥)

جدول توقيت الأعمال البارزة في حياة خالد [1]

تسلسل	الأعمال	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الملحوظات
١	مولده	٢٥ ق.هـ	٥٩٧	
٢	في أحد	٣ ب.هـ	٦٢٤	في الجاهلية
٣	في غزوة الخندق	٥	٦٢٦	
٤	في غزوة الحديبية	٦	٦٢٧	
٥	في عمرة القضاء	٧	٦٢٨	
٦	إسلامه	٨	٦٢٩	
٧	في غزوة مؤتة	٨	٦٢٩	
٨	في فتح مكة	٨	٦٢٩	
٩	في هدم العزى	٨	٦٢٩	
١٠	في بني جذيمة	٨	٦٢٩	مع الرسول القائد ﷺ
١١	يوم حنين	٨	٦٢٩	
١٢	غزوة الطائف	٨	٦٢٩	
١٣	مع بني المصطلق	٩	٣٦٠	
١٤	في تبوك	٩	٦٣٠	
١٥	هدم ود	٩	٦٣٠	
١٦	في دومة الجندل	٩	٦٣٠	
١٧	في نجران	١٠	٦٣١	
١٨	في اليمن	١٠	٦٣١	
١٩	مع طليحة	١١	٦٣٢	في حرب أهل الردة أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٢٠	مع مالك بن نويرة	١١	٦٣٢	
٢١	في اليمامة	١١	٦٣٢	
٢٢	في منطقة البصرة	١٢	٦٣٢	
٢٣	في المـــذار	١٢	٦٣٣	
٢٤	في الولجة	١٢	٦٣٣	
٢٥	في أليس	١٢	٦٣٣	

(١) اعتمدنا في اعداد توقيت هذا الجدول على ما جاء في الطبري، عدا فتح مرعش وحصن الحدث فقد اعتمدنا في توقيت فتحهما على ما جاء في تاريخ ابي الفدا (١/ ١٦٠).

التسلسل	الأعمال	السنة	السنة الميلادية	الملحوظات
٢٦	في أمغيشيا	١٢	٦٣٣	
٢٧	في الحيرة	١٢	٦٣٣	
٢٨	في الأنبار	١٢	٦٣٣	
٢٩	في عين التمر	١٢	٦٣٣	فتح العراق أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٠	في دومة الجندل	١٢	٦٣٣	
٣١	في المصيخ	١٢	٦٣٣	
٣٢	في الثنى والزميل	١٢	٦٣٣	
٣٣	في الفراض	١٢	٦٣٣	
٣٤	حجة خالد	١٢	٦٣٣	
٣٥	نقل خالد من العراق إلى أرض الشام	١٣	٦٣٤	
٣٦	في قراقر	١٣	٦٣٤	في الطريق بين العراق وأرض الشام في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٧	في سوى	١٣	٦٣٤	
٣٨	في تدمر	١٣	٦٣٤	
٣٩	في قصم	١٣	٦٣٤	
٤٠	في مرج راهط	١٣	٦٣٤	
٤١	في بصرى	١٣	٦٣٤	
٤٢	في اليرموك	١٣	٦٣٤	فتح الشام أيام أبي بكر الصديق
٤٣	عزله من منصب القائد العام في الشام	١٣	٦٣٤	
٤٤	في دمشق	١٣	٦٣٤	
٤٥	في فحل	١٣	٦٣٤	فتح الشام في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
٤٦	في مرج الروم	١٥	٦٣٤	
٤٧	في حمص	١٥	٦٣٦	
٤٨	في قنسرين	١٥	٦٣٦	
٤٩	في مرعش وحصن الحدث	١٥	٦٣٦	
٥٠	وفاته	٢١	٦٤١	في حمص



حروب خالد بن الوليد
الامبراطورية البيزنطية
سورية
السماوة
البلقاء
النفوذ الكبير
الامبراطورية الفارسية الساسانية
العراق
دومة الجندل
فتح العراق
المقياس بالأميال
٢٠٠ ١٥٠ ١٠٠ ٥٠ ٠

المصادر والمراجع

١ – المصادر

٢ – المراجع



المصادر

ابن الابار (ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) :

١ ـ الحلة السيراء ـ تحقيق الدكتور حسين مؤنس ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ ٠

ابن الاثير (ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن الاثير الجزري الملقب بعز الدين) :

٢ ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ طهران ـ ١٣٧٧ هـ٠

٣ ـ تجريد اسماء الصحابة ـ حيدر آباد الدكن ـ ١٣١٥ هـ٠

٤ ـ الكامل في التاريخ ـ القاهرة ـ ١٣٠٣ هـ٠

ابن تغري بردى (جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي) :

٥ ـ النجوم الزاهرة ـ القاهرة ـ ١٣٤٨ هـ٠

ابن جبير (محمد بن احمد بن جبير) :

٦ ـ رحلة ابن جبير ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ٠

ان الجوزي (جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي) :

٧ ـ تاريخ عمر بن الخطاب ـ القاهرة ٠

ابن حجر (شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني) :

٨ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ٠

٩ ـ تهذيب التهذيب ـ حيدر آباد الدكن ـ ١٣٢٧ هـ٠

١٠ ـ فتح الباري بشرح البخاري ـ القاهرة ـ ١٣٠١ هـ٠

ابن حزم الاندلسي (ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي) :

١١ ـ اسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة ـ القاهرة ٠

١٢ ـ اصحاب الفتيا من الصحابة ـ ملحق بجوامع السيرة ـ القاهرة ٠

١٣ ـ جمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ـ القاهرة ٠

١٤ ـ جوامع السيرة ـ القاهرة ٠

١٥ ـ الفصل في الملل والنحل ـ القاهرة ـ ١٣٢١ هـ٠

١٦ ـ المحلى ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ٠

ابن حوقل (ابو القاسم بن حوقل البغدادي الموصلي) :

١٧ ـ صورة الارض لايدن ـ ١٩٣٨ ٠

ابن خرداذبة (ابو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبة) :

١٨ ـ المسالك والممالك ـ طهران ـ ١٩٦٣ ٠

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون)

١٩ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ القاهرة ـ ١٢٨٤ هـ٠

٢٠ ـ المقدمة ـ القاهرة ٠

ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان) :

٢١ ـ وفيات الاعيان ـ القاهرة ـ ١٩٤٨ ٠

ابن دحلان (السيد احمد بن زيني دحلان) :

٢٢ ـ الفتوحات الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٣٤٥ هـ٠

ابن رستة (ابو علي بن عمر بن رستة) :

٢٣ ـ الاعلاق النفيسة ـ لايدن ـ ١٨٩١ ٠

ابن سعد (ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري) :

٢٤ ـ الطبقات الكبرى ـ بيروت ـ ١٣٧٦ هـ٠

ابن سيد الناس :

٢٥ ـ عيون الاثر ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ٠

ابن عبد البر (ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر) :

٢٦ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ القاهرة ٠

ابن عبد ربه (شهاب الدين احمد المعروف بابن عبد ربه) :

٢٧ ـ العقد الفريد ـ القاهرة ـ ١٣٤٦ هـ٠

ابن عساكر (ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الشافعي) :

٢٨ ـ تهذيب ابن عساكر ـ دمشق ـ ١٣٢٩ ٠

ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن ابراهيم الهمذاني) :

٢٩ ـ مختصر تاريخ البلدان ـ لايدن ـ ١٨٨٥ ٠

ابن قتيبة (ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) :

٣٠ ـ الامامة والسياسة ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ٠

٣١ ـ الشعر والشعراء ـ بيروت ـ ١٩٦٤ ٠

٣٢ ـ عيون الاخبار ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ٠

٣٣ ـ المعارف ـ تحقيق ثروت عكاشة ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ٠

ابن القيم الجوزية (شمس الدين ابو عبدالله محمد بـن ابي بكـر بن القيم الجـوزية) :

٣٤ ـ احكام اهل الذمة ـ دمشق ـ ١٣٨١ هـ٠

ابن كثير (عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) :

٣٥ ـ تفسير ابن كثير ـ القاهرة ١٣٤٧ هـ٠

٣٦ ـ البداية والنهاية في التاريخ ـ القاهرة ٠

٣٧ ـ فضائل القرآن ـ ملحق بالتفسير ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ ٠

ابن ماجة (محمد بن يزيد بن ماجة القزويني) :

٣٨ ـ سنن ابن ماجة ـ القاهرة ـ ١٣١٣ هـ٠

ابن المعتز (عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد) :

٣٩ ـ طبقات الشعراء ـ تحقيق عبد الستار احمد فراج ـ القاهرة ـ ١٣٧٥ هـ٠

ابن هشام (ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري) :

٤٠ ـ السيرة النبوية ـ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ٠

ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل ابو الفدا) :

٤١ ـ تقويم البلدان ـ باريس ـ ١٨٤٠ هـ.

٤٢ ـ المختصر في اخبار البشر ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ.

ابو يعلى (محمد بن الحسين الفراء الحنبلي) :

٤٣ ـ الاحكام السلطانية ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ.

ابو يعلى (حمزة بن القلانس) :

٤٤ ـ ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت ـ ١٩٠٨ .

ابو يوسف (القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام ابي حنيفة) :

٤٥ ـ الخراج ـ القاهرة ـ ١٣٤٦ هـ.

احمد بن حنبل (الامام) :

٤٦ ـ مسند الامام احمد بن حنبل ـ القاهرة ـ ١٣١٣ هـ.

الادريسي (الشريف الادريسي) :

٤٧ ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ لايدن ـ ١٨٦٦ .

الاسفرائيني (عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني التميمي) :

٤٨ ـ الفرق بين الفرق ـ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة .

الاصبهاني (ابو الفرج الاصبهاني) :

٤٩ ـ الاغاني ـ بيروت ـ ١٩٥٥ .

الاصبهاني (ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني) : .

٥٠ ـ حلية الاولياء ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ.

الاصطخري (ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي) :

٥١ ـ المسالك والممالك ـ تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ـ القاهرة ـ ١٣٨١ هـ.

الالوسي (محمود شكري الالوسي) :

٥٢ ـ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ـ تحقيق محمد بهجت الاثري ـ ـ القاهرة .

البخاري (ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري) :

٥٣ ـ التاريخ الصغير ـ حيدر آباد الدكن ـ ١٣٢٥ هـ.

٥٤ ـ التاريخ الكبير ـ حيدر آباد الدكن ـ ١٣٦١ هـ.

٥٥ ـ صحيح البخاري ـ القاهرة ـ ١٣٠٠ هـ.

البشارى (المقدسي المعروف بالبشارى) :

٥٦ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ لايدن ـ ١٩٠٦ ٠

البغوى (الامام البغوى) :

٥٧ ـ تفسير البغوى ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ.

البكري (ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري) :

٥٨ ـ المغرب فـي ذكر بلاد افريقية والمغرب ـ الجزائر ـ ١٩١١ ٠

البلاذري (احمد بن يحيى بن جابر البلاذري) :

٥٩ ـ انساب الاشراف ـ الجزء الاول ـ تحقيق الدكتور محمد حميد الله ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ٠

٦٠ ـ انساب الاشراف ـ الجزء الرابع القسـم الثاني ـ القـدس ـ ١٩٣٨ ٠

٦١ انساب الاشراف ـ الجزء الخامس ـ القدس ـ ١٩٣٦ ٠

٦٢ ـ فتوح البلدان ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ٠

البلخي (ابو زيد احمد بن سهل البلخي) :

٦٣ ـ البدء والتاريخ ـ باريس ـ ١٨٩٩ ٠

البلوى (يوسف بن محمد البلوى) :

٦٤ ـ الف باء ـ القاهرة ـ ١٢٨٧ هـ.

البيضاوي (القاضي ابـو سـعيد عبد اللـه بن عمـر بـن محمد الشيرازي البيضـاوي) :

٦٥ ـ تفسير البيضاوي ـ القاهرة ـ ١٣٣٠ ٠

الجلالان (جلال المحلي وجلال السيوطي) :

٦٦ ـ تفسير ـ الجلالين القاهرة ٠

الجهشياري (ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري) :

٦٧ ـ الوزراء والكتاب ـ القاهرة ٠

الجوزي (ابو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي) :

٦٨ ـ صفة الصفوة ـ حيدر آباد الدكن ـ ١٣٥٥ هـ.

الحلبي (علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي) :

٦٩ ـ انسان العيون في سيرة الامين والمأمون (السيرة الحلبية) ـ القاهرة .

الحنبلي (ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي) :

٧٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ القاهرة ـ ١٣٥٠ هـ .

الخزرجي (احمد بن عبدالله الخزرجي) :

٧١ ـ خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال ـ القاهرة ـ ١٣٢٢ هـ .

الخطيب البغدادي :

٧٢ ـ تاريخ بغداد ـ القاهرة ـ ١٢٤٩ هـ .

الدياربكري (حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري) :

٧٣ ـ تاريخ الخميس ـ القاهرة ـ ١٣٠٢ هـ .

الدينوري (ابو حنيفة الدينوري) :

٧٤ ـ الاخبار ـ الطوال ـ القاهرة ـ ١٣٣٠ هـ .

الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي) :

٧٥ ـ تاريخ الاسلام ـ القاهرة ـ ١٣٦٨ هـ .

٧٦ ـ دول الاسلام ـ القاهرة ـ ١٣٦٨ هـ .

٧٧ ـ سير اعلام النبلاء ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ القاهرة .

٧٨ ـ العبر ـ تحقيق فؤاد سيد ـ الكويت ـ ١٩٦١ .

٧٩ ـ ميزان الاعتدال ـ القاهرة ـ ١٣٢٤ هـ .

الزبيري (ابو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري) :

٨٠ ـ نسب قريش ـ القاهرة .

الزمخشري (ابو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري) :

٨١ ـ تفسير الكشاف ـ القاهرة ـ ١٣١٩ هـ .

السيوطي (عبد الرحمن بن ابي بكر جمال الدين السيوطي) :

٨٢ ـ تاريخ الخلفاء ـ القاهرة ـ ١٣٥١ هـ .

الشافعي (الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي) :

٨٣ ـ الام ـ القاهرة ـ ١٣٢٢ هـ .

الشهرستاني (ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني) :

٨٤ ـ الملل والنحل ـ ليبزج ـ ١٩٢٣ .

الصفدي (خليل الصفدي) :

٨٥ ـ نكت الهميان في نكت العميان ـ القاهرة ـ ١٣٢٩ هـ.

الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير الطبري) :

٨٦ ـ تاريخ الامم والملوك ـ القاهرة ـ ١٣٥٨ هـ.

٨٧ ـ تفسير الطبري ـ القاهرة .

٨٨ ـ الجهاد وكتاب الجزية واحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء ـ لايدن ـ ١٩٣٣ .

٨٩ ـ المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ـ القاهرة ـ ١٣٥٨ هـ.

عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي :

٩٠ ـ الروض الآنف (شرح السيرة النبوية لابن هشام) ـ القاهرة ـ ١٣٣٣ هـ.

العصامي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي) :

٩١ ـ سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ـ القاهرة ـ ١٣٧٩ هـ.

علي بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي :

٩٢ ـ حلية الفرسان وشعار الشجعان ـ تحقيق محمد عبد الغني حسن ـ القاهرة ـ ١٩٥١ .

قدامة بن جعفر (ابو الفرج) :

٩٣ ـ كتاب الخراج وصنعة الكتابة ـ لايدن ـ ١٨٨٩ .

القرشي (يحيى بن آدم القرشي) :

٩٤ ـ كتاب الخراج ـ تحقيق احمد محمد شاكر ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ.

القرطبي (ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي) :

٩٥ ـ الجامع لاحكام القرآن ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ.

القزويني (زكريا بن محمد القزويني) :

٩٦ ـ آثار البلاد واخبار العباد ـ بيروت ـ ١٣٨٠ هـ.

القلقشندي (ابو العباس احمد القلقشندي) :

٩٧ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ القاهرة ـ ١٩١٣ ٠

٩٨ ـ نهاية الارب في معرفة انساب العرب ـ تحقيق ابراهيم الابياري ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ٠

الكلبي (ابو المنذر هشام بن محمد الكلبي) :

٩٩ ـ الاصنام ـ القاهرة ـ ١٣٣٢ هـ٠

الكندي (ابو عمر محمد بن يوسف الكندي) :

١٠٠ ـ الولاة والقضاة ـ لايدن ـ ١٩١٢ ٠

الماوردي (ابو الحسن علي بن حبيب البصري) :

١٠١ ـ الاحكام السلطانية ـ القاهرة ـ ١٣٢٧ هـ٠

المبرد (محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن عمير المرد) :

١٠٢ ـ الكامل ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ٠

محمد رشيد رضا :

١٠٣ ـ تفسير المنار ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ٠

محمد بن شاكر بن احمد الكتبي :

١٠٤ ـ فوات الوفيات ـ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ ١٩٥١ ٠

محمد بن منكلي (نقيب الجيش المصري) :

١٠٥ ـ الادلة الرسمية في التعابي الحربية ـ مخطوط ٠

المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) :

١٠٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ـ الطبعة الرابعة ٠

المقريزي (تقي الدين احمد بن علي المقريزي) :

١٠٧ ـ اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الخلفا ـ نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ـ القاهرة ـ ١٩٤٨٠

النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري) :

١٠٩ ـ نهاية الارب في فنون الادب ـ القاهرة ٠

النووي (ابو زكريا محي الدين بن شرف النووي) :

١١٠ ـ تهذيب الاسماء واللغات ـ دمشق ٠

١١١ ـ شرح النووي على مسلم ـ القاهرة ـ ١٢٨٣ هـ.

الهرثمي (صاحب المأمون) :

١١٢ ـ مختصر سياسة الحروب ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ .

ياقوت بن عبد الله الحموي :

١١٣ ـ المشترك وضعا والمفترق صقعا ـ لايدن ـ ١٨٤٦ .

١١٤ ـ معجم البلدان ـ القاهرة ـ ١٣٢٣ هـ.

المراجع

ابراهيم الواعظ :

١ ـ خريجو مدرسة محمد ـ بغداد ٠

ابو زهرة (محمد ابو زهرة) :

٢ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية ـ القاهرة ٠

ابو زيد شلبي :

٣ ـ سيف الله خالد بن الوليد ـ القاهرة ٠

احمد امين (الدكتور) :

٤ ـ ضحى الاسلام ـ القاهرة ـ ١٣٥٢ هـ ـ الطبعة الثانية ٠

٥ ـ فجر الاسلام ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ٠

جمال الدين الرمادي (الدكتور) :

٦ ـ خالد بن الوليد ـ القاهرة ٠

جمال الدين عياد :

٧ ـ نظم الحرب في الاسلام ـ القاهرة ٠

جول لابوم :

٨ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم ـ ترجمة محمد فؤاد عبـــد الباقي ـ القاهرة ـ ١٣٤٣ هـ٠

حامد عبد القادر :

٩ ـ الاسلام ظهوره وانتشاره في العالم ـ القاهرة ـ ١٣٥٧ هـ٠

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :

١٠ ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ ج ١ ـ

القاهرة ـ ١٩٥٧ ٠

١١ ـ زعماء الاسلام ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ ٠

حسن جلال :

١٢ حياة نابليون ـ القاهرة :

خطاب (اللواء الركن محمود شيت خطاب) :

١٣ ـ الايام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها ـ بيروت ـ ١٩٦٧ ٠

١٤ الرسول القائد ـ القاهرة ـ ١٣٨٤ هـ٠

١٥ ـ الفاروق القائد ـ القاهرة ـ ١٣٨٩ هـ٠

١٦ ـ قادة فتح الشام ومصر ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ٠

١٧ ـ قادة فتح بلاد فارس ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ٠

١٨ ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ٠

١٩ ـ المشير فون رونشتد ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ٠

٢٠ ـ الوحدة العسكرية العربية ـ بيروت ـ ١٩٦٩ ٠

خير الدين الزركلي :

٢١ ـ الاعلام ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ٠

دينيت (دانيل) :

٢٢ ـ الجزية والاسلام ـ القاهرة ٠

الزاوي (الطاهر احمد الزاوي) :

٢٣ ـ ترتيب القاموس المحيط ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ٠

سامي جنينة :

٢٤ ـ قانون الحرب والحياد ـ القاهرة ٠

سرور الدكتور محمد جمال الدين سرور) :

٢٥ ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ٠

سيد سابق (الشيخ) :

٢٩ ـ عناصر القوة في الاسلام ـ القاهرة ٠

سيدة اسماعيل الكاشف :

٢٧ ـ مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ·

شلتوت (الشيخ محمود شلتوت) :

٢٨ ـ الاسلام عقيدة وشريعة ـ القاهرة ·

الصعيدي (الشيخ عبد المتعال الصعيدي) :

٢٩ ـ شباب قريش في بدء الاسلام ـ القاهرة ·

طه حسين (الدكتور) :

٣٠ ـ الشيخان ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ·

٣١ ـ عثمان ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ·

٣٢ ـ علي وبنوه ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ·

طه الهاشمي (الفريق الركن) :

٣٣ ـ الجغرافية العسكرية ـ بغداد ـ الطبعة الاولى ·

٣٤ ـ دراسات عن خالد بن الوليد في حروب الردة ـ مجلة الرسالة القديمة ومجلة المجمع العلمي العراقي ·

الطويل (توفيق الطويل) :

٣٥ ـ قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة ـ القاهرة ·

عبد الحميد السامرائي (المقدم) :

٣٦ ـ القائد الخالد خالد بن الوليد ـ بغداد ·

عبد الرؤوف عون :

٣٧ ـ الفن الحربي في صدر الاسلام ـ القاهرة ·

عبد الوهاب النجار

٣٨ ـ الخلفاء الراشدون ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ·

العقاد (عباس محمود العقاد) :

٣٨ ـ الخلفاء الراشدون ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ·

٣٩ ـ عبقرية خالد ـ القاهرة ـ طبعة دار الهلال ـ الطبعة الاولى ·

٤٠ ـ عبقرية الصديق ـ القاهرة ـ ١٩٤٣ ·

٤١ ـ عبقرية عمر ـ القاهرة ـ ١٣٧٩ هـ٠
٤٢ ـ ما يقال عن الاسلام ـ القاهرة ٠
علي سامي النشار (الدكتور) :
٤٣ ـ شهداء الاسلام في عهد النبوة ـ القاهرة ٠
علي الطنطاوي (الشيخ) :
٤٤ ـ ابو بكر الصديق ـ دمشق ـ الطبعة الاولى ٠
٤٥ ـ اخبار عمر ـ بالاشتراك مع اخيه ناجي ـ دمشق ـ ١٣٧٩ هـ٠
الغزالي (الشيخ محمد الغزالي) :
٤٦ ـ معركة المصحف في العالم الاسلامي ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ٠
فروخ (الدكتور عمر فروخ) :
٤٧ ـ التبشير والاستعمار ـ بالاشتراك مع الدكتور مصطفى الخالدي ـ بيروت ـ ١٩٦٤ ـ الطبعة الثالثة ٠
فلهزون (الدكتور) :
٤٨ ـ تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ـ ترجمة الدكتور محمد الهادي ابوريدة ـ القاهرة ـ ١٩٥٨ ٠
كراتشوفسكي (اغناطيوس كراتشوفسكي) :
٤٩ ـ تاريخ الادب الجغرافي العربي ـ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ ٠
كرد علي (محمد كرد علي) :
٥٠ ـ الادارة الاسلامية في عز العرب ـ القاهرة ٠
كلوب (الجنرال جون باجت كلوب) :
٥١ ـ الفتوحات العربية الكبرى ـ ترجمة خيري حماد ـ بيروت ـ ١٩٦٢ ٠
كنون (الشيخ عبد الله كنون) :
٥٢ ـ مفاهيم اسلامية ـ بيروت ـ ١٩٦٤ ٠
لسترنج :
٥٣ ـ بلدان الخلافة الشرقية ـ نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ بغداد ٠

لودندروف (المشير) :

٥٤ ـ الامـة فـي الحـرب ـ ترجمة اللواء الركن عبـد المطلب الامين ـ بغـداد ٠

محمد ابو الفضل ابراهيم :

٥٥ ـ ايام العرب في الجاهلية ـ بالاشتراك ـ القاهرة ٠

محمد احمد جاد المولى :

٥٦ ـ ايام العرب في الجاهلية ـ بالاشتراك ـ القاهرة ٠

محمد اســد :

٥٧ ـ منهاج الحكم في الاسلام ـ بيروت ٠

محمد حافظ غانم (الدكتور) :

٥٩ ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ـ القاهرة ٠

محمد صادق عرجون (الشيخ)

٦٠ ـ خالد بن الوليد ـ القاهرة ٠

محمد صبيح :

٦١ ـ ابو بكر الصديق ـ القاهرة ٠

٦٢ ـ عمر بن الخطاب ـ القاهرة ٠

محمد ضياء الدين الريس

٦٣ ـ الخراج في الدولة الاسلامية ـ القاهرة ٠

٦٤ ـ النظريات السياسية الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٥٢ ٠

محمد فؤاد عبد الباقي :

٦٥ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ٠

محمـد المعراوي :

٦٦ ـ شريعة الحرب في الاسلام ـ مطبوع على الالة الناسخة ٠

مصطفى السباعي (الشيخ) :

٦٧ ـ اشتراكية الاسلام ـ دمشق ـ الطبعة الاولى ٠

٦٨ ـ نظام السلم والحرب في الاسلام ـ بيروت ٠

مونتكومري (المشير) :

٦٩ ـ السبيل الى القيادة ـ ترجمـــة العميد الركن حسن مصطفى ـ بيروت ٠

نجيب الارمنازي (الدكتور) :

٧٠ ـ الشرع الدولي في الاسلام ـ دمشق ٠

الندوي (ابو الحسن علي الحسيني الندوي) :

٧١ ـ ماذا خسر العـــالم بانحطـــاط المسلمين ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ٠ الطبعة السادسة ٠

هازارد (هاري٠ و٠ هازارد) :

٧٢ ـ اطلس التاريخ الاسـلامي ـ ترجمـــة ابراهيم زكـــي خورشيد ـ القاهرة ٠

هيكل (الدكتور محمد حسين هيكل) :

٧٣ ـ الامبراطورية الاسلامية ـ القاهرة ٠

٧٤ ـ حياة محمد ـ القاهرة ـ ١٩٥٢ ٠

٧٥ ـ الصديق ابو بكر ـ القاهرة ـ ١٣٧٧ هـ٠

٧٦ ـ الفزروق عمر ـ القاهرة ٠

٧٧ ـ في منزل الوحي ـ القاهرة ٠

وهبـة الزحيلي :

٧٨ ـ آثار الحرب في الفقه الاسلامي ـ دمشق ـ ١٣٨٢ هـ٠

الفهارس



الاعـلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(د)

(ر)

الاماكن

(ا)

(ب)

(خ)

(د)

(ك)

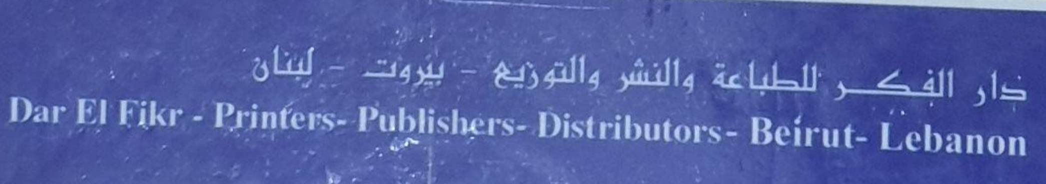
(ل)

(م)

الموضـــوعات

فهرس وملاحق خالد بن الوليد

فهرس الخرائط


دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
Dar El Fikr - Printers- Publishers- Distributors- Beirut- Lebanon

